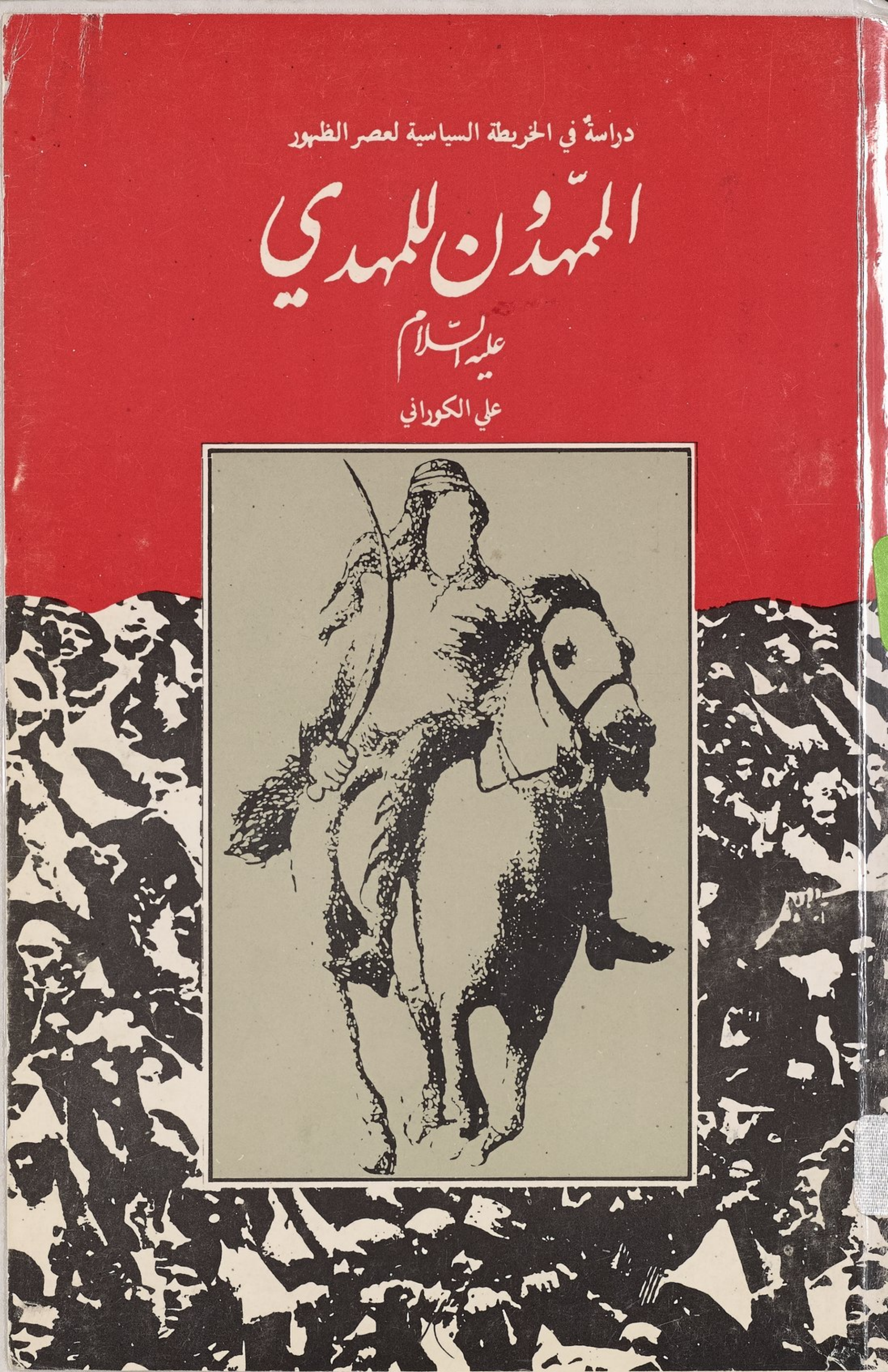

دراسةٌ في الخريطة السياسية لعصر الظهور

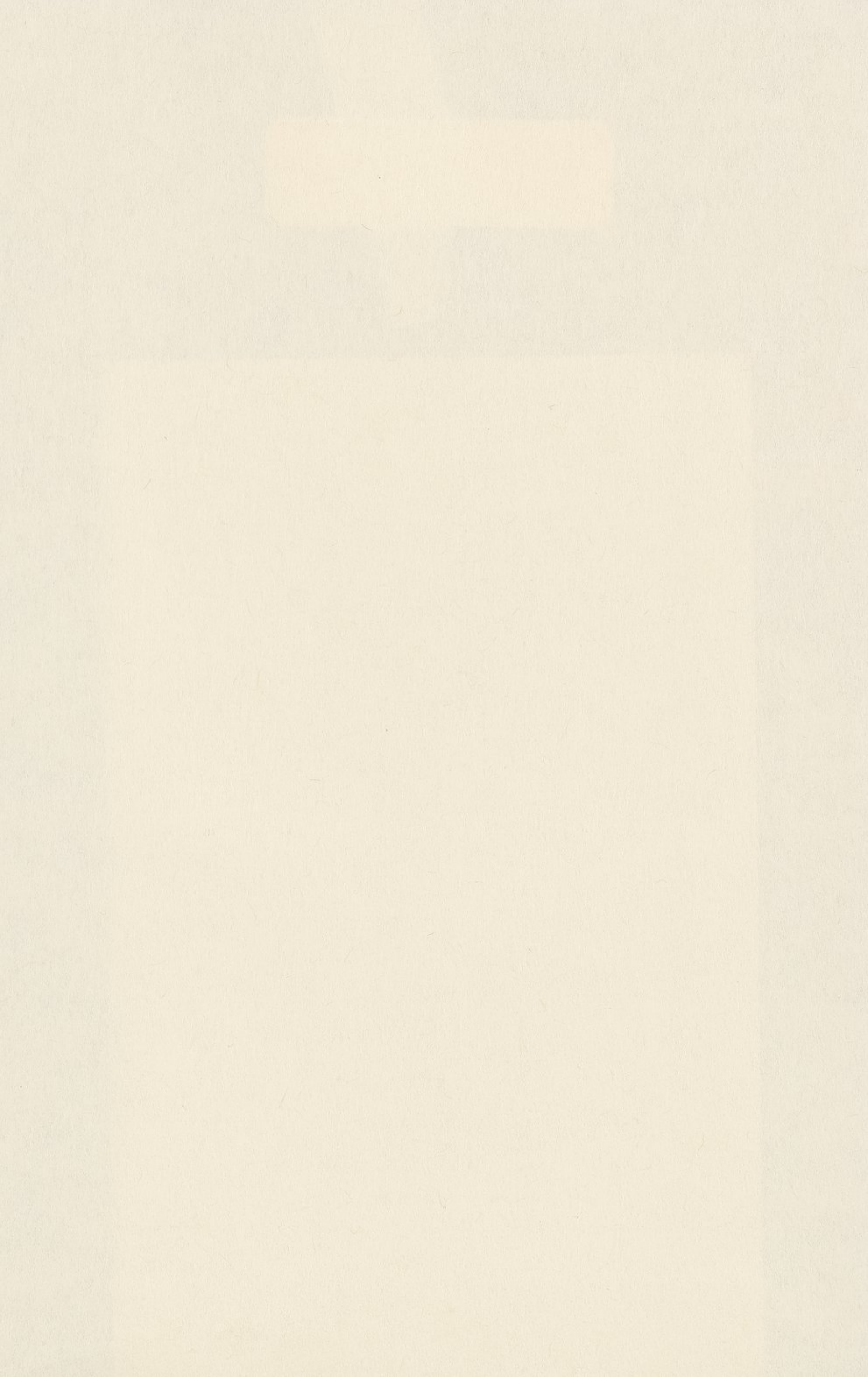
الممهّدون للمهدي

عليه السلام

علي الكوراني




Princeton University Library
32101 059174639



دراسةٌ في الخريطة السياسية لعصر الظهور

الممهّدون للمهدي

عليه السّلام

بقلم
علي الكوراني

مركز النشر ـ مكتب الاعلام الاسلامي

● اسم الكتاب : الممهدون للمهدي

● الكاتب : علي الكوراني

● الناشر : مركز النشر ـ مكتب الاعلام الاسلامي

● الطبعة : الأولى

● طبع على مطابع : مكتب الاعلام الاسلامي

● تاريخ النشر : محرم ١٤٠٥

● طبع منه : : ٥٠٠٠ نسخة

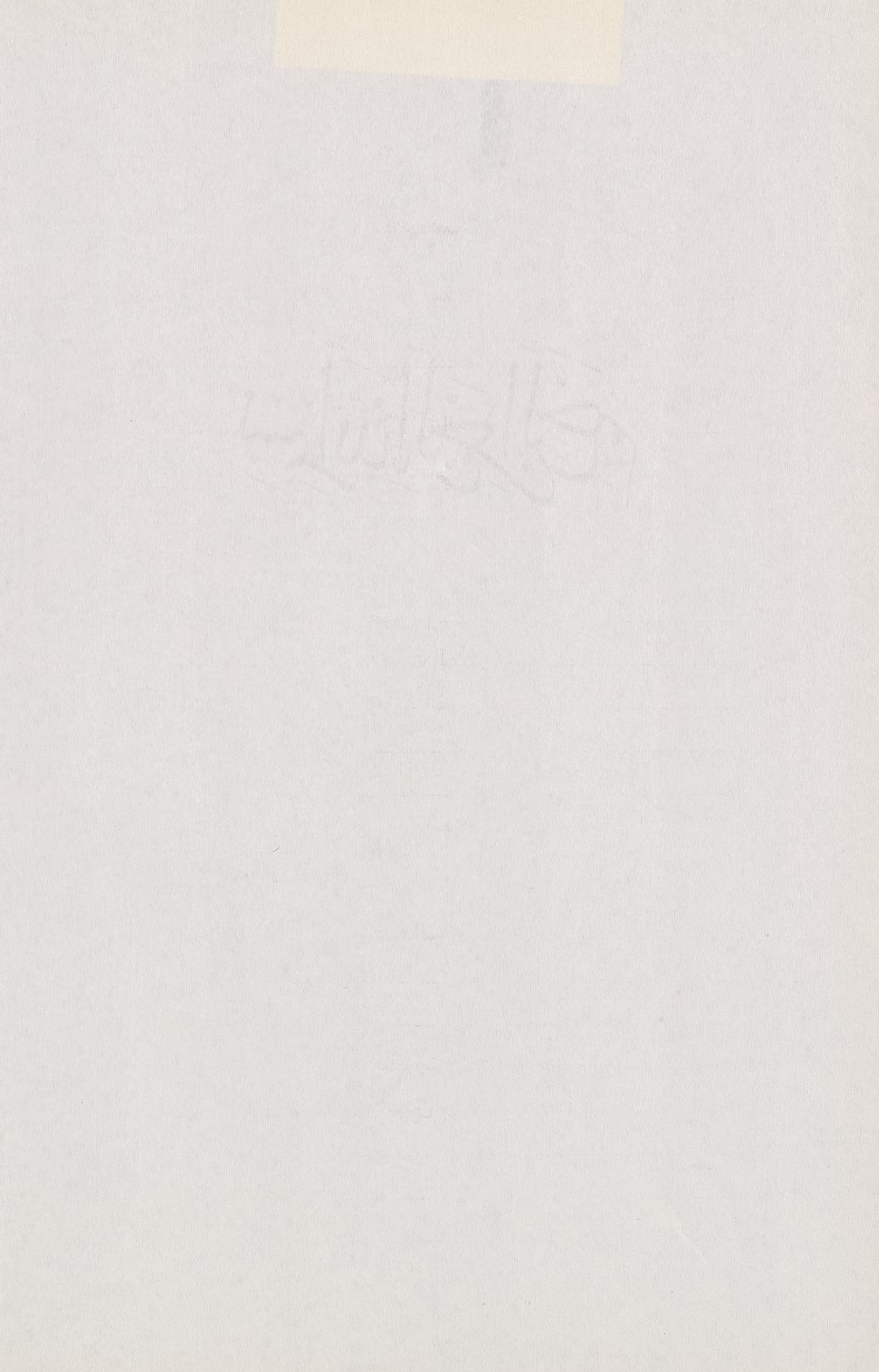
مراكز التوزيع :

● قم ـ شارع ارم ـ مكتبة مكتب الاعلام الاسلامي ـ هاتف : ٢٣٤٢٦ .

طهران ـ شارع ناصر خسرو ـ زقاق حاج نايب ـ سوق خاتمي هاتف : ٥٣٩١٧٥



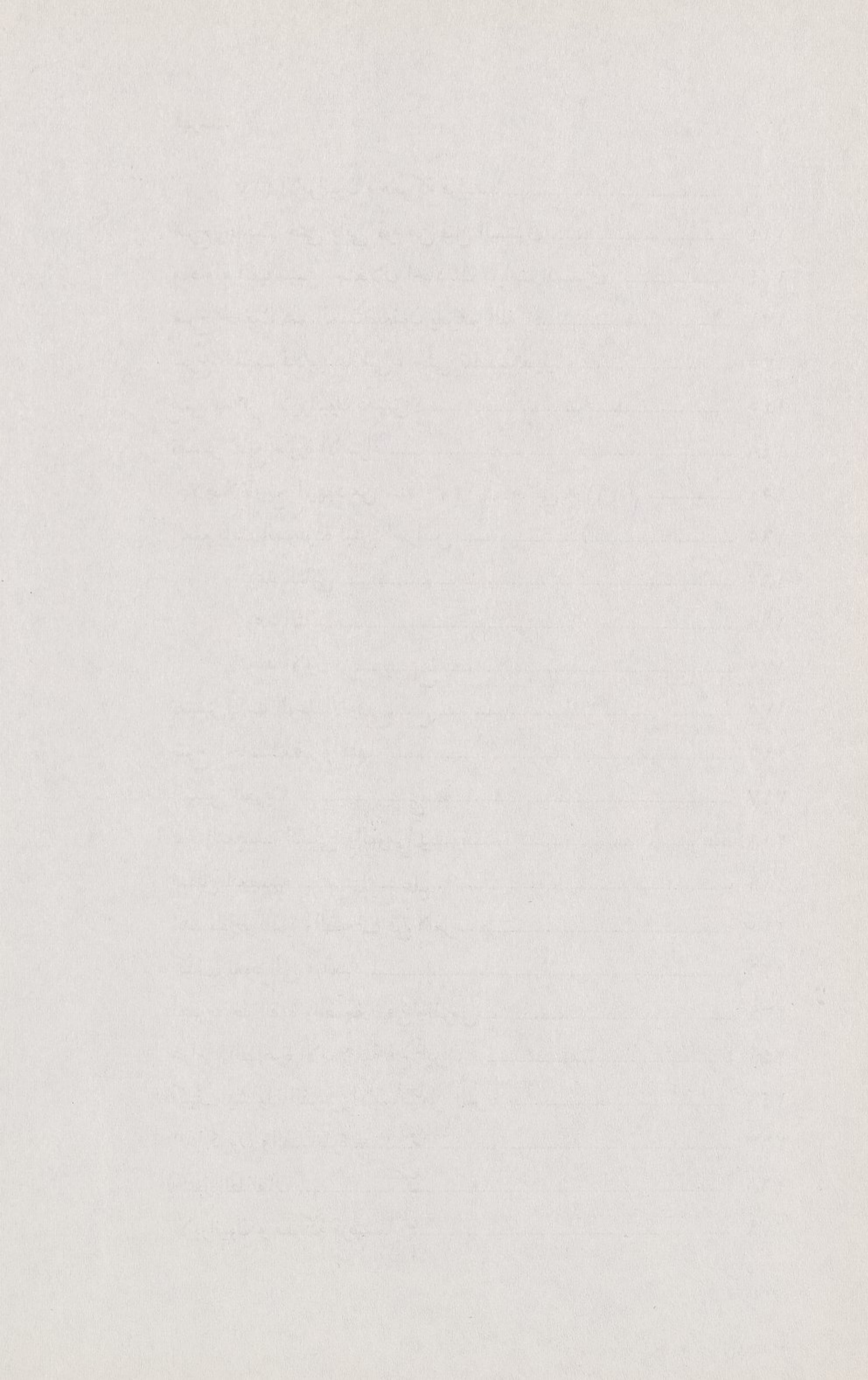
بسم الله الرحمن الرحيم



فهرست

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث



مقدّمة

في نهضة الاسلام المعاصرة لم تأخذ أحاديث البشارة النبويّة الشريفة بالمهدي عليه السلام حقّها من الإهتمام النظري والعملي لدى المسلمين.

نعم لقد ظهرت في السنوات الأخيرة كتب ومقالات عديدة في العراق ومصر وإيران والحجاز، وغيرها، حول عقيدة المسلمين في ظهور المهدي ونزول المسيح عليهما السلام .. ولكن ذلك لايتناسب من ناحية النوعية ولامن ناحية الكميّة مع الأهميّة العقائديّة والسياسية الخاصّة للموضوع.

إنّ عقيدة المهدي عليه السلام تعيش في وجدان المسلمين في شرق الأرض وغربها، ولعلّك لاتجد مسلماً إلاّ ولها في وجدانه نبض بشكل من الأشكال لما سمع من أحاديث النبي (ص) وقد اختبرت ذلك في موسم الحجّ مع أكثر من ثلاثين مسلماً من بلاد مختلفة ومستويات متفاوتة.. فهي إذن طاقة تستطيع أن تحرّك جماهير المسلمين وأن تكون عاملاً في صنع تاريخهم.. وبالفعل فقد اتّخذت حالات تشكيل مختلفة في تاريخنا الحديث فكانت المحرّك الأول في مقاومة الاستعمار البريطاني في حركة

الأنصار السودانيّة، وكانت المحرّك الأول فى حركة المسجد الحرام على يد العتيبي والقحطاني، وكانت محرّكاً أساسيّاً في حركة الجهاد والهجرة على يد الشهيد مصطفى شكري في مصر، كما كان لها دورها الهام في الثورة الاسلامية في ايران على يد الإمام الخميني دام ظلّه، وبانتصار هذه الثورة المباركة انبعثت عقائد الاسلام في أعماق المسلمين من جديد، وصار لعقيدة المهدي من بينها وقع خاص في قلوبهم، وفي أذهان العالم.

وَلَسَوْفَ تستأثر هذه القضيّة باهتمام المسلمين والعالم أكثر فأكثر كلّما حقّقت مسيرة الإسلام نصراً جديداً، أو دخلت مع أعدائها في مرحلة مواجهة جديدة.

إنّ الْكُتَّابَ المسلمين يواجهون منذ اليوم طلباً مُلِحّاً من جماهير المسلمين والعالم أن يقدّموا لهم الكثير والمزيد عن قضيّة المهدي عليه السلام، ومن الطبيعي أن تتزايد هذه الحاجة باطراد .. وأن تكثر الاتجاهات والاجتهادات في تلبيتها.

* *

في عقيدة المهدي في الاسلام ليست مشكلة الباحث في قلة النصوص من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعلّقة بالموضوع.. ولكنّها في منهج التعامل مع النصوص وأسلوب دراستها ونشر نتائجها بين المسلمين.

لقد اهتمّ الرواة والعلماء المسلمون على مرِّ الأجيال وعلى اختلاف مذاهبهم بأحاديث المهدي عليه السلام، وأفردوا لها أبواباً في كتب الحديث حتى لايكاد يخلو منها مصدر، وألّف فيها العديدون رسائل وكتباً خاصّة.. وكانوا بذلك يؤدّون الأمانة و يلبّون حاجة عصرهم، جزاهم الله عن المسلمين خيراً.

أمّا في حركة الاسلام المعاصرة الممهّدة لظهور المهدي عليه السلام فانّ الحاجة تدعو الى جهود مكثّفة وبحوث متعدّدة من قبل أفراد

ومؤسسات، لكي نقدّم لأمتنا وللعالم كلّ مافي الاسلام عن المهدي عليه السلام.

وأحسب أن استخراج الخريطة السياسية أوتقديم التصوّر العام لعصر الظهوريقع في طليعة البحوث التي تمس الحاجة اليها.

إنّ هذه المجموعة الحديثيّة الشريفة التي قدتزيد على خمس مئة حديث والتي تتحدّث عن مرحلة الانفجار العالمي في حركة الاسلام.. لترسم خريطة سياسية لحركة الأمّة والعالم في عصر الظهور، وكلّما اقتربت من زمن الحدث أو منطقة الحدث (الحجاز وايران والعراق وبلاد الشام وفلسطين) كثرت فيها التفاصيل حتى تتناول الأمكنة والأسماء والأيام والساعات!

ومهما كان الجهد الذي يحتاجه هذا العمل فهوفي سبيل واحدة من عقائد الاسلام التي من شأنها أن تبعث في أمّتنا اليقين والطمأنينة الثوريّة.

كنت أودّ لوأتوفّق لنشرهذه الدراسة دفعة واحدة، لكنّي اضطررت لأن أقدّمها أقساماً كلّما سمح الوقت، راجياً بذلك أن أوجّه الإهتمام لتناول قضيّة المهدي عليه السلام من هذا الاتجاه الأصيل المفيد في حركة جهاد أمّتنا المتصاعد.

* *

اجماع المسلمين على صحّة البشارة النبويّة

أجمع المسلمون على مرِّ أعصارهم ومختلف مذاهبهم على صحة أحاديث البشارة النبويّة الشريفة في المهدي المنتظر، ولم يشذ عن الاجماع إلاَّ أفراد اعتمدوا على الاستغراب والاستبعاد، وقام العلماء بردّهم وتفنيد قولهم.

والسبب في هذا الإجماع أن الأحاديث الشريفة عن النبي (ص) في الموضوع متواترة وكثيرة، تبلغ العشرات بل المئات. ومعنى الحديث المتواتر أن يكثر رواته و يتنوّعوا بحيث لايمكن اتّفاقهم على الكذب.

قال صاحب غاية المأمول «اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنّه في آخر الزمان لابدَّ من ظهور رجل من أهل البيت يسمّى المهدي.. وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة، وخرّجها أكابر المحدّثين: كأبي داود، والترمذي، وابن ماجه، والطبراني وأبي يعلى، والبزّاز، والإمام أحمد، والحاكم رضي الله عنهم أجمعين. ولقد أخطأ من ضعّف أحاديث المهدي كلّها. قال الحافظ في فتح الباري: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمّة وأن عيسى بن مريم سينزل و يصلّي خلفه» ج ٥ -ص ٣٦٢.

وقال الشوكاني في رسالته المسمّاة «التوضيح في تواتر ماجاء في المنتظر والدّجّال والمسيح» بعد سرد الأحاديث: «وجميع ماسقناه بالغ حدّ التواتر كما لايخفى على من له فضل اطلاع».

وقال الصبّان في اسعاف الراغبين: «وقد تواترت الأخبار عن النبي (ص) بخروجه وأنّه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً» ج ٢ -ص ١٤٠.

وقال الشيخ عبد الحق في اللمعات «قد تظاهرت الأحاديث البالغة حدّ التواتر في كون المهدي من أهل البيت من أولاد فاطمة» حاشية صحيح الترمذي ج ٢ -ص ٤٦.

وقال ابن حجر الهيثمي «والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة» الصواعق المحرقة ج ٢- ص ٢١١.

وقال السويدي «الذي اتّفق عليه العلماء أن المهدي هو القائم في آخر الوقت، وأنّه يملأ الأرض عدلاً، والأحاديث في ظهوره كثيرة» سبائك الذهب ص ٧٨.

وقال ابن خلدون «إعلم أنَّ المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممرِّ الأعصار أنّه لابدَّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين و يظهر العدل و يسمَّى بالمهدي» المقدمة ص ٣٦٧.

وقد عدّد الشيخ عبدالمحسن العبّاد المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ستة وعشرين صحابيّاً ممّن سمعوا من النبي (ص) أحاديث البشارة بالمهدي المنتظر، وثمانية وثلاثين محدثاً ومؤلفاً أخرجوا هذه الأحاديث، وعشرة من العلماء خصّوا الموضوع بمؤلفات خاصّة. جاء ذلك في محاضرة موسّعة بعنوان «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» وقد علّق الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي السعودية اليوم على المحاضرة وأشاد بها وقال «انَّ الحقّ والصواب هو ماأبداه فضيلته في هذه المحاضرة كما بينّه أهل العلم، فأمر المهدي أمرمعلوم والأحاديث فيه

مستفيضة بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها كما حكاه الأستاذ في هذه المحاضرة، وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها، وصحابتها، ورواتها، وألفاظها، فهي بحق تدلّ على أنَّ هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حقٌ».. كانت هذه المحاضرة والتعليق عليها في سنة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م ونشرتها مجلة الجامعة الاسلامية في عدد ذي القعدة من تلك السنة.

وقد استخرج الباحث الشيخ لطف الله الصافي في موسوعته «منتخب الأثر» أحاديث المهدي عليه السلام من أكثر من ستين مصدراً من كتب السنة من ضمنها الصحاح الستة، وأكثر من تسعين مصدراً من كتب الشيعة من ضمنها الكتب الأربعة، وقام بتبويب أحاديثها. وسنختم هذه الدراسة إن شاء الله بذكر أسماء مجموعة من المصادر والكتب كي يرجع اليها من أراد التوسّع في الموضوع.

*

البشارة النبويّة بين الجانب النفسي والمنهجي

(١)

الناظر في آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة الشريفة التي تتحدّث عن مستقبل الأمّة الاسلامية والعالم.. يراها ترسم مسيرة الاسلام والمسلمين في خطّين يسيران معاً:

الأول خطّ ابتعاد المسلمين عن الله تعالى وانحرافهم عن الاسلام وغلبة الأُمم الكافرة والمشركة عليهم، في مثل قوله تعالى «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ الشَّاكِرِينَ» ١٤٤ ـآل عمران.

وعن النبي (ص) «إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ. قِيلَ وَمَنِ ٱلْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: النُّزَّاعُ مِنَ ٱلْقَبَائِلِ» مسند أحمد ج ١ـ ص ٣٩٨. والنّزاع من القبائل: الأفراد القلائل الذين يخرجون عن مألوف أهليهم وأقوامهم.

وعنه (ص) «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَتَبِعْتُمُوهُمْ. قُلْنَا يَارَسُولَ ٱللَّهِ: ٱلْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَنْ؟» مسند أحمد ج ٣ ص ٨٤. وقريب منه في فتح الباري ج ١٧ ص ٦٣.

وعنه (ص) «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ ٱلأُمَمُ كَمَا تَدَاعَىٰ الأَكَلَةُ عَلَىٰ قَصْعَتِهَا. قُلْنَا يَارَسُولَ ٱللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ ٱللَّهُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ. قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ» مسند أحمد ج ٥ ـص ٢٧٨.

والثاني خط حفظ الاسلام وثباته وصموده، ثمّ انتصاره وشموله لكلّ العالم.. في مثل قوله تعالى «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ» ٣٣ ـالتوبة.

وعن النبي (ص) «لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ.. حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» فتح الباري بشرح البخاري ج ٧ ص ٤٤٥.

وعنه (ص) «لَنْ يَزَالَ أَمْرُ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ مُسْتَقِيماً حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» صحيح البخاري ـ كتاب الاعتصام ـ ١٠.

ومن أهمّ معالم هذا الخط بشارة النبي (ص) بظهور المهدي ونزول المسيح عليهما السلام لكي يدعو النصارى الى الاسلام.

وبهذين الخطين معاً كانت مسيرة تاريخنا الاسلامي وحاضره.. حتى يتمّ وعد الله تعالى، و يشرق نور الاسلام على الأرض كلّها.

(٢)

واذا أخذنا هذين الخطين من ناحية تأثيرهما في البناء النفسي في شخصية المسلمين نرَ أنَّهما: مؤثر سلبي اذا صحّ التعبير، ومؤثر ايجابي، ونتيجتهما الطبيعية هي التوازن مابين التشاؤم لسوء الواقع والتفاؤل بازدهار المستقبل.

غير أنَّه يوجد عاملان آخران يشاركان في بناء (سيكلوجية) المسلمين بفعالية وهما: عقيدة التسليم لله تعالى وأنَّه المهيمن على الحياة فاذا أدّى المسلم ماعليه فلاعليه أن يجري التاريخ بما أذن الله وأراد. وعقيدة النصر والفوز في الآخرة.. و بذلك يملك المسلمون ثلا ثة عوامل ايجابية في مقابل عامل سلبي، والنتيجة الطبيعية لذلك: حالة نفسية متفائلة واثقة بنفسها وغدها، عاملة لهدفها بإقدام.

ولكن لماذا لايعيش المسلمون هذه الحالة الروحية العالية؟

الجواب البسيط: أنّنا لم نبن حالتنا النفسية بهذه العقائد الأربع التي هي أهمّ مكوّنات السيكلوجيّة الاسلامية.

فأولئك الذين يرون الخط السلبي من تاريخنا وحاضرنا، ولايرون الخط الايجابي الذي صمد على مرّ العصور والظروف و واصل نموه كميّاً ونوعيّاً، وهاهو يعطي ثماره تياراً اسلامياً قويّاً في الأمة يمهّد لانتصار الاسلام الكبير الموعود..هل بنوا حالتهم النفسية من مكوّنات اسلامية؟ كلاّ.

وأولـئـك المتشائمون الذين يندبون الزمان وأهله و يقرؤون العزاء على واقـع المـسلمين، ثمَّ يقعدون و يثبّطون الناس عن العمل، بل يشتغلون في انتقاد العاملين وعرقلة عملهم.. هل بنوا حالتهم النفسية بمصادر الاسلام ومكوّنات الحالة النفسية فيه؟ كلاَّ.

إنَّ الـنـزعـة المـتشائمة التي لا ترى الخير الذي في الأمّة ولا تأمل بنصر الله تـعـالى إنَّما هي نـاتجة مـن ضـغـط مـفـاهيم الثقافة الغربية والسيطرة الـكـافـرة، ومـن الـتـخـلّـف والـشـعـور بـالـصَّغار الذي يركزه في نفوسنا الـغـربـيّـون، وصـاحـب هذه الحالة غربي الروحيّة حتى لو كان بزيّ علماء المسلمين، أو كان من أريافنا البعيدة عن الشريحة الاجتماعية المتغربة الموجودة عادة في العواصم والمدن.

لـقـد آن لـنـا في عصر الاسلام والـشعوب أن نتخلّص من رواسب الحـمـلـة الـغـربـيـة على «روحـيّـات وعواطف الشرقيين» أي على البناء الـنـفـسـي لـلـمـسلمين، وأن نبني روحيّة جماهيرنا بناء اسلاميّاً كاملاً.. وقدآن لـعلماء المسـلمين أن ينهضوا بهذه المسؤوليّة التي هي من صلب العمق العلمي والفقهي، ومن أولى المسؤوليات.

إنَّ عـقـيـدة «حـتـمـيّـة تحقّق بشارة النبي (ص) بظهور القائد المظفّر والخليفة والامام المهدي وظهور الاسلام على أرجاء المعمورة» يجب أن تهزّ أعماق قلوبنا بلهفتها وفرحتها وحرارتها، وتدفعنا لأن ننشرها بين جماهيرنا ونـلـهـج بها، ونرفع لها الشعارات ونبتكر لتركيزها الوسائل، حتى تمتلىء قلوب شعوبنا شوقاً وأملاً وعملاً الى لقاء قائدها المؤيّد عليه السلام.

قد يـقـول الـبعض: نعم إنَّ لإحياء هذه العقيدة الإسلامية تأثيرات هامة و بركات كثيرة على سيكلوجيّة شعوبنا، خاصّة ونحن نواجه هجمة

شرسة من أعدائنا وحالة صغار في حكّامنا .. ولكن لها تأثيراً سلبياً هو الإفراط في التفاؤل، وهذا قد يساعد الجماهير في تحقيق أهداف وانتصارات، ولكن مردوده في النهاية الإحباط وخيبة الأمل.

لانطيل في الردّ على ذلك بالتحليل التاريخي النفسي وماحقّقته هذه العقيدة من زخم إيجابي في صناعة التاريخ وتصحيحه ولا تزال .. ولكن نستدلّ بأصل أمر الله عزّوجلّ لرسوله (ص) بتبليغ هذه البشارة.

إنَّه تعالى يعلم أن بعث الأمل بانتصار الإسلام في العالم على يد المهدي عليه السلام سينتج عنه في المسلمين حالة توقع نفسية كثيراً ماتكون مفرطة في التفاؤل .. ومع ذلك أمر رسوله (ص) أن يبلغ هذه البشارة و يركزها في نفوس المسلمين، وماذلك إلاَّ لأنَّه لاضرر من حصول هذا التفاؤل، بل هناك ضرورة لتحقيق هدفين أساسيّين من تبليغ النبي (ص) للبشارة بالمهدي عليه السلام، أولهما: تحذير المسلمين من الإنحراف مع موجة الإنحراف العامّة التي ستحدث. وثانيهما: بعث الأمل في نفوس المسلمين بانتصار الاسلام مجدداً وظهوره على الدين كلّه ..

(٣)

وأوّل ماينبغي للباحث في أحاديث البشارة النبو يّة أن يميّز بين صفات آخر الزمان الذي منه عصر ظهور المهدي عليه السلام و بين صفات وردت عن النبي (ص) والأئمة عليهم السلام لأزمنة وعصور أخرى سوف تأتي على الأمّة .. فإنَّ مجرد قول النبي (ص) سيأتي على أمّتي زمان يكون فيه كذا، لايدلّ على أنَّه آخر الزمان مالم يوجد نصّ أو قرينة تحدّد

ذلك. وأن يفرّق كذلك بين العلامات والصفات العامة لآخر الزمان، والأحداث القريبة المتصلة بظهور المهدي عليه السلام.. فمن الممكن للباحث أن يصل الى الاطمئنان أو القطع بأن هذا الزمان هو آخر الزمان بسبب مجموع الصفات والعلامات الواردة عن النبي (ص) وانطباقها بصورة كليّة أو تفصيليّة على الواقع، ولكن كيف يمكن أن يحكم أنَّ آخر الزمان فترة محدّدة بخمسين سنة أو بقرن واحد مثلاً، ومايمنع أن تكون عدة قرون؟

وكذلك لايكفي انطباق الصفات العامة لآخر الزمان لكي نحكم أن هذا القرن، أو نصف القرن -مثلاً- هو عصر الظهور بل لابدَّ من انطباق الأحداث المحددة التي ورد النصّ على أنَّها قريبة نسبياً من الظهور، وعلى ذلك اعتمدنا في هذه التسمية لعصرنا. ومن البديهي أن تطبيق الحدث المنصوص على الحدث الواقع لابدَّ أن يكون علمياً مقنعاً، سواء من جهة وضوح النصّ ووضوح الحدث، أو من جهة نفي احتمال أن يكون الحدث قد مضى أو سوف يأتي.. الخ.

وهكذا نجد أحاديث البشارة النبوية تتسلسل في تحديد الفترات الزمنية وأوصافها وأحداثها كالتالي:

١ - عصور وأزمان مطلقة، أخبر النبي (ص) أنَّها ستأتي على الأمة من بعده ولم يسمها آخر الزمان، ووصف فيها جوانب من حالة الأمة وظروفها المحيطة.

٢ - آخر الزمان، وقد تضمّنت أحاديثه بالإضافة الى الأوصاف العامة لحالة الأمة وظروفها المحيطة أحداثاً معيّنة زيادة عمّا ذكر من صفات وأحداث العصور المطلقة.

٣ ـ عصر الظهور، وقدحدّد له(ص) صفات عامة وأحداثاً معيّنة.

٤ ـ سنوات الظهور، و يزداد في أحاديثها تحديد الأحداث والإرهاصات.

٥ ـ سنة الظهور، وتحدّد أحاديثها أحداثاً مفصلة تحديداً دقيقاً، خاصة في النصف الثاني منها إبتداءً من خروج السفياني في رجب، الى النداء في رمضان.. الى قتل النفس الزكيّة في ٢٥ ذي الحجّة.. الى ظهور المهدي عليه السلام في اليوم التاسع اوالعاشر من شهر محرّم.

٦ ـ عصر أو عصور الدولة الاسلامية العالمية بقيادة المهدي عليه السلام.

٧ ـ علامات وارهاصات القيامة، مثل خروج الدابة من الأرض تكلّم الناس.. والنار التي تخرج من عدن وغيرها فتسوق الناس الى المحشر.. الخ.

والأحاديث التي وصفت عصوراً وأزماناً ستأتي على الأمة قدتبلغ المئات.. بينما الأحاديث التي وصفت آخر الزمان بهذا الاسم، أو بما يدلّ عليه لا تتعدى العشرات، مثلاً في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف» الذي يشمل تسعة مصادر هي الصحاح الستة مع مسند الدارمي وموطّأ مالك ومسند أحمد، نجد في مادة «زمن» حوالي ثلاثين حديثاً منها أكثر من عشرين عن أزمان مطلقة تأتي على الأمة، وأقل من عشرة أحاديث عن آخر الزمان.

وأمّا الأحاديث التي تصف أحداثاً قريبة يمكن بواسطتها أن نحدّد عصر الظهور، أو تلك التي تصف أحداث سنوات الظهور و بالأخص سنة الظهور فهي كثيرة تبلغ المئات، والأحداث التي وصفتها تبلغ العشرات.

وكذلك فإنَّ الأحاديث التي تصف أحداث قيام الدولة الاسلامية العالمية وازدهارها وامتدادها الى علامات القيامة وارهاصاتها .. تبلغ العشرات.

(٤)

وكما هو الحال في أيّ بحث روائي تاريخي سيواجه الباحث عدة مشاكل، منها: الأحاديث الموضوعة بسبب محاولات استغلال البشارة النبوية الشريفة منذ صدر الاسلام وعلى مرّ العصور تقريباً. وأكثرها تأثيراً في ذلك محاولات الحسنيّين والعباسيّين في قضيّة رفع الرايات السود في خراسان، وتسمية كل من ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ومحمد بن المنصور بـ«المهدي» وتسمية محمد بن عبدالله بن الحسن بالنفس الزكية.

وسبب آخر في وجود الأحاديث الموضوعة هو قابلية الموضوع للوضع والأسطورة، فإنَّ الجانب الغيبي والإعجازي والمستقبلي في هذه البشارة المقدّسة قد استهوى بعض ذوي الخيالات ممّن لا دين لهم، فكذبوا على رسول الله (ص) وعلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأضافوا من ظروف عصرهم وأهوائهم أو من الإسرائيليّات عدداً من الروايات، وقد ذكر علماء الحديث عدداً من الأحاديث الموضوعة في ما يتعلّق ببشارة النبي (ص) بالمهدي عليه السلام منهم ابن الجوزي في كتابه (الموضوعات) والذهبي في (ميزان الاعتدال) وابن عراق في (تنزيه الشريعة) وأخيراً المحدّث الألباني في كتابه (الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة).

ومنها مشكلة الخلط بين الفترات الزمنية و بين أحداثها خلطاً كثيراً لم يقتصر على المؤلفين في البشارة، بل شمل بعض الرواة أنفسهم فأصبحت مادة الرواية مشوشة ومشوهة في بعض الحالات.

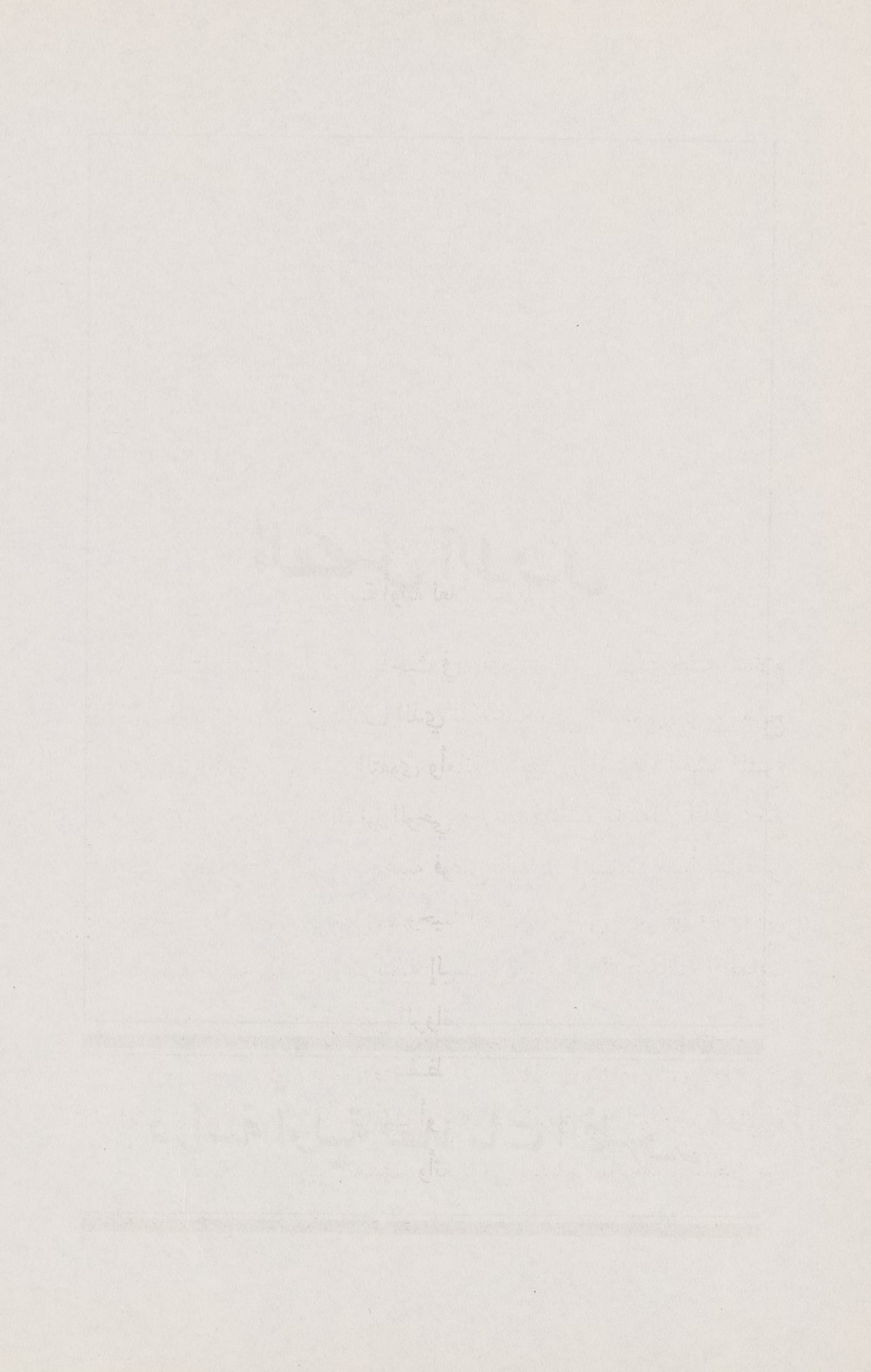
ومنها: مشكلة تطبيق الأحداث الواردة على أحداث ماضية أو حاضرة.. الخ.

ومن نافلة القول أنَّ وسيلة الإثبات لدى الكاتب في مثل هذا البحث تختلف عنها في البحث الفقهي لعدم إمكان الاعتماد على قاعدة حجيّة خبر الواحد هنا لخروج البحث غالباً عن دائرة هذه الحجيّة الشرعية المحددة بالمنجزية والمعذرية أي بتنجيز التكليف وتعذير المكلّف، بل يتعيّن على الباحث أن يعتمد وسيلة إثبات مركّبة ومعقدة هي تجميع القرائن العامة والخاصة في عملية من التتبع والمحاكمة والإستنتاج كثيراً ما تكون دقيقة وشاقة.. يفتح الله بها على من يشاء من عباده أبواباً من الهداية و يبقى الباب مفتوحاً لمزيد من البحث والهداية الإلٰهية. سبحانك لاعلم لنا إلاَّ ماعلّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم.

*

الفصل الاول

دراسة أولية لعلامات الظهور



دراسة أولية لعلامات الظهور

يتردّد القارىء أو الباحث في علامات ظهور المهدي عليه السلام طويلاً بين الرغبة والتلهّف الذي يلحّ عليه وعلى المسلمين، و بين منهج التثبّت الذي تمليه عليه التقوى وأمانة البحث.. في هذا الحشد المتنوع من الروايات يلمس حيناً نور الوحي وصدقه فيخشع لله تعالى الذي أطلع رسوله (ص) على شيء من غيبه فوصل إلينا.. و يلمس حيناً التناقض والوضع والسجع المفتعل.. وحيناً آخر يحسّ بشيء من نور وأثارة من علم، وعليه أن يجد طريقه إليها بين طبقات الأصداف وظلمات التحريف والتخليط من بعض الرواة.

فمن الرواة من وعى وحفظ الأمانة وأدّاها. ومنهم من وسوس له الشيطان أن يحرِّف الحديث أو يختلقه فكذبوا على النبي (ص) والأئمة عليهم السلام فأهلكوا أنفسهم وأتعبوا من بعدهم أعاذ الله المسلمين من شرِّهم.

وجاء المؤلِّفون في هذا الموضوع فقام بعضهم بإجلاء بعض الجوانب وإلقاء عدد من الأضواء جزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً. وجاء بعضهم كحاطب ليل، كأنّما أشرب حبّ التخليط، يقبل كلّ ماروي، و يعمل لاقناعك به، و يتعسّف الجمع بين متضاده ومتناقضه وهيهات.. أو يطبق العلامات على أحداث عصره بتفسيرات لاسند لها إلاّ الإحتمال المطلق، وكأن العلامات كلّها تخصّ عصره ومابعده بسنوات وليس منها علامة تحققت في الماضي الطويل أو تجيء في المستقبل البعيد. وقدأصبح من المتعارف في الكتب المتأخرة عدّ الصفات العامة لعصرما بعد النبوة في علامات الظهور، وعدّ علامات الساعة والقيامة في علامات الظهور، حتى أن بعضها ينصّ على أنّه من علامات الساعة و يعدّه بعضهم في علامات الظهور و يفسّر الساعة بساعة الظهور! مع أنّ مصطلح «الساعة» في نصوص الإسلام يعني القيامة بداهةً.

من أجل ذلك فإنّ الدراسة الكاملة لعلامات الظهور تحتاج الى مزيد من التتبع والدقة والمقارنة.

وفي هذا البحث الأوّلي عن المهدي عليه السلام أقدم فهرساً أوليّاً لأهمّ العلامات مع بعض الملاحظات حولها.

شخصيّات ذكرت في علامات الظهور

١ ـ نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وأحاديثه كثيرة صريحة متواترة في مصادر الشيعة والسنة، وأصل نزوله عليه السلام موضع إجماع المسلمين. و يذكر المفسّرون هذه الأحاديث عادةً في تفسير قوله تعالى:

«وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» النساء-١٥٩. وفي أحاديث الفتن وأشراط الساعة.

وتُجمع الأحاديث على أن وقت نزوله يكون بعد ظهور المهدي عليهما السلام وأنَّه يصلّي خلف المهدي، وعليه فعدّ نزوله من علامات الظهور مبني على التسامح وشمول العلامات لما كان من آيات ودلالات ربانيّة قبل الظهور وأثناءه و بعده.

٢ - النفس الزكية وأبنا عمّه، والأحاديث فيهم من مصادر الشيعة كثيرة تبلغ حدّ التواتر، وتعدّ هذه العلامة من المحتومات الخمس. وأحاديثها من مصادر السنة أقل ممّا في مصادر الشيعة ولكنَّها عديدة، وقد ورد في بعض هذه الأحاديث أنَّه حسني وفي أكثرها أنَّه حسيني وأن اسمه محمَّداًبن الحسن وأن ابني عمّه أخ وأخت إسمهما محمد وفاطمة، يفرّون من جيش السفياني من العراق و يدخلون المدينة، فيقبض الظالمون على ابن عمّه وأخته و يقتلونهما و يصلبونهما في المدينة المنورة و يفرّ هو الى مكة فيقتلونه ظلماً وعدواناً بغير ذنب في الخامس والعشرين من ذي الحجّة الحرام في المسجد الحرام بين الركن والمقام، وليس بين قتله وظهور المهدي عليه السلام إلاّ خمس عشرة ليلة.

٣ - ستة أشخاص، ورد ذكرهم في أحاديث رايات المشرق وخراسان، هم: رجل يخرج من قم. والخراساني الحسيني و يعبر عنه في مصادر السنة بالهاشمي. والسيد الأكبر. وشعيب بن صالح قائد قوات الخراسانيّين، وقائد قوات المهدي عليه السلام. والسيد الجيلاني الذي يعاون شعيباً بن صالح. والهاشمي الذي يقصد بيت المقدس فلايبلغه.

والأحاديث في الخراساني وشعيب كثيرة متواترة من مصادر السنة

والشيعة، كما ورد ذكر السيد الأكبر عند الطرفين أيضاً. أمّا الثائر من قم وأصحابه والمتحرّك من جيلان (گيلان) فقدورد ذكرهما في مصادر الشيعة خاصة ـ في حدود اطلاعي ـ.

وسيأتي ذكر الجميع في موضوع الممهّدين للمهدي عليه السلام إن شاء الله تعالى وأنَّ المرجّح أن يكون السيد الأكبر والثائر من قم شخصاً واحداً.

٤ ـ اليماني، أحاديثه من مصادر الشيعة متواترة وقدعدّته من المحتومات الخمس وأنَّه يظهر في اليمن قبل السفياني، أو مقارناً له، وأنه يدعو الى الحقّ وتجب اجابة دعوته، وأنَّه يتوجّه الى العراق وسوريا و يشارك مع الخراساني في قتال السفياني، وأنَّه من ولد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.

وربما كانت رواية «يَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ قَرْيَةٍ يُقالُ لَها كَرْعَةٌ» كما في البحار ج ٥٢ ـ ص ٣٨٠. واردة فيه ثمَّ نسبت اشتباهاً الى المهدي عليه السلام، كما قد يكون هذا اليماني هو المقصود بحديث «يَخرُجُ مَلِكٌ بِصَنْعاءَ إسْمُهُ حَسَنٌ أوْحُسَيْنٌ».

ووردت فيه في مصادر السنة أحاديث قليلة. وممّا يساعد على القول بصحة هذه العلامة حتى لولم تكن أحاديثها متواترة عدم وجود قرائن منافية أو ظروف سياسية توجب الشك في صحّتها. وتفسيرها بمن ظهر من الزيديّين في اليمن لايتّفق مع نصوص أحاديثها الصريحة في اتّصال حركته بظهور المهدي عليه السلام.

٥ ـ السفياني، وأحاديثه كثيرة متواترة من مصادر الشيعة والسنة، وقدتضمن الكثير منها تفاصيل خروجه في دمشق وحركته في سوريا والعراق وأطراف ايران والحجاز والقول بأن أحاديثه من وضع الأمويين لكي يقابلوا بها أحاديث المهدي الصحيحة.. جنوح في الإحتمال

وإغماض عن مئات الأحاديث الشريفة عند المسلمين. نعم نجد الاتجاه الأموي وراء وضع أحاديث مدح السفياني وأنّه يسلم الأمر للمهدي!

٦ ـ تسعة أشخاص ورد ذكر أربعة منهم في تحرّك السفياني، وهم، الأصهب أي الأحمر شعر الرأس، والأبقع أي الأبرص، والربيعي والجرهمي، يعارضون السفياني فيقتلهم جميعاً. وورد وصف الأصهب بالعلج وهي صفة للكفار من غير العرب. والخمسة الآخرون هم: الهجري، والعطرفي، والرقطي، والمرواني، والشيصباني، وورد ذكرهم في روايات متفرقة أنّهم يخرجون قبل ظهور المهدي عليه السلام، وأن الشيصباني يخرج في العراق.

وقد ورد ذكر الأبقع والأصهب في أحاديث السفياني في مصادر السنة، وورد ذكر الباقين في مصادر الشيعة خاصة ـ في حدود اطلاعي ـ.

٧ ـ عبد الله آخر من يحكم الحجاز، وردت أحاديث عديدة في مصادر السنة والشيعة تكاد تكون متواترة بأن ظهور المهدي عليه السلام يكون على أثر موت حاكم أو ملك أو خليفة واختلاف على من يكون بعده وحصول أحداث داخلية وفراغ سياسي في الحجاز.. وقد تفرّدت مصادر الشيعة بحديثين في حدود اطلاعي فيهما تفصيل عن هذا الحاكم: أحدهما عن الامام الصادق عليه السلام قال «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَوْتَ عَبْدِ ٱللَّهِ أَضْمَنْ لَهُ ٱلْقَائِمَ، أَمَّا إِنَّهُ إِذَا مَاتَ عَبْدُ ٱللَّهِ لَمْ يَجْتَمِعِ ٱلنَّاسُ بَعْدَهُ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَمْ يَتَنَاهَ هٰذَا ٱلْأَمْرُ دُونَ صَاحِبِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ وَيَذْهَبُ مُلْكُ السنِينَ وَيَصِيرُ مُلْكُ ٱلشُّهُورِ وَٱلْأَيَّامِ. قَالَ أَبُو بَصِيرٍ فَقُلْتُ: يَطُولُ ذَٰلِكَ ؟ قَالَ: لا»[1].

١. بحار الانوار ج ٥٢ ـ ص ٢١٠.

والحديث الآخر عن الإمام الباقر عليه السلام «يَمُوتُ سَفِيهٌ مِنْ آلِ (الْعَبَّاسِ) يَكُونُ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ يَنْكِحُ خِصْياً فَيَقُومُ فَيَذْبَحُهُ وَ يَكْتُمُ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً. فَإِذَا سَارَتِ الرُّكْبَانُ فِي طَلَبِ الْخِصِيِّ لَمْ يَرْجِعْ أَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ (إِلَى آخِرِ مَنْ يَخْرُجُ) حَتَّى يَذْهَبَ مُلْكُهُمْ»[١].

أمّا الحديث الأول فواضح الصلة بظهور المهدي عليه السلام، وأمّا الثاني فالظاهر أن المقصود بالسفيه هو عبدالله المذكور ولعلّ أصل الحديث «يموت سفيه من آل (فلان)» وليس من آل العباس ولكن الراوي سمى آل العباس لأنّه تصور أن الإمام عليه السلام استعمل الكناية عنهم.. وتوجد قرائن أخرى في الأحاديث عن الحجاز تصلح للربط بين الحديثين.

٨ ـ الدجال الأعور، وأحاديثه في مصادر السنة كثيرة جداً، وفي مصادر الشيعة قليلة، وتتّفق تقريباً على أنّه من علامات الساعة، وأنّه مولود وموجود منذ عهد رسول الله (ص) وأنّه يستعمل عجائب السحر فيغرى أتباعه، و يضلهم و يدّعي الربوبية، وأن المهدي والمسيح عليهما السلام يقاتلانه. وتتضمن أحاديثه غرائب غير مألوفة تحيط بشخصيّته وحركته وأفعاله.

وأقوى الاحتمالات في أمره أن يكون شخصاً حقيقيّاً يستغلّ التطوّر الذي تصل اليه العلوم الطبيعيّة في ظلّ الدولة الاسلامية بقيادة المهدي عليه السلام في أساليب من السحر، كما يستغلّ ردة الفعل السلبية للرفاهية العامة التي يعيشها الناس فيغري أتباعه بالمحرّمات والإباحية

١. كمال الدين للصدوق ص٦٥٥.

و يلبس عليهم بالسحر والشعوذة. وعلى هذا فإن الطابع الأسطوري الذي تتصف به أحاديثه يكون له أساس من الصحة. وان أضاف عليه بعض الرواة.

و يليه في القوة أن يكون الدجال هو الشيطان أبليس الذي طلب من الله تعالى أن ينظره الى يوم يبعثون فأجابه عزّ وجلّ «فإنّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إلىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» وقد ورد أن قتله في يوم الوقت المعلوم يكون على يد المهدي عليه السلام.

و يوجد احتمال آخر أن يكون الدجال نفس السفياني وقد وقع التضخيم في أوصافه وأحاديثه، وقد ذكرت بعض الروايات أن السفياني يبدو أعور وليس بأعور.. ولكن يبقى هذا الاحتمال ضعيفاً لأنَّ أكثر الصفات الواردة في الدجال لا تنطبق على السفياني، ومنها ادعاء الربوبيّة وعجائب السحر.

واحتمال آخر: أن يكون الأعور الدجال أو الدجال تعبيراً مجازياً عن اغراء الحضارة المادية الكاذبة المزيّفة، أو اغراء الدنيا ورفاهيتها الكاذبة.. وهو أيضاً ضعيف لصراحة الأحاديث بأنّه شخص حقيقي من نوع خاص يقود حركة عسكرية واضلالية في آخر الزمان.

و ينبغي التحرّز في بحث أحاديث الدجال من أمرين أحدهما: أن غالبية أحاديثه تقريباً عن كعب الأحبار. والثاني: أن من عقائد اليهود أن المسيح المنتظر عندهم يقتل الدجال.

ومن طريف ما اطّلعت عليه كتابان للدكتور مارسيل حدّاد أحد القساوسة اللبنانيّين يحاول فيهما اثبات انَّ الأعور الدجال هو اسرائيل و يشرح في أحدهما سفر الرؤيا من التوراة، و يفسّر في الثاني أحاديث

النبي (ص) في شأن الدجال بأنَّها تقصد اسرائيل.

٩ ـ ادعاء مئة شخص للنبوة وادعاء عدة أشخاص للمهديّة وخروج زنديق بقزوين، ورد فيها بعض أحاديث في مصادر الشيعة. واذا صحّ أنَّها من علامات الظهور فيمكن أن تكون قد تحقّقت. فالذين ادّعوا النبوة منذ مسيلمة الكذّاب أو منذ صدر الاسلام الى الآن كثيرون قد يزيدون على المئة، وقد يكون رقم المئة من باب التكثير. والذين ادعوا المهديّة منذ ادعاها المختار لمحمد بن الحنفيّة، الى موسى بن طلحة بن عبيد الله المعاصر للمختار، مروراً بالحسنيين، والعبّاسيّين، والفاطميّين والهنود، والسودانيّين، والبهائيّين.. الى جهيمان والقحطاني.. أكثر من خمسة عشر شخصاً[1]. أمّا زنديق قزوين فقد ورد في بعض الأحاديث أنَّه من جملة مدّعي النبوّة.

و ينقل عن رضاخان بهلوي أنَّه عندما أراد أن يطبّق على ايران الخطّة الكافرة التي طبّقها أتاتورك في تركيا فأجبر المسلمات على السفور فقاومه العلماء أنَّه قال: أوليسوا يروون أنَّه يخرج زنديق من قزوين فيهتك ستورها، فأنا ذلك الزنديق!

١٠ ـ المغربي والمصري، وردت فيهما أحاديث قليلة، فهم منها بعضهم أنَّهما صاحبا حركتين تكونان قبل السفياني، وعدّهما في علامات الظهور، أمّا المصري ففيه حديث أو أكثر يقول «يَخْرُجُ قَبْلَ السُّفْيانِيِّ مِصْرِيٌّ وَيَمانِيٌّ»[2]. فأمره محتمل، وأمّا المغربي فسيتّضح ضعف كونه من علامات

١. أحصى أحد الفضلاء تسعة اشخاص ادعيت لهم المهدية أو ادعوها منذ القرن الاول الى المهدي العباسي.

٢. بحار الانوار ج ٥٢ - ٢١٠.

الظهور في تحرّك المغربيّين والمصريّين الآتي إن شاء الله تعالى.

١١ ـ عوف السلمي، ورد فيه حديثان أو أكثر أحدهما عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام قال «يَكُونُ قَبْلَ خُرُوجِهِ «أي المهدي عليه السلام» خُرُوجُ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ عَوْفُ السَّلَمِي بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ يَكُونُ مَأْوَاهُ تِكْرِيتَ (أو كريت أو كويت) وَقَتْلُهُ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ ثُمَّ يَكُونُ خُرُوجُ شُعَيْبِ بْنِ صَالِحٍ»[١]. والأرجح أن المقصود بأرض الجزيرة المنطقة الواقعة عند ملتقى الحدود العراقية السورية التركية فهي التي تسمّى بلاد الجزيرة أو الجزيرة مجردة، أمّا جزيرة العرب فلا تستعمل مجردة منذ صدر الاسلام إلاّ مع وجود قرينة تدلّ عليها. وعلى هذا تكون تكريت أقرب الى هذه المنطقة من كريت أو كويت، ولايكون في النصّ مايدلّ على علاقة عوف هذا بالبصرة أو بصاحب الزنج الذي ظهر في القرن الثالث. وفي حدود استقصائي لم أجد ثائراً باسم عوف السلمي، فيكون احتمال صحة العلامة باقياً.

أقوام ورد ذكرهم في علامات الظهور

ورد في أحاديث الظهور ذكر تحركات عسكرية وسياسية مختلفة، لأقوام عديدين، ومناطق واسعة، تكاد تشمل كل العالم، وأهمّها:

تحركات الترك

تحركات الروم

تحركات العرب

تحركات العجم (الإيرانيّين)

١ . بحار الانوار ج٥٢ - ص٢١٣.

تحركات أقوام شرق آسيويّين

تحركات اليهود

وبالنظرة السطحيّة الى هذه المجموعات من الأحاديث التي تشترك في روايتها بشكل عام مصادر الشيعة والسنة وان كانت عند الشيعة أكثر تداولاً.. قديقبل القارىء أو الكاتب هذه الأحاديث على أنَّها علامات سوف تأتي و يبحث لها عن تفاسير من الخريطة السياسية الحاضرة أو المستقبلة لهؤلاء الأقوام وهذه المناطق.

مثلاً يفسّر حديث «نَفْرُ أَهْلِ المَغْرِبِ إلىٰ مِصْرَ» بالمسيرة الشعبية الليبيّة التي توجهت الى مصر لفرض الوحدة بين البلدين.. الخ.

ولكن ماذا يصنع اذا وجد أن هذه النصوص تصف تحركات قدحدثت من هؤلاء الأقوام وفي نفس تلك المناطق، بل و بنفس التفاصيل في بعض الأحيان.. مثلاً يجد حركة الفاطميّين من المغرب الى السودان الى مصر الى الشام.. وتهديدهم للعراق.. حرفياً في أحاديث علامات المهدي! وتحركات زحف المغول (الذين كان يسمّيهم العرب: الترك المغول أو الترك) أيضاً في أحاديث علامات المهدي في مثل أحاديث «يخرج قوم من الشرق فيقتلون المسلمين . يتغلبون على خراسان. يستبيحون بعض مناطق العجم. يفتحون العراق. تكون بحلب موقعة رهيبة. يهاجمون دمشق».. الخ. إنَّها حركة الغزو المغولي حرفياً، فكيف نعدّها من علامات الظهور ونفسرها بتحرّك تركي سوف يكون في المنطقة؟!

وكذلك تتضمن هذه الأحاديث خطوطاً واضحةً من تحركات الروم والمسلمين في حركة صراعهم الطويلة، ومن تحركات الإيرانيّين داخل

ايران وخارجها، وتتضمن معالم الصراع السياسي وأحياناً العسكري داخل الدولة الاسلامية بين العرب والموالي (حركة القومية والشعوبية).

وبهذه الملاحظة قديصل الباحث الى نتيجة بسيطة هي أن هذه الأحاديث إمّا أن تكون مكذوبة وضعت بعد وقوع الأحداث التي وصفتها، أو أنها صحيحة صادرة عن النبي (ص) والأئمة عليهم السلام لوصف هذه الأحداث فقط، وفي أحسن الحالات تكون علامات بعيدة لظهور المهدي عليه السلام، ولكنّها ليست بأي حال من علامات عصر الظهور لأنّها تحققت منذ قرون طويلة.

ولكن هذا التبسيط لايَحُل المشكلة أيضاً، لأن عدداً من أحاديث هذه التحركات تأبى التفسير بالماضي، مثلاً أحاديث أن الروم أي النصارى سوف يتغلّبون على الأرض، وأن المهدي عليه السلام سوف يقاتل بعضهم. وأحاديث قتال المسلمين لليهود بعد أن يكون لليهود وجود عسكري، و يكشفون جانباً من هيكل النبي سليمان عليه السلام، وأن المهدي عليه السلام يستخرج لهم التوراة من جبل بفلسطين ويحاجهم بها و يقاتلهم. وأحاديث رايات المشرق وخراسان الممهّدة للمهدي التي لا تنطبق على تحركات الإيرانيين الماضية.. وغير ذلك من الأحاديث التي تنصّ على أنّها علامات لعصر الظهور وسنة الظهور وليس فيها أثر من التحركات الماضية؟؟

الذي أطمئن اليه في هذه الأحاديث أن قسماً منها صحيح فعلاً لروايته وتداوله بين المسلمين قبل حدوث التحركات التي وصفتها، فتكون من دلائل صدق نبوة رسول الله (ص) ولكن لاعلاقة لها من قريب ولابعيد بعلامات عصر الظهور وإنّما حشرها المؤلفون حشراً في

الموضوع من دون قرينة على صلتها به، أو أن الوضّاع أضافوا لها ربطاً بالظهور افتراء على النبي (ص) والأئمة عليهم السلام. والقسم الأقل منها هو من حديث علامات عصر الظهور، ويصحّ أن يبحث تحت هذا العنوان، وهو بنظري: أحاديث حركة المسلمين واليهود، وقسم من أحاديث حركة الروم، وقسم من أحاديث حركة العرب، وقسم من أحاديث حركة العجم، وقليل من أحاديث الترك. وأمّا أحاديث المغربيّين فينبغي الأخذ بعين الإعتبار عند بحثها أن حركة الفاطميّين الاسماعيليّين كانت في أواخر القرن الثالث الهجري أكبر خطر داخلي هدّد الخلافة العباسية، وقدترك هذا الانقسام والصراع بين شطري الدولة الاسلامية الشرقي والغربي آثاراً كبيرة على المسلمين من أبسط مظاهرها أنَّه كان يعبّر أول الأمر عن الفاطميين بالعلويين أو الفاطميين، ولكن العباسيين تبنوا الطعن في نسبهم وأشهدوا على ذلك قضاة وفقهاء فلم يعد أحد في مشرق الدولة الاسلامية يجرؤ أن يسمي الخليفة الفاطمي بالعلوي أو الفاطمي بل انتشرت تسمية (المغربي) أي الخارج عن الخلافة العباسية في المغرب أو حاكم المغرب الإسلامي.. وهذه هي كلّ قصة المغربي الذي تحول الى شخصيّة من علامات ظهور المهدي عليه السلام. إنَّ قراءة مجملة لحركة الفاطميين ولأحاديث «ظهور المغربي» تكفي للإطمئنان بعدم علاقتها بعصر الظهور، وان كان الكثير منها كما أشرنا من معجزات النبي (ص)، وما أخبر به من الملاحم والأحداث الآتية لأنَّه كان مروياً ومدوّناً قبل حركة الفاطميين المغربيين بقرن أو أكثر.

ويمتد التأثير السلبي لأحاديث المغربيين في علامات الظهور الى

الأحاديث التي يرد فيها ذكر المغرب والمشرق أو الغرب والشرق، فهي تحتاج الى تحقيق المقصود منها هل هو شرق الأرض وغربها أو شرق الدولة الاسلامية وغربها، وكذلك تعبير الشرقيين والغربيين وأهل الشرق وأهل الغرب.

من أجل ذلك وجب أن نأخذ بعين الإعتبار هذا الواقع التاريخي في أحاديث المغربي وكذلك واقع غزو التتار في الأحاديث المتعلقة بالأتراك أو الترك. وبهذا المقياس لايبقى لدينا منها إلاَّ القليل.

الآيات السماويّة

١ـ النداء من السماء، و يسمّى في الأحاديث الشريفة أيضاً: الصوت، والصيحة.

وأحاديث هذه العلامة في مصادر الشيعة كثيرة متواترة وتعدّه أحد المحتومات الخمس (اليماني، والسفياني، والنداء، وقتل النفس الزكية، وخسف البيداء)[١] وأنَّه يكون في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان في سنة ظهور المهدي عليه السلام على أثر خوف عام يشمل الناس بسبب الحرب، يسمعه أهل الأرض كلّ قوم بلغتهم فيذهلون له، يبشرهم بظهور المهدي، يسمّيه باسمه واسم أبيه و يدعوهم الى بيعته، وأن قضية المهدي بعد النداء تصبح الشغل الشاغل للناس.

وفي مصادر السنة ورد في هذه العلامة عدة أحاديث أيضاً، قسم منها يوافق ماورد في مصادر الشيعة، وأكثرها يذكر أن النداء يكون من ملك يسير في غمامة مع المهدي يقول «هٰذا الْمَهْدِي فَاتَّبِعُوهُ» أو «هٰذا الْمَهْدِي خَلِيفَةُ

١. كما وردت بذلك الاحاديث وكما عدها النعماني في كتاب الغيبة ص ٥١.

آللَّهِ فَاتَّبِعُوهُ».

من أحاديث النداء:

عَنْ عَبْدِ آللَّهِ بْنِ سَنَانٍ قَالَ «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ آللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَمِعْتُ رَجُلاً مِنْ هَمْدَانَ يَقُولُ لَهُ: إِنَّ هٰؤُلَاءِ الْعَامَّةَ يُعَيِّرُونَنَا وَيَقُولُونَ لَنَا: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ مُنَادِياً يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ بِإِسْمِ صَاحِبِ هٰذَا الأَمْرِ! وَكَانَ مُتَّكِئاً فَغَضِبَ وَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: لَا تَرْوِهِ عَنِّي وَارْوِهِ عَنْ أَبِي وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي ذٰلِكَ أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: وَآللَّهِ إِنَّ ذٰلِكَ فِي كِتَابِ آللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيِّنٌ حَيْثُ يَقُولُ «إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ»[١].

وَعَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ فَقَالَ إِبْتِدَاءً: يَا سَيْفُ بْنُ عُمَيْرَةَ لَا بُدَّ مِنْ مُنَادٍ يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ بِاسْمِ رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ أَبِي طَالِبٍ. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرْوِي هٰذَا! قَالَ: إِي وَآلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِسَمَاعِ أُذُنِي لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هٰذَا الْحَدِيثَ مَا سَمِعْتُهُ قَبْلَ وَقْتِي هٰذَا. قَالَ: يَا سَيْفُ، إِنَّهُ لَحَقٌّ، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يُجِيبُ، أَمَا إِنَّهُ نِدَاءٌ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمِّنَا. فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا سَيْفُ، لَوْلَا أَنَّنِي سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ يُحَدِّثُنِي بِهِ وَلَوْ حَدَّثَنِي أَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ مَا قَبِلْتُهُ مِنْهُمْ، وَلٰكِنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ»[٢].

وَعَنِ النَّبِيِّ (ص) «إِذَا نَادَىٰ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّ الْحَقَّ فِي آلِ مُحَمَّدٍ فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَظْهَرُ آلْمَهْدِيُّ عَلَىٰ أَفْوَاهِ النَّاسِ، يُشْرَبُونَ ذِكْرَهُ فَلَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرُهُ»[٣].

١. بحار الانوار ج ٥٢ ـ ص ٢٩٢.
٢. الارشاد المفيد ص ٤٠٤.
٣. كتاب الفتن لنعيم بن حماد ص ٩٢ (مخطوطة) و رواه في بشارة الاسلام عن الملاحم للمناوى.

٢ـ طلوع الشمس من مغربها، وردت هذه العلامة في عدة أحاديث في مصادر الشيعة والسنة. ولكن أكثر الأحاديث التي في مصادر السنة وقسماً منها في مصادر الشيعة تذكر أن طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة أي القيامة، وهو المرجّح عندي.

أمّا الرواية التي تقول عن المهدي عليه السلام «وَهُوَ الشَّمْسُ الطَّالِعَةُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[١] فلا تصلح أن تكون قرينة على أنَّ المقصود بطلوع الشمس من مغربها في هذه الأحاديث المعنى المجازي أي طلوع شمس الاسلام بعد غيابها أو طلوع المهدي عليه السلام بعد غياب.. فان صراحة أحاديث طلوع الشمس من مغربها تدلّ على أنَّ المقصود هو المعنى الحقيقي للشمس وللطلوع.

٣ـ الكسوف والخسوف في غير وقتهما، وردت فيه بضعة أحاديث في مصادر الشيعة و بعض أحاديث في مصادر السنة، وتتّفق على أنَّهما يكونان في شهر رمضان بعد الصيحة، وأن ذلك لم يكن منذ هبط آدم ومنذ خلق الله السموات والأرض.. وتختلف هذه الأحاديث في تحديد يوم حدوث هاتين الآيتين.

٤ـ علامات أخرى في الشمس، وردت في روايات متفرقة في مصادر الشيعة وروايات قليلة في مصادر السنة، مثل: ذهاب نور الشمس من طلوعها الى ثلثي النهار، وتوقفها من الزوال الى الغروب، وظهور وجه انسان وصدره في الشمس، وقدفسّره بعضهم بالمسيح (ع) وظهور كف أو يد في الشمس أو في السماء تشير: هذا.. هذا. وفي رواية

١. الزام الناصب ج٢ - ١٣٤.

نعيم بن حمّاد عن أسماء «إِنَّ اٰمارَةَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ كَفّاً مِنَ السَّماءِ مُدلاةً يَنْظُرُ إِلَيْها مِنَ النّاسِ»[١].

٥ـ ظهور حمرة تجلل آفاق السماء، وتبقى ثلاثة أيام. وردت فيها بعض أحاديث في مصادر الشيعة والسنة وفيها إجمال، و يبدو أنَّ وقتها قبل ظهور المهدي عليه السلام بمدة لردع الناس عن معاصيهم كما ورد في أكثر من حديث.

٦ـ الكوكب المذنب، ورد أنه نجم يطلع في المشرق يضيء كما يضيء القمر، ثمّ ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه، وفي بعضها أن ذنبه يضيء فقط، وأنه يفزع العرب. ولا يفهم من رواياته المتفرّقة التي وردت في مصادر الشيعة والسنة تحديد وقته، و يظهر أنَّ هذا المذنب ليس كبقية المذنبات التي هي من آيات الله الكونية المتعارفة، بل له مواصفات خاصة فهمها المسلمون في صدر الاسلام فقد روى نعيم بن حمّاد في الفتن عن الوليد قال «رَأَيْنا رَجْفَةً أَصابَتْ أَهْلَ دِمَشْقَ في أَيّامٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضانَ فَهَلَكَ ناسٌ كَثيرٌ في شَهْرِ رَمَضانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثينَ وَمائَةٍ، وَلَمْ نَرَ ما ذُكِرَ مِنَ الْواهِيَةِ وَهِيَ الْخَسْفُ اَلَّذي يُذْكَرُ في قَرْيَةٍ يُقالُ لَها حَرَسْتا، وَرَأَيْتُ نَجْماً لَهُ ذَنَبٌ طَلَعَ في اَلْمُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعينَ وَمائَةٍ مَعَ الْفَجْرِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَكُنّا نَراهُ بَيْنَ يَدَي الْفَجْرِ بِقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ، ثُمَّ خَفِيَ، ثُمَّ رَأَيْناهُ بَعْدَ مَغيبِ الشَّمْسِ فِي الشَّفَقِ وَبَعْدَهُ فيما بَيْنَ الْجَوْفِ لِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، ثُمَّ خَفِيَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً. ثُمَّ رَأَيْنا نَجْماً خَفِيّاً لَهُ شُعْلَةٌ قَدْرَ الذِّراعِ رَأْيَ الْعَيْنِ قَريباً مِنَ الْجَدْيِ يَسْتَديرُ حَوْلَهُ بِدَوَرانِ الْفَلَكِ في جُمادَيْنِ وَأَيّاماً مِنْ رَجَبٍ ثُمَّ خَفِيَ. ثُمَّ رَأَيْنا نَجْماً لَيْسَ بِالأَزْهَرِ طَلَعَ عَنْ يَمينِ قِبْلَةِ الشّامِ مادّاً شُعْلَتَهُ

١. الفتن لابن حماد ص٩٣ (مخطوطة).

مِنَ الْقِبْلَةِ إلىٰ الْجَوْفِ إلىٰ أَرْمينِيَّةَ، فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِشَيْخٍ قَدِيمٍ عِنْدَنا مِنَ السَّكاسِكِ فَقالَ: لَيْسَ هٰذا بِالنَّجْمِ الْمُنْتَظَرِ. قالَ الْوَليدُ: وَرَأَيْتُ نَجماً في سَنِيّاتٍ بَقِينَ مِنْ سِنيِّ أَبِي جَعْفَرٍ (المنصور) ثُمَّ انْعَقَدَ حَتَّى الْتَقىٰ طَرَفاهُ فَصارَ لِطَوْقٍ ساعَةً مِنَ اللَّيْلِ، قالَ الْوَليدُ: وَقالَ كَعْبٌ هُوَ نَجْمٌ يَطْلُعُ مِنَ الْمَشرِقِ وَيَضيءُ لأَهْلِ الأَرْضِ كإضاءة القمر ليلَة البدرِ قالَ الوَليدُ: وَالْحُمْرَةُ وَالنُّجُومُ الَّتِي رَأَيْناها لَيْسَتْ بِالآياتِ، إِنَّما نَجْمُ الآياتِ نَجْمٌ يَتَقَلَّبُ في الآفاقِ في صَفَرٍ وَفي رَبيعَيْنِ أَوْ في رَجَبٍ، وَعِنْدَ ذٰلِكَ يَسِيرُ خاقانُ بِالأَتْراكِ تَتْبَعُهُ رومُ الظَّواهِرِ بِالرّاياتِ وَالصُّلُبِ، قالَ الْوَليدُ قالَ: بَلَغَنِي عَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ قالَ: يَطْلُعُ نَجْمٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَبْلَ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ لَهُ ذُنابٌ»[١].

٧- كثرة الأمطار، ورد فيها عدة أحاديث في مصادر الشيعة وأن سنة ظهوره عليه السلام تكون سنة غَيْداقة كثيرة الأمطار، وأنَّ العلامات تختم بأربع وعشرين مطرة يرى أثرها و بركتها ويحيي بها الله الأرض فتخرج خيراتها.

وأحاديث هذه العلامة تحتاج مضافاً الى التحقيق العادي فيها الى ملاحظة اشكالين:

الأول: معارضتها بالأحاديث التي تذكر أن من علامات الظهور الجدب وقلة الأمطار.

الثاني: أن الأحاديث التي تحدّد الأربعين يوماً التي يتّصل مطرها بأنّها تكون في جمادي والعشر الأُوَل من رجب، تتعارض مع علامة النداء والكسوف والخسوف في رمضان، لأنَّها لا تكون حينئذ خاتمة العلامات، وحملها على رجب من السنة الثانية ضعيف لأنَّ ظهوره عليه

١. الفتن لابن حماد ص ٦٠ (مخطوطة).

السلام في محرّم فيكون مطر الأربعين يوماً بعد الظهور وليس ختام العلامات، ولايبعد أن يكون هذا المطر المتواصل في جمادي ورجب بعد ظهوره عليه السلام وأن عدّه من علامات الظهور من باب التوسّع في التسمية كما في نزول عيسى عليه السلام.

الآيات الأرضية

٨ـ نار الحجاز، وفي هذه العلامة أحاديث متعددة في مصادر الشيعة والسنة، وأكثرها يحدّد مكانها في الحجاز بجبل الورّاق أو بحَبْس سَيْل كما في مستدرك الحاكم ج ٤ ـص ٤٤٢ أو في وادي حسيل وهو كما يبدو من تصحيف النساخ عن حبس سيل. وقدذكر الحموي في معجم البلدان أن حبس سيل إحدى حَرَّتَيْ بن سُلَيْم. والحرّة منطقة صحراوية داكنة، وحرةبني سليم قرب المدينة المنوّرة.

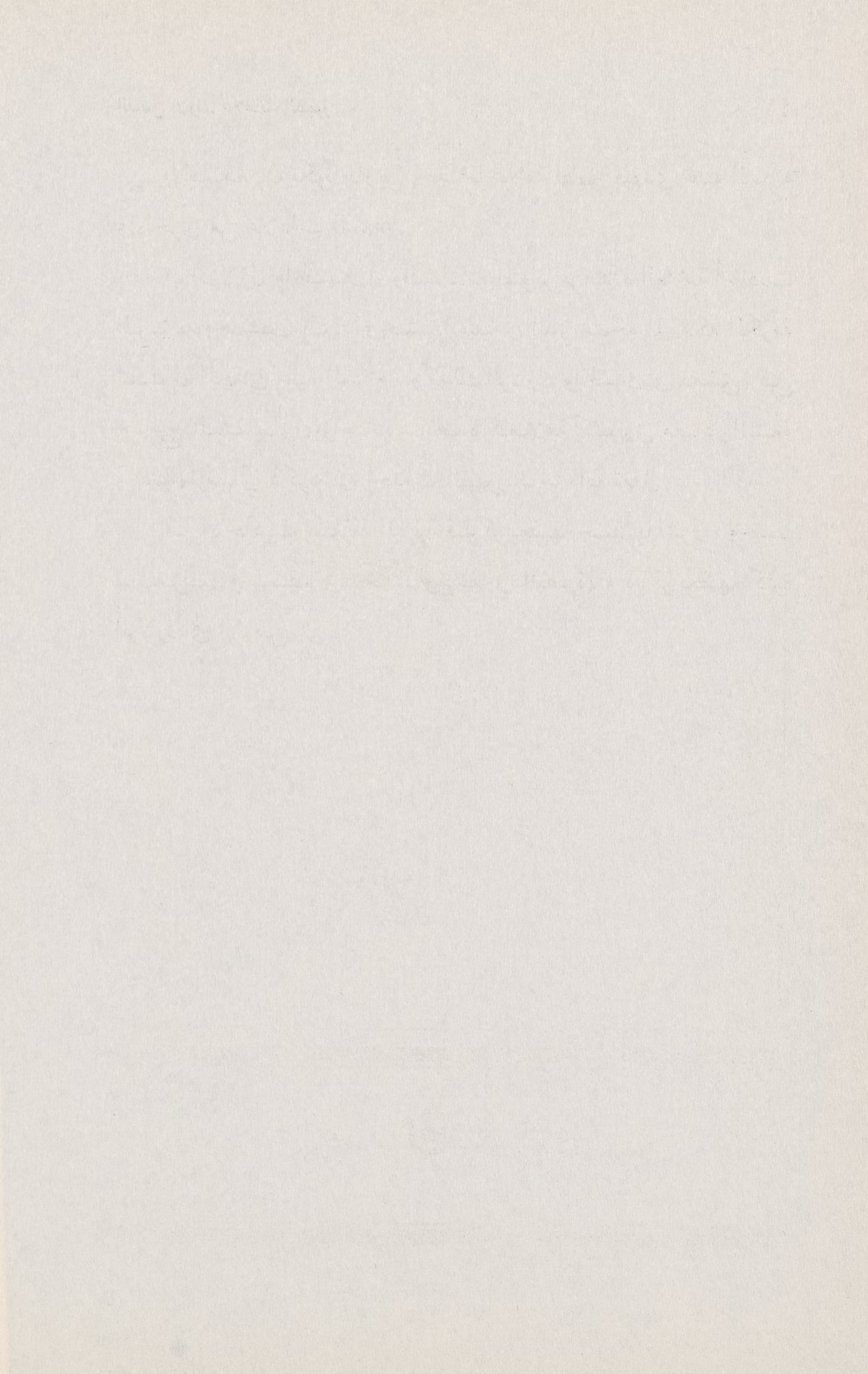
و بعضها تحدد مكانها في واد بقعر عدن من حضرموت، أو تذكر أنها بالمشرق دون تحديد. وأكثر أحاديث هذه العلامة الواردة في مصادر السنة تنص على أنّها من علامات الساعة، و بعضها تؤكد وقوعها قبل الساعة بشكل مطلق دون تحديد، كما في صحيح مسلم ج٨ ـص ١٨٠ «لاتَقُومُ السَّاعَةُ حَتّى تَخرُجَ نارٌبِالْحِجازِتُضِيءُ لَها أَعْناقُ الإبِلِ بِبُصْرىٰ» أي يصل نورها الى مدينة بصرى قرب الشام، و يوافق هذه الأحاديث بعض مافي مصادر الشيعة من أنّ نار عدن تسوق الناس الى المحشر، أو تسوق الناس من المشرق الى المغرب. والأحاديث الباقية تذكر أنّها علامة لظهور المهدي عليه السلام وأنّها قدّام قيامه بقليل، أو قبل غرق البصرة والفتن المتلاحقة.

ولايبعد أن تكونا نارين إحداهما علامة لظهور المهدي عليه السلام والأخرى من علامات الساعة.

٩ـ الزلازل والخسف، والثابت المتواتر من هذه العلامة أحاديث الزلزلة وخسف البيداء بجيش السفياني الذي يتوجّه الى مكة المكرّمة لقتال المهدي عليه السلام، وكذلك الزلازل والخسف في دمشق، قبل خروج السفياني، وأحاديث هذه العلامة كثيرة في مصادر الشيعة والسنة، وسيأتي ذكرها في أحداث الظهور ان شاءالله تعالى.

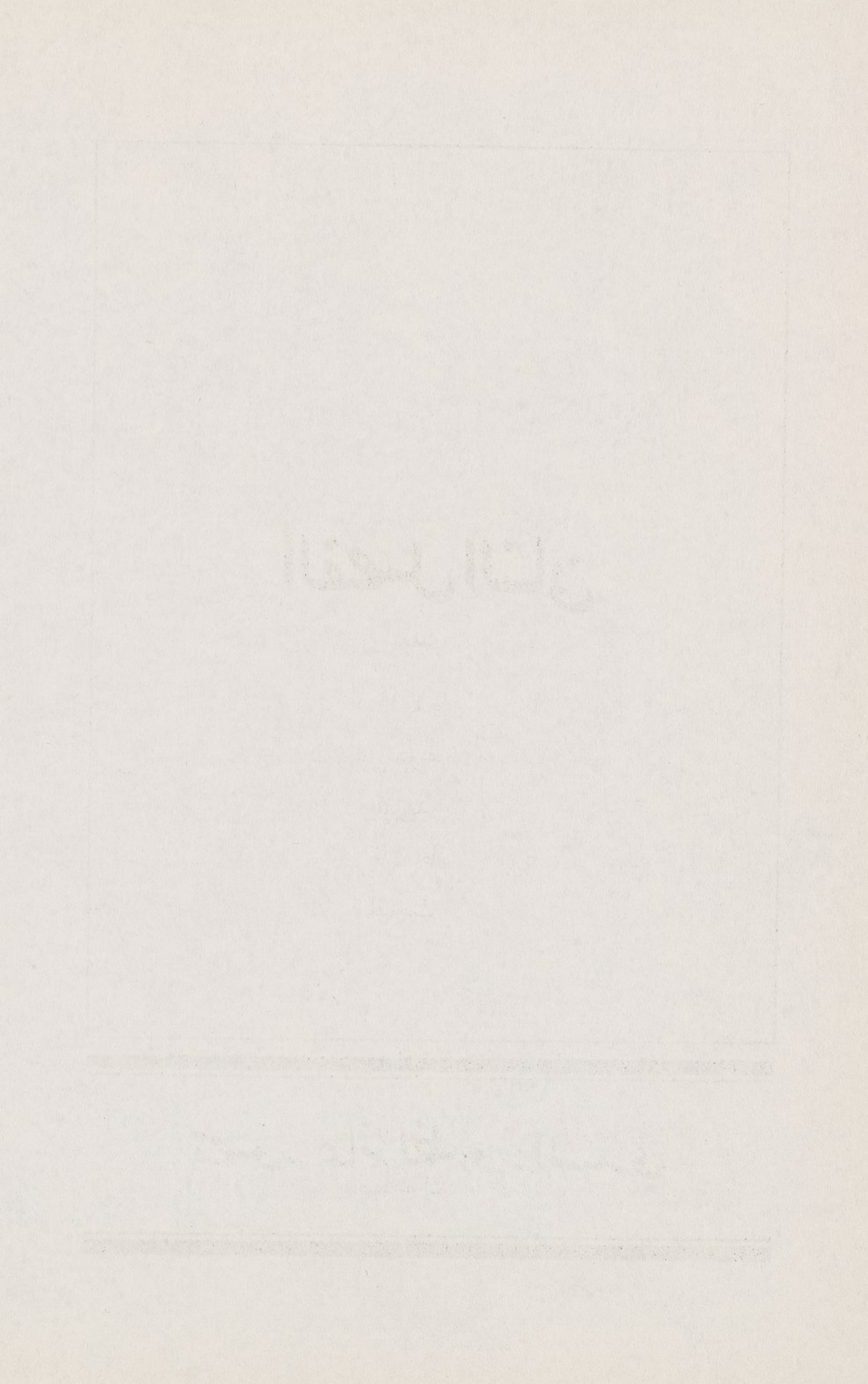
امّا الأحاديث المتفرّقة الباقية فيذكر بعضها خسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً في بغداد وخسفاً في البصرة، و يذكر بعضها كثرة الزلازل في الأرض.

*



الفصل الثاني

تصوّر عامّ لظهور المهدي



تصوّر عام لظهور المهدي عليه السلام

مع أن هذا التصوّر الذي سنقدّمه صحيح في نظرنا بشكل عام، فان هذا الفصل ليس بحثاً علمياً بل هو عرض قصصي لظهور المهدي عليه السلام وتصوّر كليّ لهذا الحدث الفريد كما استفدناه من أحاديث بشارة النبي (ص) بظهور المهدي (ع)، فان اطلاع القارىء على الصورة الكليّة والخطوط العامة يمكّنه من متابعة البحث الاستدلالي في موضوعاته بشكل أفضل.

الساحة الجغرافية للحدث

تتركّز الساحة الجغرافية للحدث في (بلاد الشام وفلسطين، وفي ايران والعراق، وفي الحجاز) فهذه المنطقة بالتحديد هي مصدر الموج الاسلامي الهادر الذي تتحدث عنه النصوص، وهي ملتقى الصراع

السياسي والعسكري بين ثورة المهدي (ع) و بين الاتجاه التحريفي العميل للغرب -حركة السفياني- أولاً، ثمَّ بينها و بين الصهيونية والغرب مباشرة.. وكل الأحداث التي تحصل في البلاد القريبة من هذه المنطقة كمصر والمغرب الاسلامي واليمن، أو البعيدة عنها كبلاد الروم وشرق الأرض وغربها، على حد تعبير الأحاديث الشريفة، ليست إلاَّ امتداداً وانعكاساً لموج وأحداث هذه الساحة التي يصنع فيها مستقبل العالم وتصاغ أوضاعه الجديدة.

وهذه الحقيقة تساعد عليها اعتبارات حركة الصراع الحضارية التاريخية والفعلية في هذا العالم.. فان مركز الثقل السياسي منذ عهد ابراهيم عليه السلام لم يتعد هذه الساحة وماحولها. فهو لم ينتقل من بلد منها إلاَّ ليحلّ في بلد آخر، ولم يبتعد عن المنطقة إلاَّ ليعود اليها.

لقد كانت هذه المنطقة قلب العالم القديم والقوة الفاعلة في حضارته، ولذلك تركزت جهود الأنبياء عليهم السلام على شعوبها لكي تحمل رسالتهم.. فكانت نينوى قاعدة العالم الجديد على يد نوح عليه السلام. وفلسطين، والحجاز ومصر قاعدة لرسالات موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

بل نلاحظ في مطلع الدعوة الاسلامية أن أفريقيا كانت حقلاً سهلاً أمام رسول الله (ص) ولكنه اكتفى بأن اتّخذ منها ملجأً للمسلمين من الإضطهاد وأبقاهم لعدة سنوات بعد إقامة الدولة الاسلامية في المدينة قاعدةً احتياطيةً وخطاً ثانياً.. ووجه جهوده للامتداد بالاسلام نحو آسيا.. و بالذات نحو هذه المنطقة ذات القابلية الخاصة في حمل الرسالة الى العالم.

بل نلاحظ من اهتمام القرآن الكريم بمسألة الإرتباط العقائدي للمسلمين بابراهيم عليه السلام.. ومن الربط الجغرافي بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى...

ومن حديثه عن علاقة التناقض بين المسلمين وأهل الكتاب اليهود والنصارى.. أنَّ الوضع العالمي يتلخّص في صراع حضاري طويل، ساحته هذه المنطقة من العالم.

وفي المقابل كانت المنطقة هدفاً لسيطرة كلّ الحضارات والقوى الحيوية التي نشأت في أطراف العالم، والتي من أمثلتها اليونان والرومان والصينيون. ومن أمثلتها الحديثة أنَّ المنطقة ظلّت هدفاً للسيطرة لدى الروم والأوروبيين ومن تفرّع عنهم من الروس والأمريكان مايقرب من عشرة قرون.. وبعد أن استطاعوا القضاء على كيانها السياسي والسيطرة عليها في مطلع هذا القرن بدا وكأنَّ الثقل السياسي قدودّع بلدان المنطقة البائسة الخاضعة للاحتلال ليستقرّ في عواصم الدول الكبرى التي أصبحت «قلب» العالم ومصنع أحداثه.. ولكن سرعان ماظهرت المنطقة مركز الثقل السياسي العالمي من جديد، ليس بسبب ظهور أنَّها البئر النفطي للعالم، ولابسبب موقعها الستراتيجي فحسب.. بل بسبب انكشاف انَّها ساحة الصراع الحاسم بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية.

إنَّ مايبدو مستغرباً من تركزّ أحداث ظهور المهدي (ع) في هذه الساحة الجغرافية هو الطبيعي في المنطق الإسلامي ومنطق التاريخ ومنطق الصراع الحضاري في عصرنا، والذي يضطر للإعتراف به كل الباحثين في الحضارة.

وليس جديداً أن نشير الى أن الغربيّين يدركون أهمية المنطقة مادياً واستراتيجياً وحضارياً، ولذلك يعملون لإبقاء سيطرتهم وقمع مقاومة أهلها بكل ماأوتوا من قوّة ووسائل بحجة أنَّها منطقة المصالح الحيوية لبلدانهم.

وفي هذه الساحة الجغرافية نقرأ عن مدينة تمثل مركز الثقل ونقطة الهدف في أحداث الظهور.. هي القدس، أو بيت المقدس، وإيلْيٰاء، كما تسميها النصوص.

فمكة المكرمة وان كانت مركز الانطلاقة لتحرك المهدي (ع) فإن القدس هي الهدف وهي الميزان الفصل في الصراع الحضاري الذي تصفه الأحاديث، لأن الانتصار في معركتها يعني الانتصار الشامل في كل العالم، خاصة وأن عيسى عليه السلام ينزل في القدس بعد أن يدخلها المهدي عليه السلام و يؤدي دوره الهام في حسم المعركة لصالح الاسلام.

عندما نقرأ في هذه الأحاديث الشريفة مسيرة المهدي الزاحفة من مكة الى القدس نشعر بأنَّها التأويل الحضاري لإسراء النبي (ص) من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى.. «بَلْ كَذَّبُوا بِمٰالَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمّٰا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ» ٣٩ - يونس.

نعم، إنَّ مستقبل العالم يتقرّر في الإنطلاق من المسجد الحرام والوصول الى المسجد الأقصى.. ولكن هذه الحركة كما تدلّ النصوص لا تكون ابتدائية وإنَّما تأتي تتويجاً لحركة الأمة باتجاه القدس، فالأمة الممزقة المغلوب على أمرها تتحرك بالاسلام من جديد.. فهي في بلاد الشام وفلسطين تتحرك لرفض الخضوع. وفي إيران تحطم قيودها وتتجه نحو القدس مُصِرَّةً على إزالة العقبات التي تعترض طريقها. وفي اليمن

يظهر قائد مسلم يتوجه نحو القدس...

وفي المقابل فإنَّ حركة أعداء الأمّة تكون كذلك باتجاه القدس، فالروم واليهود ينزلون فلسطين، وتأتي قواتهم «تحت ثمانين راية» وتنزل في شواطىء عكّا وصور وأنطاكية.

والحركة الوحيدة الناشزة عن الإتجاه الى نقطة الهدف، هي حركة السفياني التي هي في الواقع حركة اعتراضية لزحف الأمة تتجه من بلاد الشام نحو العراق وايران.. لكنَّها سرعان ماتنتهي.

الوضع السياسي العالمي

تصف الأحاديث الشريفة الوضع السياسي العالمي في عصر الظهور بفقدان الإستقرار وكثرة الإختلافات والحروب الجزئية التي تنتهي بحرب عالمية يقع أكثر دمارها على دول الغرب «وتشبّ في الحطب الجزل في غربي الأرض» وتكون عاملاً مساعداً في انتصار حركة المهدي (ع) ودخوله الى القدس، ونزول المسيح (ع) فيها.

«أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِي يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَىٰ اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزِلْزَال»،

«وَيَوْمَئِذٍ يَكُونُ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ فِي الْأَرْضِ وَفِتَنٌ»،

«قَبْلَ هٰذَا الْأَمْرِ قَتْلٌ بَيُوحٌ.. قِيلَ وَمَا الْبَيُوحُ؟ قَالَ: دَائِمٌ لَا يَفْتُرُ»،

«قُدَّامَ الْقَائِمِ مَوْتَانِ: مَوْتٌ أَحْمَرُ، وَمَوْتٌ أَبْيَضُ، حَتَّىٰ يَذْهَبَ مِنْ كُلِّ سَبْعَةٍ خَمْسَةٌ».

وتحدد النصوص سبب هذه الحرب بمشكلة بلاد الشام وفلسطين التي تبدأ في أولها صغيرة «أَوَّلُهَا كَأَنَّهُ لَعِبُ الصِّبْيَانِ» ثم تكبر وتتعقد وتعجز كل

المحاولات عن حلها وتفشل كل المبادرات المطروحة لها «لاَيَهْدَأُ مِنْهَا جَانِبٌ إلاّ جَاشَ فِيهَا جَانِبٌ» و«لاَ تَرْتُقُونَ مِنْهَا جَانِباً إلاّ انْفَتَقَ مِنْهَا جَانِبٌ».

وتشير بعض الأحاديث الى أن هذه الحرب تكون بعد دخول جيش السفياني وجيش الإيرانيين الى العراق. وتذكر أن خسائرها كبيرة جداً تبلغ في بعض الأحاديث الثلثين من سكّان الأرض وأكثر. وأمّا عبارة «يُقْتَلُ فِيهَا ثَلاثَةُ آلاف أَلْف»، الواردة في بعض الأحاديث فالظاهر أن المقصود بها الكناية عن الكثرة وليس التحديد بثلا ثة ملايين.

القوى الفاعلة في ساحة الظهور

١ـ بلاد الشام وفلسطين:

بالرغم من حالة الضعف السياسي الشديد التي تذكرها الأحاديث الشريفة عن مسلمي بلاد الشام (لبنان وسوريا والأردن) بسبب تسلط عدوهم عليهم واختلافاتهم المتعددة «يُرْسِلُ اللّهُ عَلىٰ أَهْلِ الشَّامِ مَنْ يُفَرِّقُ جَمَاعَتَهُمْ حَتَّى لَوْأَنَّ الثَّعَالِبَ قَاتَلَتْهُمْ لَغَلَبَتْهُمْ» إلاَّ أن لهم دوراً هاماً في تفشيل الحلول الاستسلامية التي يعمل أعداء الأمة على فرضها. فتشتيت قوة المسلمين المحيطين بفلسطين وجعلهم ساحة للتناقضات السياسية وإنْ أفقدهم الدور الموحد الفعال في مواجهة العدو، ولكن الأصالة والحيوية التي يتمتّعون بها من جهة، ونفس حالة التناقضات الدولية والمحلية من جهة.. سوف تمكّنهم من الإحتفاظ بسخونة المواجهة مع العدو.

وقد ورد في الأحاديث أن فتنة بلاد الشام تدوم ثمانية عشر عاماً وفي

حديث أنَّها تدوم اثني عشر عاماً، وقديكون هذا الرقم رمزياً، أو لبيان الكثرة.. وفي أواخرها تحدث «هَزَّةٌ» أو «رَجْفَةٌ» يقتل فيها مئة ألف، وقدتكون حرباً خاطفة أو هزة أرضية.. و يدخل على أثرها الى الشام جيش المغاربة وهو مصطلح لمغرب الدولة الاسلامية، ثمَّ يكون اختلاف أهل الشام على ثلاث رايات بقيادة الأصهب أي الشديد الشقرة المائل الى الصفرة، والأبقع أي الأبرص، والسفياني وهو شخص اسمه عبدالله أو عثمان من ذرية عنبسة بن أبي سفيان، و يتمكّن السفياني من تصفية خصومه والسيطرة على سوريا والأردن، ثمَّ لايكون له همة إلاَّ التوجّه الى العراق.

يظهر أن الغربيين عندما يشعرون بخطورة التهديد الإيراني العراقي لإسرائيل يعتمدون أسلوباً جديداً غير أسلوب التمزيق في المنطقة المحيطة بفلسطين، فيقومون بمساندة السفياني لكي يسيطر على سوريا والأردن ويحول توجه الأمة عن القدس الى العراق وايران.

وتصف الأحاديث شخصية السفياني وتحركه بأوصاف كثيرة مفصّلة: منها ارتباطه بالغرب وأنه يتحالف مع (الروم) خوفاً من المهدي، وأن جماعته يلجؤون بعد هزيمته الى الروم فيسترجعهم أصحاب المهدي و يقتلونهم.

ومنها، أنه يظهر أول الأمر بمظهر المسلم المتديّن ثمّ تنكشف حقيقته.

ومنها، أنه يثير التعصّب المذهبي بين المسلمين و يطرح نفسه حامياً للمذهب السني و يرفع شعار القضاء على الشيعة.

ومنها، أن حركته تحقق نجاحاً سريعاً في شهور معدودة ولكنّها لا تلبث أن تنهار في أقل من سنتين.

وأنَّه يخوض معركة مع الأتراك و بعض الروم في منطقة قرقيسيا (دير الزور) و ينتصر عليهم، وهي المعركة الموصوفة في الأحاديث بأنَّها مأدبة الله التي تشبع فيها سباع الأرض وطيور السماء من لحوم الجبارين، أمّا سببها فهو اكتشاف كنز من ذهب وفضة أو غيرهما في دلتا الفرات أو في مجرى الفرات عند الحدود السورية التركية العراقية تختلف عليه ثلاث فئات ثمَّ لايكون لأحد منهم.

و بعد معركة قرقيسيا يستغل السفياني حالة الضعف السياسي في العراق فيقوم بحملة عسكرية تدخل العراق وترتكب مجازر في بغداد وغيرها لأسابيع محدودة حتى تدخل قوات الإيرانيين فتهزمها.

كما يحاول السفياني ملء حالة الفراغ السياسي والعسكري التي تحدث في الحجاز فيوجه جيشاً الى الحجاز يتمكن من احتلال المدينة المنورة و يرتكب فيها مجازر ثم يتوجه الى مكة المكرمة لقمع حركة المهدي (ع) التي تكون في بدايات ظهورها فيخسف الله تعالى بهم الأرض قبيل وصولهم الى مكة فلا ينجو منهم إلاَّ نفر يسير. وتسمَّى هذه الحادثة خسف البيداء بجيش السفياني وتكون آية لانطلاقة المهدي (ع) من مكة.

«فَيَبْلُغُ أَمِيرَ الْجَيْشِ أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَدْ خَرَجَ إِلىٰ مَكَّةَ فَيَبْعَثُ جَيْشاً عَلىٰ أَثَرِهِ فَلا يُدْرِكُهُ حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ خائِفاً يَتَرَقَّبُ عَلىٰ سُنَّةِ مُوسىٰ بْنِ عِمْرانَ، وَ يَنْزِلُ أَمِيرُ جَيْشِ السُّفْيانِي فِي الْبَيْداءِ فَيأْمُرُ اللّهُ الأَرْضَ فَتَأْخُذُهُمْ مِنْ تَحْتِ أَقْدامِهِمْ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعالىٰ: «وَلَوْتَرىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ»».

... وبعد هلاك قوات السفياني في الحجاز والهزيمة التي تمنى بها على يد رايات المشرق في العراق تنتقل المعركة الى ساحته و يقوم بتجميع

قواته في الشام استعداداً لأكبر معارك المنطقة في أحداث الظهور، معركة تحرير القدس التي يمتد محورها من دمشق الى طبرية فالقدس، ممّا يدلّ على أن قوات السفياني تكون في خندق واحد مع القوات الصهيونية والغربية «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ وَبَعَثَ جَيْشَهُ إِلَىٰ بَنِي أُمَيَّةَ هَرَبُوا إِلَىٰ الرُّومِ فَيَقُولُ لَهُمُ الرُّومُ لَانُدْخِلُكُمْ حَتَّى تَدْخُلُوا فِي دِينِنَا فَيَفْعَلُونَ».

وتشير الأحاديث الى فترة تحشيد القوات لهذه المعركة و وصول قوات المهدي (ع) بقيادة شعيب بن صالح قائد قوات الخراسانيين الى مرج عذراء قرب دمشق وانضمام جماعات من مسلمي المنطقة الى صفّهم (أبدال أهل الشام) وفرار جماعة من جيش المهدي (ع) والتحاقهم بالسفياني، وأن ذلك الفرز مصداق قوله تعالى «وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ» و يسمّى يوم التمايز.

كما تشير الى العنايات الإلٰهيّة التي ترافق قوات المهدي (ع) في معركة فتح القدس «فَيَغْضَبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ السُّفْيَانِي وَيَغْضَبُ خَلْقُ ٱللَّهِ لِغَضَبِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ فَتَرْشُقُهُمْ الطَّيْرُ بِأَجْنِحَتِهَا وَالْجِبَالُ بِصُخُورِهَا وَالْمَلَائِكَةُ بِأَصْوَاتِهَا» وأن قوات المهدي (ع) تحقق انتصاراً سريعاً وساحقاً يستسلم على أثره اليهود ويهرب السفياني فيقبض عليه رجل اسمه صباح عند طبريّة، بينما يهرب جماعته الى الروم (أوروبا) فيطالب بهم أصحاب المهدي ويهددون الدولة التي تعطيهم حق اللجوء السياسي فتضطرّ الى تسليمهم.

٢ـ ايران:

تأتي ايران في طليعة القوى الفاعلة في أحداث عصر الظهور، و يسمّى الإيرانيون في الأحاديث الشريفة «أَهْلُ الْمَشْرِقِ الْمُوَطِّئُونَ لِلْمَهْدِيِّ،

وَقَوْمُ سَلْمَانٍ، وَرَايَاتُ الْمَشْرِقِ، وَأَصْحَابُ الرَّايَاتِ السُّودِ، والْخُرَاسَانِيُّونَ».

وتسمّي الأحاديث عدداً، من قادتهم كالسيد الأكبر الذي تكون راياتهم مختومة بخاتمه، والهاشمي الخراساني الزعيم السياسي الذي بكفّه اليمنى خال، وشعيباً بن صالح الفتى الأسمر الحديدي من أهل الريّ (طهران) قائد قواتهم الذي يجعله المهدي (ع) قائداً لقواته، وكنوز الطالقان، وهم شبان من منطقة الطالقان، الى الشمال من طهران، من أصحاب المهدي (ع) وَصَفَتْهُم الأحاديث بأنّهم من كنوز الله وأنّهم عرفوا الله حقّ معرفته ووصفت صلابتهم العقائدية والعسكرية وحبّهم للمهدي (ع).

وتمدح الأحاديث بلدة قم التي يظهر فيها العلم و يفيض على أهل المشرق والمغرب وتكون حجة على الناس، وأنّه يخرج منها رجل يدعو الناس الى الحقّ وأن قلوب أصحابه كقطع الحديد كناية عن صلابة عقيدتهم وقوتهم، وأنّهم لا تُزَعْزِعُهُمْ الْعَوَاصِفُ، أَرْسَى مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، لايَكِلُّونَ مِنَ الْقِتَالِ وَلايَجْبُنُونَ، يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ.

وتصف الأحاديث الإيرانيين بأنّهم يطلبون الحقّ فلايُعْطَوْنَه ثمّ يطلبونه فلايعطونه، فيقاتلون و يصبرون، فيعطون ماسألوا فلايقبلون.. حتى يدفعوا الراية الى المهدي (ع). و يقتضي أن يكون الحقّ الذي يطلبونه من أعدائهم هو أن لايعتدوا عليهم، ولايعملوا على منعهم من انتهاج سياستهم الاسلامية.

والأحاديث عن الإيرانيين منها أحاديث عامة في مدحهم و بيان دورهم في التمهيد للمهدي (ع) وهي أحاديث كثيرة في مصادر السنة والشيعة على السواء. ومنها مايتعلّق بمرحلة ماقبل ظهور الهاشمي

الخراساني وشعيب بن صالح وهي قليلة نسبياً وأكثرها في المصادر الشيعية.

ومنها مايتحدّث عن مرحلة الهاشمي وشعيب و يصف تحركاتهما وأوضاعهما وهي أحاديث كثيرة مفصّلة في مصادر الشيعة والسنة ولكنّها في مصادر السنة أكثر.

وتحدد الأحاديث الفترة من ظهور الهاشمي وشعيب الى أن يسلموا الأمر الى المهدي (ع) باثنين وسبعين شهراً، ولكنَّها لاتحدد المدة مابين الرجل الذي يخرج من قم أو السيد الأكبر ومابين شعيب والهاشمي.

وتشير الأحاديث الى أنَّهم يكونون في حرب مع أعدائهم حتى اذا رأوا أن الحرب قدطالت عليهم بايعوا الهاشمي الخراساني الذي يختار شعيباً ابن صالح قائداً لقواته.

وتتركّز الأحاديث على وصف معارك الإيرانيين خارج ايران في العراق و بلاد الشام وفلسطين، ممّا يدلّ على استقرار وضعهم السياسي الداخلي، و يشير بعضها الى حالة خلل واحدة في الوضع الايراني الداخلي عند معركة قرقيسيا -وهي مدينة قديمة على الحدود السورية العراقية التركية تقع آثارها قرب المدينة السورية المعروفة ديرالزور- التي تكون أساساً بين السفياني والأتراك و بعض الروم (الغربيّين) وتكون قوات الإيرانيين قريباً منهم وكأنَّهم يريدون المشاركة فيها ولكنّهم ينسحبون من قرقيسيا لمعالجة «فَتْقٍ يَنْفَتِقُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ» فيرجعون الى بلادهم و يعالجون الوضع الداخلي و يستعدون لمواجهة السفياني بعد انتصاره في قرقيسيا.

يتركّز تحرّك الإيرانيين في هذه الأحاديث الشريفة باتجاه القدس عبر

العراق، ولا تذكر لهم تحركاً باتجاه الحجاز أو الجزيرة ماعدا الزحف الشعبي الى منطقة اصطخر وهي منطقة شيراز التي تقابلها في الضفّة الأخرى من الخليج منطقة الحجاز الشرقية، الأحساء والقطيف.. وذلك عندما تتصاعد أحداث الحجاز ويخرج المهدي عليه السلام في مكة فيخرج أهل المشرق لاستقباله وهو متّجه من الحجاز الى العراق فيوافيهم في اصطخر و يبايعونه هناك، و يقاتلون السفياني معه هناك، في الوقت الذي تكون قواتهم متمركزة في الكوفة وتكون في مواجهة بقايا قوات السفياني في مناطق أخرى من العراق، وتكون هذه القوات قد بعثت بالبيعة الى المهدي عليه السلام وهو في مكة.

تدلّ الأحاديث اذن أنَّهم سوف ينتصرون في حربهم مع النظام العراقي وأنَّه سيقوم في العراق نظام اسلامي، ولكن العراق سيبقى مشكلة للايرانيين، فالسفياني يتمكن قبل دخول قواته الى العراق من إسقاط هذا النظام بمساعدة أنصاره العراقيين حيث يبعث اليهم أن يقتلوا حاكمهم الموالي للمهدي عليه السلام فيقتلونه.

كما تدلّ الأحاديث بصراحة و وضوح على أن الإيرانيين يدخلون مع المهدي عليه السلام دمشق والقدس و يكون دورهم فعّالاً في معركة التحرير. أمّا قبل هذا التحرير النهائي للقدس فتوجد بعض الأحاديث التي تشير الى أنَّهم يدخلون دمشق ويخوضون معارك.

وتذكر الأحاديث رجلاً من أهل بيت المهدي عليه السلام يحكم أو يقود الجيش ثمانية أشهر أو ثمانية عشر شهراً يتوجّه الى بيت المقدس فلايبلغه حتى يموت دونه، و يبدو أن هذا الرجل الهاشمي من الايرانيين.

وتذكر منطقتين لدخول القوات الايرانية الى العراق، منطقة البصرة

ومنطقة خانقين باتجاه بغداد والكوفة. وتشير الى أنهم يدخلون العراق أكثر من مرة. ولم أجد اشارة الى قتال بين الايرانيين والأتراك قبل ظهور المهدي (ع) ولكن أول بعث عسكري يبعثه المهدي (ع) من الكوفة يكون موجهاً الى تركيا.

٣ـ العراق:

تذكر الأحاديث أن العراق سيكون عاصمة العالم بأجمعه، وستكون الكوفة مقر حكم الامام المهدي (ع) وتصف الأحاديث مسجد الجمعة العالمي الذي يأمر المهدي (ع) ببنائه خارج الكوفة بأن له ألف ألف باب، وأن أهل الكوفة سيكونون أسعد الناس حالاً بجوارهم للمهدي (ع).

أمّا قبل ظهوره (ع) فتتحدث عن اضطهاد شديد وخوف ذريع يشمل أهل العراق لايقرّ لهم معه قرار. وعن رجال صالحين يقتلون في بغداد وظهر الكوفة، وعن قتل رجل هاشمي أو نفس زكية في سبعين من الصالحين، وعن حركة قبل السفياني بقيادة شخص يسمّى الشيصباني، وعن مقاومة جزئية يقوم بها أهل الكوفة للسفياني.. وعن شخصيات عراقية هامة يكونون من أنصار المهدي (ع) كالنفس الزكية رسول المهدي (ع) الى أهل مكة الذي يقتلونه قبل ظهور المهدي بخمسة عشر ليلة، وابن عمّه محمد وشقيقته فاطمة اللذين يقتلونهما في المدينة المنورة بوشاية أحد عملاء السفياني الذي يكون قد هاجر معهما من العراق.

وتتحدّث أخبار الظهور عن أزمة اقتصادية تكون في العراق «يُوشَكُ

أَهْلُ الْعِراقِ أَنْ لاَيُجْبَىٰ إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلاَ دِرْهَمٌ».

وتشير الأحاديث الى الحرب العراقية الإيرانية، والى دخول القوات الايرانية الى البصرة و بغداد والكوفة. والى قيام نظام اسلامي في العراق ولكن يبدو أن هذا النظام لايتمكّن من إعداد الشعب العراقي لدور فعّال، وأن عملاء السفياني يتمكنون من قتل حاكم العراق الموالي للمهدي (ع) ومساعدة جيش السفياني في دخوله العراق وارتكاب المجازر الفظيعة التي لا تتوقّف إلاّ بدخول القوات الايرانية بقيادة الخراساني.

بشكل عام نجد العراق في أحاديث علامات وأحداث الظهور ميداناً لمعارك متعددة وهامة، وأن تيارين سياسيين يتنافسان عليه وفيه: تيار الايرانيين أصحاب المهدي (ع) وتيار السفياني (الغربي) وأن شعبه المسلم أرضية مؤيدة للاسلام ولكن شدة الاضطهاد التي تقع عليهم من الحكّام الظلمة وحالة الضعف السياسي تجعل دورهم الانفعال أكثر من الفعل.

٤ـ الحجاز:

تسمّي الأحاديث الشريفة حدثاً في الحجاز سيكون مدخلاً لسلسلة الأحداث الممهّدة لظهور المهدي (ع) وهو الفراغ السياسي الذي يحصل بموت آخر حاكم من «بني فلان» على حدّ تعبير الأحاديث الشريفة **«إِذَا مَاتَ عَبْدُ ٱللَّهِ لَمْ يَجْتَمِعِ النَّاسُ بَعْدَهُ عَلىٰ أَحَدٍ، وَلَمْ يَتَنَاهَ هٰذَا الأَمْرُ دُونَ صَاحِبِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ، وَيَذْهَبُ مُلْكُ السِّنِينَ وَيَصِيرُ مُلْكُ الشُّهُورِ وَالأَيَّامِ».**

و يذكر حديث آخر سبب موته فيقول **«يَكُونُ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنْ يَنْكِحَ خِصِيّاً فَيَقُومُ وَيَذْبَحَهُ وَيَكْتُمُ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً؛ فَإِذَا سَارَتِ الرُّكْبَانُ فِي طَلَبِ الْخِصِي**

لَمْ يَرْجِعْ أَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ حَتَّى يَذْهَبَ مُلْكُهُمْ».

وتشير الأحاديث الى أنَّ هذا الفراغ السياسي يتحوّل الى أزمة بين القوى السياسية في الحجاز ـ القبائل ـ تصل الى اشتباكات مسلّحة ولكنّها غير حاسمة.

و يفهم من هذه الأحاديث وغيرها أن المحاولات المتتابعة لتثبيت النظام الحاكم في الحجاز تفشل بسبب عدم العثور على شخص ترضى به الأطراف المتناحرة.

و يبدو أن التفكّك العشائري يشمل الجيش الحجازي حيث لا تذكر الأحاديث له دوراً في حسم الوضع المتدهور وتذكر أن الأمر يحتاج الى استقدام قوات من خارج الحجاز لتهدئة وضع الحرمين الشريفين، وأن قوات السفياني تدخل المدينة المنورة ثمَّ تحاول دخول مكة المكرمة.

إنَّ هذا التردّي في الوضع الداخلي للحجاز لا يأتي نتيجة لعوامل داخلية من فساد الأسرة الحاكمة وطموح القبائل الحجازية الى السلطة فقط، بل إنَّ العوامل الخارجية الممهدة لظهور المهدي (ع) ستكون ذات تأثير خاص على الساحة الاسلامية الحجازية.

فحالة الانهماك والتوتر التي تصاب بها القوى الكبرى التي تكون على وشك حرب عالمية.. أو حالة الضعف والارتباك التي تصاب بها القوى المتبقية بعد حرب عالمية يكثر فيها الدمار وتذهب فيها نفوس الملايين.

والنداء السماوي الذي يهزّ العالم و يسمعه أهل الأرض كل قوم بلغتهم يدعوهم الى الله تعالى و يبشّرهم بالمهدي باسمه واسم أبيه...

والمدُّ الاسلامي الذي يتعاظم في جميع بلاد المسلمين و يصبح تياراً

جماهيرياً متحفّزاً باحثاً عن المهدي (ع).

والتحركات والأحداث الكبيرة الجارية في المنطقة، في اليمن وايران والعراق و بلاد الشام وغيرها . . .

.. هذه العوامل الخارجية التي توجه أنظار المسلمين والعالم نحو الحجاز، ستجعل من قضية المهدي (ع) في مسلمي الحجاز تياراً قو ياً يعمل لتهيئة الوضع السياسي للمهدي (ع) و يبحث عنه لمبايعته.

بل تدلّ الأحاديث على أن مبعوثين من بلاد العالم الاسلامي يفدون الى الحجاز و يبحثون عن المهدي سرّاً ليبايعوه.

«إِذَا انْقَطَعَتِ التِّجَارَاتُ وَالطُّرُقُ وَكَثُرَتِ الْفِتَنُ خَرَجَ سَبْعَةُ رِجَالٍ عُلَمَاءَ مِنْ أُفُقٍ شَتَّى عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ، يُبَايِعُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُ مَايَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً حَتَّى يَجْتَمِعُوا بِمَكَّةَ فَيَلْتَقِي السَّبْعَةُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاجَاءَ بِكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ جِئْنَا فِي طَلَبِ هٰذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَهْدَأَ عَلَىٰ يَدَيْهِ، وَتُفْتَحُ لَهُ الْقِسْطَنْطِينِيَّةُ قَدْ عَرَفْنَاهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَحِلْيَتِهِ.. فَيَتَّفِقُ السَّبْعَةُ عَلَىٰ ذٰلِكَ فَيَطْلُبُونَهُ».

في هذه الأثناء يكون المهدي (ع) قدخرج من المدينة المنورة متوجّهاً الى مكّة المكرّمة خائفاً يترقّب على سنّة موسى بن عمران عليهما السلام، فيدخل الى حرم الله تعالى في حين يبدأ وزراؤه صفوة العالم الاسلامي بالتوافد الى مكة «يَجْمَعُهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قِزَعاً كَقِزَعِ السَّحَابِ وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، عَلَىٰ عِدَّةِ أَصْحَابِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمُ الأَوَّلُونَ وَلَايُدْرِكُهُمُ الآخِرُونَ، عَلَىٰ عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ».

وتصف الأحاديث في هذه المدة اضطراباً يقع بين الحجّاج في منى، و يبدو أنّه امتداد للخلاف بين أهل الحجاز حول السلطة.

«يَحِجُّ النَّاسُ مَعاً عَلَىٰ غَيْرِ إِمَامٍ وَيُعَرِّفُونَ مَعاً، فَبَيْنَاهُمْ فِي مِنًى إِذْ أَخَذَهُمْ

مِثْلُ الْكَلَبِ فَسارَتْ الْقَبائِلُ بَعْضُها إِلىٰ بَعْضٍ فَاقْتَتَلُوا حَتّى تَسِيلَ جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ دَماً»، و يفهم من النصّ أن الناس يعيشون حالة التوتّر الى حدّ أنهم بمجرد ان يكملوا أداء مناسكهم أو قبل اكمالها يشتبكون في منى المقدسة!

وبعد أسبوعين من اضطرابات منى أي في الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من ذي الحجّة يرتكب بقايا النظام في الحجاز جريمة قتل النفس الزكية وهو فتى هاشمي اسمه محمد بن الحسن يرسله المهدي (ع) الى أهل مكة في عملية اختبار وتهيئة للثورة المباركة، فيدخل المسجد الحرام و يقف بين الركن والمقام وما أن يتكلّم بكلمات يدعو فيها الناس الى بيعة المهدي (ع) حتى يقوموا اليه و يقتلوه في الحال، فتكون هذه الجريمة ايذاناً بنهاية حكمهم.

«أَلا أُخْبِرُكُمْ بِآخِرِ مُلْكِ بَنِي فُلانٍ؟ قَتْلُ نَفْسٍ حَرامٍ، في يَومٍ حَرامٍ، في بَلَدٍ حَرامٍ، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مالَهُمْ مِنْ مُلْكٍ بَعْدَهُ غَيْرَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً».

وبعد أن يكون قد تمّ في مكة أعظم لقاء بين أناس منذ قرون، لقاء المهدي الموعود (ع) بأصحابه وحوارييه ووزرائه عليهم السلام، يلتقي أول الأمر بأثني عشر منهم هم نقباؤهم وأفضلهم.. يبدأ التحرّك كما تذكر الأحاديث مساء يوم الجمعة التاسع من محرّم إذ يتقدّم المهدي (ع) بعد صلاة العشاء و يقف بين الركن والمقام و يوجه بيانه الأول الى أهل مكة يقول فيه:

«أُذَكِّرُكُمْ أَيُّها النّاسُ مَقامَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ أَكْمَلَ الْحُجَّةَ، وَبَعَثَ الأَنْبِياءَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَمَرَكُمْ بِأَنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تُحافِظُوا عَلىٰ طاعَةِ اللهِ وَطاعَةِ رَسُولِهِ، وَأَنْ تُحْيُوا ما أَحْيا الْقُرْآنُ وَتُمِيتُوا ما أَماتَ الْقُرْآنُ، وَتَكُونُوا أَعْواناً عَلىٰ الْهُدىٰ، فَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ دَنا فَناؤُها وَآذَنَتْ بِوِداعٍ.. وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ

وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ، وَإِمَاتَةِ الْبَاطِلِ».

وما أن يكمل(ع) كلامه حتى يحاول شرطة بقايا الطاغوت أن يعتقلوه أو يقتلوه، و يعاونهم في ذلك أمام المسجد، فيتقدّم أصحاب المهدي و يدفعونهم عنه ويحيطون به و يتقدّم أحدهم ليبدأ بمبايعته فاذا بجبرئيل(ع) ينزل من على ظهر الكعبة فيكون أول المبايعين، ثمَّ يبايعه أصحابه.

و يبدو أنَّهم بعد هذا الإعلان والبيعة ينسحبون تلك الليلة من المسجد الحرام أو يَتَخفَّوْنَ فيه. ولا تذكر الأحاديث مايجري في تلك الليلة وقبلها من اعداد لتحرير مكة، لكن يبدو أنه بالرغم من وجود بقايا الطاغوت فإن الوضع العام لأهل مكة يكون مساعداً للمهدي(ع) حيث يتمّ له في صبيحة اليوم التالي السيطرة على مكة المكرّمة و يذيع فيها بيانه الأول الى العالم.

من فقرات هذا البيان:

«أيُّهَا النَّاسُ.. مَنْ يُحاجُّنا في ٱللَّهِ تَعالىٰ فَإنَّا أَوْلىٰ النَّاسِ بِاللَّهِ،

وَمَنْ يُحاجُّنا في آدَمَ فَإنَّا أَوْلىٰ النَّاسِ بِآدَمَ،

وَمَنْ يُحاجُّنا بِنُوحٍ فَإنَّا أَوْلىٰ النَّاسِ بِنُوحٍ،

وَمَنْ يُحاجُّنا بِإبْراهِيمَ فَإنَّا أَوْلىٰ النَّاسِ بِإبْراهِيمَ،

وَمَنْ يُحاجُّنا بِمُحَمَّدٍ فَإنَّا أَوْلىٰ النَّاسِ بِمُحَمَّدٍ،

وَمَنْ يُحاجُّنا بِالنَّبِيِّينَ فَإنَّا أَوْلىٰ النَّاسِ بِالنَّبِيِّينَ،

وَمَنْ يُحاجُّنا بِكِتابِ ٱللَّهِ فَإنَّا أَوْلىٰ النَّاسِ بِكِتابِ ٱللَّهِ..،

فَأنَا بَقِيَّةٌ مِنْ آدَمَ، وَذَخِيرَةٌ مِنْ نُوحٍ، وَمُصْطَفىً مِنْ إبْراهِيمَ، وَصَفْوَةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ(ص) ألاوَمَنْ حاجَّني في سُنَّةِ رَسُولِ ٱللَّهِ فَأنَا أَوْلىٰ النَّاسِ بِسُنَّةِ رَسُولِ ٱللَّهِ...

أَنَا ابْنُ نَبِيِّ آللَّهِ، أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ مَادَعَاكُمْ إِلَيْهِ نَبِيُّ آللَّهِ.. فَاللَّهَ آللَّهَ فِينَا لَا تَخْذُلُونَا.. إِنَّا نَسْتَنْصِرُ الْيَوْمَ كُلَّ مُسْلِمٍ».

بعد نجاح هذه المرحلة (تحرير مكة واتخاذها قاعدة لمخاطبة العالم) يمكث المهدي في مكة و يطيل المكث كما تذكر الأحاديث، ولا تشير الى وجود مايهدّد سيطرته عليها من داخلها أو من أجوائها ماعدا جيش السفياني الذي يتوجّه من المدينة للقضاء على حركة المهدي.. وتتجه الأنظار الى هذا الجيش لترى فيه الآية الموعودة على لسان النبي (ص) التي يرويها كافة المسلمين:

«يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»، «فَيُخْسَفُ بِهِمْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَٰلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ».

وتحدد بعض الأحاديث المكان الذي سيقع فيه الخسف باسم (أَمَاصِهْرا) على بعد اثني عشر ميلاً من منطقة (ذات الجيش) وأن عدد الجيش ثلاثون ألفاً يخسف بهم في وسطهم، فيرجع المتقدمون فيخسف بهم، و يلحق المتأخرون منهم فيخسف بهم، ولاينجو إلاّ بضعة نفر.

تكون هذه الحادثة آية للعالم يبدأ المهدي (ع) بعدها بزحفه المقدّس من مكة الى المدينة، الى منطقة اصطخر في جنوب ايران، الى العراق، فسوريا فالقدس.. وتستغرق هذه المسيرة ثمانية أشهر.

*

ينبغي الإلفات هنا، و بشكل يتناسب مع هذا التصور العام التمهيدي للدراسة الى (عناصر الفعل الاضافية) التي يعتمد عليها عمل

المهدي (ع)، فإن الأحاديث عند السنة والشيعة تتفق ـوان تفاوتت في التفاصيل ـ على أن عدداً من الكرامات والمعجزات الإلهية تجري على يد المهدي (ع) وترافق مسيرته الموعودة من مكة الى القدس، فالعالم.. وكذلك في إدارته لحكم العالم الجديد. منها آيات لإقناع الناس واقامة الحجّة عليهم، كالنداء السماوي باسمه واسم أبيه، ونزول المسيح (ع). ومنها في صفاته وصفات أصحابه (ع) ومنها في معاركه. ومنها في الوسائل المادية التي يستخدمها..

وإنّما سمّيناها عناصر فعل اضافية لأن عناصر الفعل العادية والقوانين الطبيعية للعمل الانساني وحركة المجتمع هي الأصل في عمل المهدي (ع) وتأتي هذه المعجزات عند الحاجة لتعزيز المنطق الذي يطرحه، واسناد حركة التحرير التي يقودها.

إنَّ المهدي (ع) يطرح منطق الاسلام من جهة «يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً»، ومنطق فساد الواقع العالمي وضرورة انقاذه من جهة أخرى «بَعْدَمٰا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً» ولكن عندما يوجد جدار سميك يمنع الشعوب من سماع هذا المنطق والتفكير به.. فإنَّ الأمر يحتاج الى فعل إلهي يحطّم هذا الجدار و يعيد الى الناس قدرتهم على الاستماع.

إنَّ النظام الذي دبره الطاغوت لحياة الناس جعل الانسان جهازاً يركض طوال عمره لتأمين ماهو ضروري لمعيشته وماتقول له الحضارة المادية انه ضروري! ومضافاً الى ذلك فهي تلاحقه في حلّه وترحاله وليله ونهاره باعلامها وثقافتها!

إن كائناً متورطاً في عمل لايسمح له أن يحك رأسه، وملاحقاً بعملية غسل دماغ لا تسمح له أن يرفع رأسه.. يحتاج الى صعقة كهربائية

لتجعله يفكر حقّاً باللون الآخر للحياة، الى نداء سماوي يهزّه ليصبح قابلاً للاستماع.

إنَّ معجزة النداء السماوي وقسماً من معجزات المهدي (ع) هي عناصر فعل اضافية في قانون الهداية الإلٰهي، احتاج الناس اليها لأن طاغوت الحضارة الغربية أبعدهم بعداً اضافياً عن المنطق.

وقسم آخر من معجزاته (ع) يتعلق بحركة الصراع العسكري، فالقانون الذي يقوم عليه عمل المهدي (ع) بالأصل هو قانون المعركة الاعتيادي في الأرض، والمعجزات والكرامات في معاركه (ع) هي عناصر اضافية لمقابلة ذلك التفاقم الربوي في رأس المال العسكري للطاغوت.

أمّا القسم الثالث من المعاجز فهو في مجال الوسائل التي يستخدمها (ع) من قبيل: «تُطْوىٰ لَهُ وَلِأَصْحابِهِ ٱلْأَرْضُ».

«يَرْفَعُ ٱللَّهُ لَهُ كُلَّ مُنْخَفضٍ مِنَ الأَرْضِ، وَيَخْفِضُ لَهُ كُلَّ مُرْتَفِعٍ حَتَّى تَكُونَ الدُّنْيا عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ راحَتِهِ، فَأَيُّكُمْ إِذا كانَ في راحَتِهِ شَعْرَةٌ لايُبْصِرُها؟».

وان وزراءه حكّام العالم يتّصلون به مباشرة «لايَكُونُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بَرِيدٌ فَيَسْمَعُونَهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ في مَكانِهِ».

وأنّه «ما كانَ مِنْ سَحابٍ صَعْبٍ فِيهِ رَعْدٌ وَبَرْقٌ فَصاحِبُكُمْ يَرْكَبُهُ، أَمَّا إِنَّهُ يَرْكَبُ السَّحابَ وَيَرْقىٰ فِي الأَسْبابِ أَسْبابِ السَّماواتِ السَّبْعِ وَٱلأَرَضِينَ السَّبْعِ، خَمْسٌ عَوامِرُ، وَإِثْنَتانِ خَرابانِ».

وأن له في الهواء خيلاً مسرجة ملجمة لها أجنحة، وانّه ينزل في العراق بسبع قباب من نور لايعلم في أيّها هو.. الخ.. فهي من أبواب العلم التي يستخدمها المهدي (ع) و يعلمها للناس، وقدأصبح طرف منها

مألوفاً للناس في عصرنا.

وقد ورد في حديث شريف أن مايفتحه المهدي من أبواب العلوم هو أضعاف أضعاف مايكون لديهم «الْعِلْمُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ حَرْفاً، فَلَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ حَتَّى الْيَوْمَ غَيْرَ الْحَرْفَيْنِ فَإِذا قامَ قائِمُنا أَخْرَجَ الْخَمْسَةَ وَالْعِشْرِينَ حَرْفاً فَبَثَّها في النَّاسِ، وَضَمَّ إِلَيْها الْحَرْفَيْنِ حَتَّى يَبُثَّها سَبْعَةً وَعِشْرِينَ حَرفاً!».

وقد ذكرت الأحاديث أن عند المهدي (ع) مواريث الأنبياء صلى الله عليهم يستخرجها من أماكنها في الأرض أو تكون مودعةً له عبر الأجيال.

فمن رسول الله (ص) عنده عهد مكتوب له يأمره فيه بأوامره.

وعنده راية رسول الله (ص) التي تحف بها الملائكة، وعنده قميص رسول الله (ص) وعمّامته ودرعه السابغة.

وعنده قميص ابراهيم (ع) الذي نزل اليه به جبرئيل (ع) لمّا أوقدت له النار «أَلْبَسَهُ إِيّاهُ فَلَمْ يَضُرَّهُ مَعَهُ حَرٌّ وَلا بَرْدٌ، فَلَمّا حَضَرَتْهُ الْوَفاةُ جَعَلَهُ في تَميمَةٍ وَعَلَّقَهُ عَلى إِسْحاقَ، وَعَلَّقَهُ إِسْحاقُ عَلى يَعْقُوبَ، فَلَمّا وُلِدَ يُوسُفُ عَلَّقَهُ عَلَيْهِ وَكانَ في عَضُدِهِ حَتَّى كانَ مِنْ أَمْرِهِ ما كانَ، فَلَمّا أَخْرَجَهُ يُوسُفُ مِنَ التَّميمَةِ وَجَدَ يَعْقُوبُ ريحَهُ، وَهُوَ قَوْلُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ «إِنّي لأَجِدُ ريحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونَ».

وعنده عصا موسى (ع) التي هي «مِنْ آسِ مِنْ غَرْسِ الْجَنَّةِ أَتاهُ بِها جَبْرَئيلُ (ع) لَمّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ، وَهِيَ وَتابُوتُ آدَمَ في بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ وَلَنْ يَبْلَيا وَلَنْ يَتَغَيَّرا حَتَّى يُخْرِجَهُما»، «وَهِيَ خَضْراءُ كَهَيْئَتِها حينَ انْتُزِعَتْ مِنْ شَجَرِها، وَإِنَّها لَتَنْطُقُ إِذا اسْتُنْطِقَتْ وَإِنَّها لَتَرَوَّعُ وَتَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ وَتَفْعَلُ ما تُؤْمَرُ بِهِ.. يُفْتَحُ لَها شُعْبَتانِ إِحْداهُما في الأَرْضِ وَالأُخْرى في السَّقْفِ وَبَيْنَهُما أَرْبَعُونَ ذِراعاً!»

و يستخرج المهدي (ع) من جبل من جبال الشام أسفار التوراة يحاجّ

بها اليهود فيسلم على يديه جماعة منهم، و«يَسْتَخْرِجُ التَّوْرٰاةَ وَسٰائِرَ كُتُبِ ٱللّٰهِ تَعٰالىٰ مِنْ غٰارٍ بِأَنْطٰاكِيَةَ فَيَحْكُمُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرٰاةِ بِتَوْرٰاتِهِمْ وَبَيْنَ أَهْلِ ٱلإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ».

كما أنَّه (ع) تطوى له ولأصحابه الأرض، وتخرج له كنوزها من ذهب وفضة وجواهر فيجمعها و يقول للناس: تعالوا الى ماقطعتم فيه الأرحام، وقتلتم فيه النفس الحرام...

وتخرج الأرض خيراتها وتنبت نباتاً وأشجاراً لم تكن موجودة، وأنَّه يلهمه الله تعالى وأصحابه رؤية الواقع في القضايا والمشاكل فيحكم بين الناس بالحقّ كما هو لا يحتاج الى بيّنات وشهود... الخ.

*

ينشر المهدي (ع) راية النبي (ص) السوداء التي «لَمْ تُنْشَرْ مُنْذُ تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللّٰهِ (ص) وَلاٰ تُنْشَرُ حَتّٰى يَخْرُجَ الْمَهْدِيُّ، وَالَّتِي يَسِيرُ الرُّعْبُ أَمٰامَهٰا شَهْراً وَعَنْ يَمِينِهٰا شَهْراً وَعَنْ يَسٰارِهٰا شَهْراً» «وَيَمُدُّهُ ٱللّٰهُ بِثَلاٰثَةِ آلاٰفٍ مِنَ الْمَلاٰئِكَةِ يَضْرِبُونَ وُجُوهَ أَعْدٰائِهِ وَأَدْبٰارَهُمْ» و يتوجّه من مكة مع أصحابه الثلاث مئة وثلاثة عشر على رأس جيش من بضعة عشر ألف مقاتل، و يشير بعض الأحاديث الى أن أكثر هذا الجيش من أهل الحجاز وفيه من أهل الشام وايران والعراق، حتى اذا وصلوا الى مكان الخسف بجيش السفياني وقف عنده المهدي (ع) وتلا قوله تعالى «أَفَأَمِنَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئٰاتِ أَنْ يَخْسِفَ ٱللّٰهُ بِهِمُ ٱلأَرْضَ، أَوْيَأْتِيَهِمُ الْعَذٰابُ مِنْ حَيْثُ لاٰيَشْعُرُونَ. أَوْيَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمٰا هُمْ بِمُعْجِزِينَ» ٤٥-٤٦-النحل.

وفي المدينة المنورة يخوض جيش المهدي (ع) مع قوات النظام وقوات السفياني معركة عنيفة فيحقّق عليها نصراً كاسحاً.

وبتحرير الحرمين الشريفين يتمهّد له حكم الحجاز، حيث تذكر الأحاديث فتح الحجاز بعد فتح المدينة بعبارة مقتضية مثل «يَفْتَحِ ٱللَّهُ لَهُ ٱلْحِجٰازَ»، «فَيَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلْمَهْدِي أَرْضَ الْحِجٰازَ» ممّا يشير الى أنَّ تحرير الحرمين يكون حاسماً في السيطرة على الحجاز، خاصة اذا كانت بعض القبائل الحجازية قد بايعته في مكة.

الى ايران والعراق

بعد انتصار المهدي عليه السلام في الحجاز يشدّد السفياني قبضته على العراق وتقوم قواته بتهديد الحدود الايرانية.. فيتحرك الايرانيون عسكرياً لَمواجهته، و يتحركون سياسياً لغرض الانضمام الى المهدي عليه السلام. وتدلّ بعض الأحاديث على أنّه يتوجّه من المدينة المنورة الى العراق ماراً بجنوب ايران حيث يلتقي بالخراساني وقائده شعيب قرب اصطخر المدينة التاريخية الواقعة قرب عبادان والأهواز والتي يروى أنّها من مدن النبي سليمان عليه السلام، وتقع بقربها مدينة مسجد سليمان التي تضم آبار النفط الايرانية. و بعد لقائهم في اصطخر يخوضون معركة حاسمة مع جيش السفياني يكون انتصارهم فيها مؤثّراً في انطلاق المدّ الجماهيري تجاه المهدي عليه السلام.

«إِذَا خَرَجَتْ خَيْلُ السُّفْيٰانِي إِلىٰ الْكُوفَةِ فِي طَلَبِ أَهْلِ خُرٰاسٰانَ، وَيَخْرُجُ أَهْلُ خُرٰاسٰانَ فِي طَلَبِ الْمَهْدِي، فَيَلْتَقِي هُوَ وَالْهٰاشِمِي بِرٰايٰاتٍ سُودٍ عَلىٰ مُقَدِّمَتِهِ شُعَيْبُ بْنُ صٰالِحٍ فَيَلْتَقِي هُوَ وَالْمَهْدِي وَالْهٰاشِمِي بِبَيْضٰاءَ إِصْطَخْرٍ فَيَكُونُ بَيْنَهُمْ مَلْحَمَةٌ عَظِيمَةٌ، فَتَظْهَرُ الرّٰايٰاتُ السُّودُ وَتَهْرُبُ خَيْلُ السُّفْيٰانِي.. فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَتَمَنَّى النّٰاسُ الْمَهْدِيَّ وَيَطْلُبُونَهُ».

في هذه الأثناء تكون قوات الايرانيين قد دخلت العراق من جهة أخرى و وصلت الكوفة و بعثت بالبيعة الى المهدي عليه السلام و وضعت نفسها تحت قيادته.

و يدخل المهدي عليه السلام الى العراق «فِي سَبْعِ قِبابٍ مِنْ نُورٍ لاٰيُعْلَمُ بِأَيِّهٰا هُوَ» ممّا يبدو أنّه اشارة الى دخوله ليلاً في سرب من الطائرات.. ويخوض جيشه عدة معارك تكميلية لتحرير العراق يهزم فيها بقية قوات السفياني وأعوانه و يسيطر على العراق و يتّخذ الكوفة مقراً له، ويمكث فيها و يطيل المكث كما تذكر الأحاديث، و يبدو ذلك من أجل تثبيت حكمه في المنطقة الاسلامية المحرّرة الحجاز وايران والعراق، ومن أجل الإعداد للزحف الكبير نحو القدس.

جاء في حديث أنّه «لاٰيَلْبَثُ إلاّ قَلِيلاً حَتَّى تَخْرُجَ عَلَيْهِ مٰارِقَةٌ بِرُمَيْلَةِ الدَّسْكَرَةِ فَيَدْعُو رَجُلاً مِنَ الْمَوٰالِي فَيُقَلِّدُهُ سَيْفَهُ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ حَتَّى لاٰيُبْقِي أَحَداً».

كما تشير الأحاديث الى عمليات قتل واسعة يقوم بها المهدي عليه السلام في العراق في أعدائه تشمل سبعين رجلاً بزيّ علماء الاسلام وأن أحد أصحابه يذعر لما يرى من كثرة القتل فيقوم اليه و«هُوَ أَشَدُّ النَّاسِ بِبَدَنِهِ وَأَشْجَعُهُمْ بِقَلْبِهِ مٰاخَلاٰ صٰاحِبَ هٰذٰا الأَمْرِ فَيَقُولُ لَهُ: يٰاهٰذٰامٰاتَصْنَعُ؟ إِنَّكَ لَتُجْفِلُ النَّاسَ إِجْفٰالَ النَّعَمِ! أَفَبِعَهْدٍ مِنْ رَسُولِ ٱللَّهِ أَمْ بِمٰاذٰا؟ فَيَقُولُ الْمَوْلىٰ الَّذِي وَلِيَ الْبَيْعَةَ: لَتَسْكُتَنَّ أَوْ لأَضْرِبَنَّ الَّذِي فِيهِ عَيْنٰاكَ؟ فَيَقُولُ الْقٰائِمُ عَلَيْهِ السَّلاٰمُ: أُسْكُتْ يٰافُلاٰنُ. إِي وَٱللَّهِ إِنَّ مَعِيَ عَهْداً مِنْ رَسُولِ ٱللَّهِ (ص)، هٰاتِ يٰافُلاٰنُ الْعَيْبَةَ فَيَأْتِيهِ بِهٰا فَيَقْرَأُ الْعَهْدَ مِنْ رَسُولِ ٱللَّهِ (ص) فَيَقُولُ الرَّجُلُ: جَعَلَنِي ٱللَّهُ فِدٰاكَ أَعْطِنِي رَأْسَكَ أُقَبِّلْهُ، فَيُعْطِيهِ رَأْسَهُ فَيُقَبِّلُ مٰابَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: جَعَلَنِي ٱللَّهُ فِدٰاكَ جَدِّدْ لَنٰا بَيْعَةً، فَيُجَدِّدُ لَهُمْ بَيْعَةً».

وفي حديث آخر «**أَوَّلُ لِواءٍ يَعْقِدُهُ المَهْدِي يَبْعَثُهُ إلىٰ التُّرْكِ فَيَهْزِمُهُمْ**» «**يُقاتِلُ السُّفْياني التُّرْكَ، ثُمَّ يَكُونُ اسْتِئْصالُهُمْ عَلىٰ يَدِ المَهْدِيّ، وَأَوَّلُ لِواءٍ يَعْقِدُهُ المَهْدِيُّ يَبْعَثُهُ إلىٰ التُّرْكِ**».

وفي حديث آخر «**يَسِيرُ مِنْ مَكَّةَ.. حَتَّى يَأتِيَ الْكُوفَةَ فَيَنْزِلُ عَلىٰ نَجَفِها عَلىٰ قُرْبٍ مِنْها، ثُمَّ يُفَرِّقُ الْجُنْدَ في الأَمْصارِ**».

وتشير بعض الأحاديث الى أنَّه عليه السلام يقوم بتجميع طاقات المسلمين في العراق استعداداً للزحف الى القدس «**إِذا دَخَلَ الْقائِمُ الْكُوفَةَ لَمْ يَبْقَ مُؤْمِنٌ إلاّ وَهُوَ بِها أَوْ يَحِنُّ إلَيْها، فَيَقُولُ الْقائِمُ: سِيرُوا بِنا إلىٰ هٰذا الطّاغِيَةِ**».

وتشير بعضها الى أنَّه في فترة وجود المهدي عليه السلام في العراق تقع الحرب العالمية التي يهلك فيها عدد كبير من سكان العالم.

الزحف الى القدس

نلاحظ في الأحاديث التي تصف معركة المهدي عليه السلام في تحرير المسجد الأقصى وماحوله أَنَّها تذكر السفياني على أنَّه الطرف الآخر في المعركة ولا تذكر اليهود مباشرة ولكنَّها من جهة أخرى تدلّ على أن السفياني يتراجع من عاصمته دمشق الى داخل فلسطين فيكون مقرّه في الرملة ـ قرب تل أبيب ـ وتكون ساحة المعركة طبرية والقدس، وأن المهدي عليه السلام يقاتل في هذه المعركة سبع رايات ممّا يشير الى أنَّها قيادات سياسية متحالفة أو متحدة في قيادة واحدة ضدّ المهدي عليه السلام، وتؤكد من جهة ثالثة أنه عليه السلام يستخرج أسفار التوراة وتابوت السكينة من غار أنطاكية ومن جبل بالشام وفلسطين ويحاج بها

اليهود.. ممّا يكشف عن أن السفياني إنّما هو واجهة لليهود في حربهم للمهدي عليه السلام وأنّه الشخصية التي يجد فيها اليهود وحلفاؤهم الغربيّيون المواصفات المطلوبة لمقاومة المدّ الاسلامي وأنّهم يساندونه و يعطونه دوراً واسعاً في المنطقة، ولكنه بعد هزيمته في الحجاز والعراق ينكفىء الى دمشق بل الى داخل فلسطين المحتلة و يضعف أمره حتى أنْ لايستطيع أن يرد زحف المهدي عليه السلام، بل يحاول أن يثنيه عن عزمه بالمساعي السياسية.. ولكن المهدي يتقدّم بجيشه الكبير داخل سوريا حتى يعسكر في مرج عذراء على بعد ثلاثين كيلومتراً من دمشق.

«ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأتِيَ الْعَذْرَاءَ وَقَدْ أُلْحِقَ بِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ وَالسُّفْيَانِي يَوْمَئِذٍ بِوَادِي الرَّمْلَةِ» ممّا يشير الى أن المدّ الجماهيري الاسلامي يضطر السفياني لمغادرة دمشق التي لا تذكر الأحاديث وقوع معارك فيها أو حولها.

و يبدو من الأحاديث أن فترة المفاوضات تكون طويلة نسبياً ومَرِنَة حيث تسمح لعدد من أهل المنطقة بالإلحتاق بمعسكر المهدي عليه السلام ولعدد آخر يكونون مع المهدي بالإلتحاق بالسفياني، و يسمّى ذلك اليوم يوم الابدال بمناسبة التحاق أبدال أهل الشام بالمهدي عليه السلام، و يوم التمايز بمناسبة الفرز والتميز مصداقاً لقوله تعالى «وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ».

وتذكر الأحاديث أن المهدي عليه السلام في هذه الفترة يطلب اللقاء بالسفياني و يتقابلان بالفعل فيأتيه السفياني و يستمع الى منطقه فيتأثّر أو ينهزم نفسياً و يبايع المهدي! و يرجع الى جماعته لاقناعهم بموقفه الجديد، ولكنّهم يوبخونه فيرجع الى موقفه الأول!

وتكاد تجمع الأحاديث على أن عنصر الإعجاز الإلٰهي يرافق هذه

المعركة التي يبدو أنَّها أكبر معارك الظهور على الاطلاق، ففي بدايتها يكون النداء من السماء «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ هُمْ أَصْحَابُ الْمَهْدِي» وفي أثنائها يغضب الله تعالى على أعداء المهدي فتغضب عليهم الطبيعة لغضب الله و يكون ذلك عاملاً مساعداً لأصحاب المهدي و يكتب الله لهم النصر الأكبر ويهزم أعداؤهم شرّ هزيمة فلا يبقى منهم إلاَّ الشريد والمتخفيّ فيساعد الناس في القبض عليهم «حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ لِلْمُسْلِمِ هٰذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ» وهو تعبير عن حالة فلول المنهزمين الذين يطاردهم الغضب الإلٰهي والجماهيري.

و يدخل المهدي عليه السلام الى القدس فاتحاً ومطهراً للمسجد الأقصى وماحوله، و يدخل العالم مرحلة جديدة هي مرحلة مابعد القضاء على اليهود.

نزول المسيح عليه السلام

أياً كان الوضع السياسي العالمي فإنَّ القضاء على السفياني، وانكسار اليهود وتحرير القدس، سيكون مفاجأة عالمية تحدث هزة في مختلف الشعوب.

أمَّا الشعوب الاسلامية فتكون الموجة فيها إيجابية وعارمة باتجاه الانضمام الى دولة المهدي عليه السلام وقيادته، فان الأحاديث تذكر سيطرة المهدي عليه السلام على المسلمين بعد فتح القدس «وَتَرْجِعُ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ نِعْمَتُهُمْ وَأُلْفَتُهُمْ وَقَاصِيهِمْ وَدَانِيهِمْ» ولا تذكر أيّ معارك يخوضها المهدي عليه السلام لتحرير بقية أجزاء الوطن الاسلامي الكبير.

ولكن الموجة السلبية تكون في العالم المسيحي الذي يفاجأ بانهيار حلفائه اليهود وانتهائهم دفعة واحدة، و يرى نفوذه على بلاد المسلمين قد اكتسحته موجة جديدة لم تكن بالحسبان، بل يرى أن هذه الموجة أصبحت تهدد وجوده في عواصمه و بلاده!

تذكر الأحاديث الشريفة معالجتين لحالة الذعر والتأهب التي تحدث في العالم المسيحي، لم أتبيّن أيهما تسبق الأخرى: الهدنة الاسلامية المسيحية التي يعقدها الإمام المهدي عليه السلام معهم. ونزول المسيح عليه السلام من السماء.

فقد ورد أن آخر هدنة تكون بين المسلمين والروم تكون على يد المهدي عليه السلام ثمّ ينقضها الروم، وأن مدتها تدوم سبع سنين حسب بعض الأحاديث وتسعة أشهر حسب بعضها الآخر.. ممّا يدلّ على أنّ المهدي عليه السلام يعمل بعد فتح القدس لتطمين العالم المسيحي بأنّه لاينوي التوسّع العسكري أو الدخول في حرب معهم ماداموا يحترمون بنود الهدنة المعقودة بينهم و بينه، و بذلك يفتح المجال واسعاً أمام المسيح عليه السلام للعمل مع الشعوب المسيحية.

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» وقد ورد في تفسيرها «إِنَّ عِيسىٰ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الدُّنْيَا فَلاَيَبْقىٰ أَهْلُ مِلَّةٍ يَهُودِيٍّ وَلاَغَيْرُهُ إِلاَّ آمَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَ يُصَلِّي خَلْفَ الْمَهْدِيِّ».

وفي أحاديث أخرى «يَنْزِلُ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ».

«فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمْعَةِ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ يَنْزِلُ عِيسىٰ بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَحْمَرَانِ، كَأَنَّمَا يَقْطُرُ مِنْ رَأْسِهِ الدُّهْنُ، وَهُوَ رَجُلٌ

صَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَالْوَجْهِ أَشْبَهُ الْخَلْقِ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَأْتِي الْمَهْدِيَّ وَيُصَافِحُهُ وَيُبَشِّرُهُ بِالنَّصْرِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقُولُ لَهُ الْمَهْدِيُّ: تَقَدَّمْ يَارُوحَ اللَّهِ وَصَلِّ بِالنَّاسِ. فَيَقُولُ عِيسَىٰ: بَلِ الصَّلَاةَ لَكَ يَاابْنَ رَسُولِ اللَّهِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ يُؤَذِّنُ عِيسَىٰ وَيُصَلِّي خَلْفَ الْمَهْدِيِّ».

وفي حديث «يَنْزِلُ وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ وَمَعَهُ أُلُوفُ الْمَلائِكَةِ».

وأمر نزوله عليه السلام في القدس محل اجماع الأحاديث والمسلمين، ولكن السؤال: هل ينزل و يعلن مباشرة موقفه من الاسلام و يأمر الناس باتّباع المهدي عليهما السلام والانضمام الى قيادته؟

الذي أفهمه من طبيعة الأمور أن عيسى عليه السلام ينزل للعمل مع أتباعه في خطة تدريجية تجعلهم يتقبلونه و يؤمنون به جميعاً بدون استثناء «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ» وأنه يعمل مع الجماهير المسيحية لإحداث تحوّل فيها نحو الاسلام ولاخضاع حكوماتهم وقساوستهم، وأن الصلاة خلف المهدي عليهما السلام تكون ختام عمله معلناً بذلك للمسيحيين اقتداءه هو بالمهدي عليه السلام.

ولم أجد في الأحاديث مايخالف هذا الافتراض المنطقي إلاّ الحديث القائل بأنّ المهدي يصلّي في بيت المقدس بالناس أياماً فاذا كان يوم الجمعة وقدأقيمت الصلاة ينزل المسيح فيصلّي خلفه.. ولكن وجدت نصاً آخر للحديث أن المهدي «يصلّي بالناس إماماً (لاأياماً) حتى اذا كان يوم الجمعة وأقيمت الصلاة ينزل المسيح عليه السلام «ممّا يدلّ على أنّ كلمة (أياماً) جاءت من اشتباه النسّاخ بدل كلمة (إماماً).

وعلى هذا فان مدة عمل المسيح عليه السلام منذ نزوله الى أن يصلّي خلف المهدي عليه السلام قدتكون طويلة تصل الى سنوات.. وقديبدأ

عمله عليه السلام بالانتقال من القدس الى روما أو المدينة الروميّة الكبيرة كما سمّتها بعض الأحاديث، وقديزور العديد من عواصم البلاد المسيحيّة، لأنَّ نزوله عليه السلام هو كالبعثة الجديدة الى النصارى واليهود بل إن رفعه الى السماء وادّخاره حيّاً لمدة ألفي سنة أو أكثر أو أقل واعادته الى الأرض إنّما هو خطة إلٰهيّة اتّضح لنا من أهدافها: أن يكون عَلَماً للساعة ودليلاً عليها كما ذكر الله تعالى. وأن يدعو أتباعه النصارى مجدّداً بعد أن تصبح في يدهم أكثر مقدّرات الأرض و يصحّح علاقتهم باليهود و يقيم على اليهود الحجّة. و يقربهم من المسلمين حتى يصل بهم الى الدخول في الاسلام والانضمام الى دولة المهدي عليه السلام.

ولنا أن نتصوّر مدى فرحة النصارى في العالم بنزوله عليه السلام والتظاهرات المليونية العارمة التي ستشهدها بلادهم ترحيباً بالمسيح عليه السلام وتصوّرهم ان هذا الموج الذي أحدثه ظهور المسيح سيرجّح كفّتهم على الموج الاسلامي الذي أحدثه ظهور المهدي عليه السلام.

وعلى ضوء هذا يمكننا الاعتماد على الأحاديث القائلة بأنّه بعد فتح القدس يفتح الله تعالى للمهدي شرق الأرض وغربها بدون قتال. وأن نفسّر العديد من أحاديث حركة ظهور المهدي بعد فتح القدس، مثل حديث أن المهدي والمسلمين يفتحون مدينة الروم الكبرى أو القسطنطينية الكبرى بالتكبير، الذي يمكن تفسيره بدخول المهدي وأنصاره عليهم السلام بشعار التكبير الى عاصمة النصارى الدينية روما او الى إحدى عواصم دولهم الأخرى، واعتباره وصفاً لبداية بسط المهدي لحكم الاسلام على العالم المسيحي بمساعدة المسيح عليهما السلام.

وممّا تذكره الأحاديث في ختام دور عيسى بن مريم عليه السلام خبر

وفاته وقيام المهدي عليه السلام بمراسم تكفينه والصلاة عليه ودفنه على مشهد من جماهير الناس.. وأنّه يكفّنه بثوب من نسج أمّه الصدّيقة مريم و يدفنه في القدس الى جانب قبرها عليهما السلام.

المسيرة الجديدة للعالم

الأحاديث في مدة حكم المهدي عليه السلام ومايكون بعده متفاوتة ومضطربة، و يقل في رواتها الثقاة المشهورون و يكثر فيهم الرواة العاديّون والمجهولون والضعفاء، و يصل التفاوت في عدد منها الى التضاد والتناقض. وقدتتبّعت أحاديث مدة حكمه عليه السلام بشكل أولي والتي يذكر بعضها أنّه سبع سنوات و يصل بعضها الى ثلاث مئة وتسع سنين وقليل منها يذكر امتداده الى يوم القيامة.. فألفتني مايذكره بعضها من أن النبي (ص) عبر عن مدة حكم المهدي بطريقة رمزية فقال «يَحْكُمُ: وَفَتَحَ أَصَابِعَ الْيَدِ الْيُمْنىٰ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهَا إِصْبَعَيْنِ مِنَ الْيَدِ الْيُسْرىٰ، وَلَمْ يَزِدْ على هٰذا». ولذلك روى بعض الرواة الدقيقي الرواية أن المهدي يحكم خمساً واثنين. فسئل عن معناه فقال: لاأدري، هكذا رو يته!

انّ هذا الرمز المقصود من النبي (ص) يساعد على افتراض أن التطوّر الذي يحصل في العالم في عصر المهدي عليه السلام يشمل حتى السنة كوحدة زمنية للتاريخ. و يساعد على هذا الافتراض عدد من الأحاديث والأمور نشير اليها في هذا العرض المجمل:

منها: أن دولة سليمان عليه السلام والتي هي نموذج محدود ومشهد خاطف للحياة الانسانية على الأرض كما يمكن أن تكون وكما يريدها

الله تعالى، محدود من حيث المساحة فقد وصلت كما تذكر الأحاديث الشريفة الى حدود مصر والى اليمن والى اصطخر ولم تتعدَّها، ومحدود من حيث الوسائل التي سخرت فيها لتطوير الحياة.. هذه الدولة كان يجب أن تبقى أربعين سنة وتشمل جيلاً من الناس حتى تؤدّي غرضها في إراءة النموذج والاحتفاظ به في ذاكرة الأجيال.. فكيف بالدولة الاسلامية العالمية على يد المهدي عليه السلام وهي ذات التطبيق الشامل للحياة الانسانية بالهدى الإلهي التي جاهد من أجلها مئة وأربعة وعشرون ألف نبي صلوات الله على نبيّنا وعليهم، وواصل جهادهم عدد أكبر من الأئمة سلام الله عليهم..؟

ومنها: أنَّ ضخامة حدث ظهور المهدي ونزول المسيح عليهما السلام واقامة الدولة الإلهية الكبرى.. بل إنَّ عدداً من مفردات الانجازات والنعم الإلهية التي تصفها أو تشير اليها الأحاديث الشريفة تقتضي زمناً طويلاً ولا تتناسب مع فرضية أن يكون هذا الحدث شعلة تضيء على العالم لحظة ثمَّ تنطفيء ليعود الظلام من جديد! بل إنَّ ظاهر قوله تعالى «وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ» «لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ الْمُشرِكُونَ» أن نور الاسلام يتوهّج و يأخذ مداه الى آخره ولا يخمد دفعة واحدة.

ومنها: أن الناس قد وصلوا بالحرفين من العلم اللذين يملكونهما الى اكتشاف القمر و بعض الكواكب والى وضع أقمار وسفن صناعية وغيرها في المدار الخارجي للأرض، وقد طوّروا شكل الحياة وموادها تطويراً كبيراً.. فكيف سيكون شكل الحياة ومداها بعد أن يُخرج المهدي عليه السلام الخمسة وعشرين حرفاً من العلم و يضمّها الى الحرفين و يبثّها في الناس سبعة وعشرين حرفاً كما تذكر الأحاديث؟

إنَّ ذلك يقتضي أن يصبح السفر من الأرض الى المناطق البعيدة البعيدة من الكون واقامة الاتصال بسكّانها أمراً طبيعيّاً.

ومنها: أن حركة الحياة الدنيا باتجاه الآخرة وحركة الشهادة باتجاه الغيب تقتضي أن يحدث في تراكم أجيال الانسان وقرون الزمن تغير نوعي في الحياة على الأرض يصل الى حالات انفتاح الغيب على الشهادة والآخرة على الدنيا. وهذه الحالات التي ورد بشأنها عدد من الآيات والأحاديث والتي يمكن أن نسمّيها المراحل التمهيدية للقيامة، إنَّما يبدأ ظرفها بظهور المهدي عليه السلام.

على ضوء ذلك يمكن أن نرجح أن دولة الاسلام العالمية التي تبدأ على يد المهدي عليه السلام تمتدّ الى يوم القيامة، وأن ضمان استمرارها يكون في خطين: أحدهما حالة الرشد التي يصل اليها الناس في ظلّ نمو الوعي وظروف الحياة الجديدة والتي قد تصل الى حالة العصمة الاجتماعية عن الكفر والانحراف. وثانيهما: حالة انفتاح الأرض على الكون والآخرة ممّا يجعل من الطبيعي مجيء بعض الأنبياء والأئمة عليهم السلام الى الأرض لتوجيه مسيرة البشرية الجديدة كما في بعض الأحاديث.

كما أنَّ بعض الأحاديث والأقوال الموروثة لدى المتديّنين عن مجتمع اللانقد الذي يتحقّق في عصر المهدي عليه السلام أمر منطقي الى حدّ بعيد.

وكذلك امكانية أن يصل المجتمع البشري في عصره عليه السلام ومابعده الى مجتمع اللامحكمة، ومجتمع اللادولة بمفهومها المعروف. وأن يعيش المجتمع الانساني في ظلّ الهدى الإلهي أجيالاً عديدة في حركة

خيّرة منسجمة لاينشز عنها إلاَّ الدّجال وأصحابه في أول الأمر، ومجموعة الاشرارالذين تقوم عليهم الساعة كما ورد في الأحاديث الشريفة.

من ملامح شخصيّة المهدي عليه السلام

يناسب في ختام هذا العرض لحدث الظهور أن نقدّم صورة عن شخصيّة المهدي عليه السلام مقتبسة من أوصافه العديدة التي تضمّنتها الأحاديث الكثيرة في مصادر المسلمين:

«إِسْمُهُ إِسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي، وَشَمَائِلُهُ شَمَائِلِي»

وما أشوق الأرض الى شمائل يتيم مكة.. فانَّ لقلبها نحوه وجيباً لايبلغه وجيبها الى أحد أبداً..

خطاه على متنها تاريخ.

وأنفاسه في هوائها أريج.

وحيثما عفّر جبينه بالسجود فثمَّ خشوع الى الأعماق، وفوار نور الى عنان السماء.

وفيض دموعه على ثراها.. روّى قلبها أكثر من أنهارها.

وحبّات دموعه.. أعزَّ لديها من جواهرها ولآليها.

وكلمات ذلك القلب العامر بالله.. لازالت تُدَوّي في جنبات بقاعها، وتَودُّ لويؤذن لها فتنطق بها للأجيال، وتود لوتسمع منها المزيد.

والأجيال.. ماأشوقها الى شمائل رسول الله.. شمائل أكبر مهندس لتاريخ الأرض.. وأمهر بانٍ لإنسانها..

وجيل أمتنا الحاضر.. جيل المليار مسلم.. المستضعفين في

الأرض.. الذين تزدريهم عيون حفنة من اليهود وبحر محيط من الأعداء، ويعزّ فيهم القادة الرجال.. ماأشوقهم الى إسراء من المسجد الحرام الحزين الى المسجد الأقصى المستغيث.. والى نسمة من شمائلك ياحبيب الله تسري في شمائلهم فتبعثهم الى الحياة..

ويجيء جواب الرسول الرحيم:

«إِسْمُهُ إِسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي، وَشَمَائِلُهُ شَمَائِلِي، وَسُنَّتُهُ سُنَّتِي.. يُقِيمُ النَّاسَ عَلَىٰ شَرِيعَتِي» أخرجه الصدوق في كمال الدين ص٣٨٦، وغيره.

«اَلْمَهْدِيُّ مِنِّي.. أَجْلَىٰ الْجَبْهَةِ، أَقْنَىٰ الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً» أخرجه أبوداود في صحيحه ج ٢ ص٢٠٧، وغيره.

«اَلْمَهْدِي مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، أَشَمُّ الأَنْفِ، أَقْنَىٰ، أَجْلَىٰ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً» أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤ ص٥٥٧، وغيره.

والشمائل: الصفات الجسمية، وقدتطلق على الصفات الأخلاقية.

وأجلى الجبهة: صاحب الجبهة الواسعة التي انحسر عنها الشعر.

وأقنى الأنف، وأشمّ الأنف: صاحب الأنف الدقيق المستطيل الذي في وسطه علو وتقوس.

وقد ذكرت الأحاديث الشريفة عدداً آخر من صفاته الشخصية عليه السلام مثل أنّه: مَرْبُوعُ الْقَامَةِ، أَمْيَلُ إِلَىٰ الطُّولِ.

حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الشَّعْرِ. كَثُّ اللِّحْيَةِ. أَبْيَضُ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ. عَلَىٰ خَدِّهِ الأَيْمَنِ خَالٌ.

أَزَجُّ الْحَاجِبَيْنِ مُشْرِفُهُمَا. غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ وَاسِعُهُمَا، أَفْرَقُ الثَّنَايَا بَرَّاقُهَا. بِظَهْرِهِ شَامَتَانِ، شَامَةٌ عَلَىٰ لَوْنِ جِلْدِهِ، وَشَامَةٌ عَلَىٰ شِبْهِ شَامَةِ النَّبِيِّ (ص). يَكُونُ شَيْخَ السِّنِّ، شَابَّ الْمَنْظَرِ كَابْنِ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ.

قَوِيٌّ فِي بَدَنِهِ لَوْمَدَّ يَدَهُ إِلىٰ شَجَرَةٍ لَقَلَعَهٰا.

عَلَيْهِ جَلاٰبِيبُ النُّورِ تَتَوَقَّدُ.

يُومِي ءُ لِلطَّيْرِ فَتَسْقُطُ عَلىٰ يَدِهِ، وَ يَغْرِسُ قَضِيباً فَيَخْضَرُّ وَ يُورِقُ.

أَشْفَقُ عَلىٰ النّٰاسِ مِنْ آبٰائِهِمْ وَاُمَّهٰاتِهِم.

آخَذُ النّٰاسِ بِمٰا يَأْمُرُ بِهِ، وَأَكَفُّ النّٰاسِ عَمّٰا يَنْهىٰ عَنْهُ.

شَدِيدٌ عَلىٰ الْعُمّٰالِ، جَوٰادٌ بِالْمٰالِ، رَحِيمٌ بِالْمَسٰاكِينَ.

كَأَنَّمٰا يُلْعِقُ الْمَسٰاكِينَ الزُّبْدَ.

أَشَدُّ النّٰاسِ تَوٰاضُعاً لِلّٰهِ تَعٰالىٰ.

خَاشِعٌ لِلّٰهِ كَخُشُوعِ النَّسْرِ بِجَنٰاحَيْهِ.

(الْمَهْدِيُّ خٰاشِعٌ لِلّٰهِ كَخُشُوعِ النَّسْرِ بِجَنٰاحَيْهِ)

أخرجه ابن حمّاد في الفتن والملاحم ص ١٠٠ (مخطوطة).

والسيوطي في العرف الوردي ج ٣ ص ٣٧.

والسفاريني في لوائح الأنوار ج ٢ باب صفة المهدي.

وابن حجر في كتابه القول المختصر، وغيرهم.

هذا التشبيه النبوي من جوامع الكلم التي خصّ الله تعالى بها رسوله (ص) والتي يجتمع فيها: الجمال، والعمق، والأبعاد، والشمول.

فأقصى مايملك النسر من مظهر الخشوع جناحاه حيث يخفضهما الى أسفل من بدنه ويخفض رأسه، فيبدو ثابتاً في مكانه محدقاً في الأرض خاشعاً.

والخشوع في الانسان أمر غريزي يكاد أن يكون تكوينياً، ذلك أن الوجود المحدود لابدّ له أن يستمد من الوجود المطلق عزّوجلّ فيعظمه

ويحبّه و يستعطفه.. فان هو لم يفعل التجأ الى مايتصوّره مطلقاً أو كبيراً فخشع له، فأفسد وجوده وأفسد الحياة من حوله. وأكثر مايتجلّى أمر هذا الخشوع في الحكّام فترى الواحد منهم يخشع لوجود آخر يعظّمه و يستند اليه و يسبح بحمده.. وان شئت فانظر الى حالة عشرين حاكماً على العرب وستين حاكماً على المسلمين!

والمهدي عليه السلام خاشع لله تعالى، يعظمّه ويحبّه و يستعطفه.. ولكن لماذا كخشوع النسر بجناحيه أو لجناحيه أو لجناحه كما في بعض الروايات، أي خشوعاً يصل الى جناحيه كما تقول خشوعاً يصل الى قمة رأسه؟

يريد النبي (ص) بهذا التشبيه أن يبيّن بُعدين على الأقل في شخصية حفيده المهدي عليه السلام ينسجمان مع هذا الخشوع و ينبعان منه: القوة على أعدائه، والتحليق والسمو عليهم وعلى الدنيا.

فالمهدي عليه السلام قوي على أعدائه كقوة النسر على بغاث الطير، يحدق بالطاغوت كالنسر من أعلى و ينقض عليه فيرديه ولايمهله.. فهذه ثمرة الخشوع الكامل لله عزَّوجلَّ لا كخشوع الضعفاء الذي يخشعون لله و يرون أنَّه أكبر، ويخشعون في نفس الوقت للقوى الحاكمة و يرون أنَّها أكبر أيضاً! فذلك خشوع القطيع يطلب من ربّه النجاة من الذئاب و يستسلم لها، بل خشوع الدجاج لربّه يطلب النجاة من الثعلب ولايجرؤ أن يطلق في وجهه صراخاً أو ينقره بمنقار!

والمهدي عليه السلام يمسك بزمام الدنيا و يسيطر على أطرافها يكنس منها الجور والظلم، ويملؤها بالقسط والعدل.. ولكنّه محلق عنها كالنسر، يراها أصغر من قدره وأصغر من هدفه.. ومن يزهد في مناصب الدنيا وأموالها ومتاعها فلايراها لنفسه قدراً، فذلك زهد النسور المحلّقة.

«مِنْ عَلامَةِ الْمَهْدِيِّ: أَنْ يَكُونَ شَدِيداً عَلىٰ الْعُمَّالِ، جَواداً بِالْمالِ، رَحِيماً بِالْمَساكِينَ»

أخرجه الترمذي ج ٣ ص ٣٢٣

والسيوطي في العرف الوردي ج ٢ ص ٧٥

الفقراء في مصطلح فقهاء المسلمين هم (الذين لايملكون كفاية نفقتهم السنوية، سواء كانوا عاطلين عن العمل أو كانوا يعملون ولكن واردهم لايكفيهم) وتحسب كفاية النفقة السنوية بالمستوى المتوسط للمجتمع الذي يعيشون فيه. وعلى هذا فان أكثر من اربعة مليارات انسان من أصل حوالي خمسة مليارات ونصف سكّان الأرض، هم فقراء بالمفهوم الاسلامي.

والمساكين هم الفقراء الأسوء حالاً، من الذين لايكادون يسدّون رمقهم، أو الذين لايستطيعون كسب معيشتهم لقصورهم الذهني أو البدني، ولامورد لهم.

وأساس مشكلة المساكين والفقراء تأتي من أن الأرض والحياة الدنيا المحدودة لا تتسع لمطامع الناس التي يتصورون أنَّها مصالحهم، فتتعارض مصلحة الفقراء مع مصلحة الحاكم ومجموعة من بيدهم الثروة في المجتمع فيستأثرون و يظلمون.. و يستحكم التعارض وتصبح المشكلة مستعصية ومزمنة.

وتتجه الكنيسة المسيحية الى معالجة المشكلة بالوعظ والتربية الأخلاقية.

وتتجه الشيوعية الى معالجتها بتثوير الفقراء (البروليتاريا) على

أصحاب القدرة والثروة (البرجوازيّين).

وتحاول الدول الغربية اعتبار أن الضوابط القانونية هي المعالجة التي تحقّق التوازن بين مصلحة فئات المجتمع.

وتتميّز معالجة الاسلام بأنَّها تتضمّن العناصر الإيجابية من هذه المعالجات وتضيف اليها عنصراً جديداً أساسياً.

فالتربية الأخلاقية ومايتفرّع عنها من تشريعات مالية وقيم وعادات اجتماعية.. عنصر ضروري لمعالجة المشكلة، ولكنّه عنصر تكميلي وتجميلي وليس أساسياً.

وتثوير الطبقة المستضعفة أمر ضروري ولكن بالطريقة والمحتوى الاسلامي، أمَّا الثورة بالطريقة والمحتوى الشيوعي فلا تعني أكثر من نقل القدرة والثروة من يد فئة الى يد فئة جديدة، وتكون المعالجة بالتالي تغيير أحد طرفي المشكلة لا أكثر.

والقوانين التي تضبط حدود مصالح الأفراد والفئات في المجتمع أيضاً ضرورية، ولكن الاسلام لايثق بالقوانين الوضعية ولا بمنفذيها.

إنَّ العنصر الجديد الذي يقدّمه الاسلام يتناول أساس المشكلة وعمقها الذي هو في الانسان، فيطرح الاسلام هذا السؤال:

مَنْ مِن الناس يمكن أن يكون محبّاً للمساكين والفقراء وحريصاً على مصلحتهم؟

ويجيب على السؤال، بأن الانسان مالم يؤمن بالموقف والمسؤولية بين يدي الله تعالى في الآخرة، فإن غريزة حبّ الذات ستبقى مانعاً له عن حبّ الفقراء والمساكين وستدفعه الى عدائهم والإضرار بمصلحتهم قال عزَّوجلَّ «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ؟ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ! وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ

طَعَامِ ٱلمِسْكِينِ!».

وحتى أولئك المؤمنين بيوم الدين نظرياً ولكنّهم منافقون، ليس بمقدورهم أن يحبّوا جماهير الفقراء والمساكين، بل سيدفعهم نفاقهم الى منع التعاون بين الناس «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ.. الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَ يَمْنَعُونَ ٱلمَاعُونَ!».

و بذلك ينحصر الأمر في نوع خاص من الناس هم المصدّقون بالدين والمسؤولية أمام الله تعالى، فهؤلاء وان تعارضت مصلحتهم مع مصلحة الجماهير الواسعة إلاّ أنّهم سيفضلون مصلحة الجماهير على مصلحتهم خوفاً من العقوبة الإلٰهية في يوم الدين. فهم وحدهم المؤهّلون لأن يكونوا أمناء على مصلحة الفقراء والمساكين، و بيدهم وحدهم يجب أن تكون السلطة ومقدّرات المجتمع.

على أنّ حبّ المساكين والفقراء لدى المهدي وأمثاله من كبار الأئمة عليهم السلام له منابع أخرى سوى الخوف من الله تعالى، لأنّ الخوف من عقاب الله يمثّل الحدّ الأدنى في الحاكم في نظر الاسلام... و يوجد منبعان آخران لحبّ الجماهير وخدمتهم:

أولهما: حبّهم وخدمتهم رغبة في جزاء الله تعالى في الآخرة.

وثانيهما: حبّهم وخدمتهم لأن الله تعالى يحبّ ذلك و يأمر به، فيكون حبّهم من فروع حبّ الله تعالى. وهذا النوع العالي من العبادة من أخلاق رسول الله (ص) وكبار أهل بيته وصحابته عليهم السلام، وقد ورد في عدة أحاديث شَبَهُ المهدي بجدّه رسول الله (ص) في خلقة وخلقه. و بعضها يصف حبّه عليه السلام للمساكين فيقول (المهدي كأنّما يلعق المساكين الزبد) وسواء كان هذا الوصف من رسول الله (ص) أو تعبيراً عمّا فهمه

الرواة من وصفه لولده المهدي.. فهو يصوّر أُبُوّتَهُ الحانية للمساكين وهو يجلس معهم و يطعمهم بيده من أطيب الأطعمة.

وكما أنَّ الرحمة بالمساكين مقياس تعرف به عدالة الحاكم في فئة المساكين ومن ثمَّ في بقية الفقراء وفئات المجتمع.. فهي من جهة أخرى تعرف بصفتين تلازمانها وتنتجان عنها هما: سخاء الحاكم، وشدّته على وزرائه. فالحاكم البخيل أو غير الكريم يصبح عاجزاً عن حبّ المساكين وخدمتهم. والمتسامح مع جهاز دولته يصبح عاجزاً عن إنصاف كلّ فئات المجتمع.

ولم يذكر الحديث الشريف صفة حبّ المساكين أولاً مع أنّها أساس الموضوع، لأنّه ليس في مقام التحليل أو التوجيه التربوي بل في مقام بيان صفات المهدي عليه السلام التي تتّصل برحمته بالمساكين، وقدجعل أول هذه الصفات محاسبته لجهاز دولته، و يليه إنفاقه للثروة على أصحابها الشرعيين «يَحْثُو الْمالَ حَثْواً وَلاٰيَعِدُّهُ عَدّاً».

وللاسلام رأيه الخاص في تعامل المسؤول الأول في الدولة مع بقية المسؤولين الذي يختلف عن كلّ مناهج الحكم والادارة.. فهويأمر الحاكم أن يعتمد مع بقية المسؤولين منهج المراقبة والمحاسبة والعقوبة السريعة الشديدة.. وفي الوقت الذي يحرّم بشدة التجسّس على مواطني الدولة الاسلامية باستثناء أعدائها من المنافقين والكفّار، يوجب على المسؤول الأول أو يجيز له أن يشكّل جهاز تجسّس على كافة المسؤولين من الوزراء ومعاونيهم، وعلى حكّام المحافظات وكبار الموظفين.

وقد رسم أميرالمؤمنين علي عليه السلام قواعد هذا المنهج في عهده الذي كتبه لمالك الأشتر رضي الله عنه عندما عيّنه حاكماً على مصر فقال

له بشأن الوزراء والولاة «ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمالَهُمْ وَابْعَثْ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلى اسْتِعْمالِ الأَمانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلى خِيانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِها عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِما أَصابَ مِنْ عَمَلِهِ.. ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيانَةِ وَقَلَّدْتَهُ عارَ التُّهْمَةِ». ـ نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٣٥ ـ تعليق الدكتور صبحي الصالح.

فلايزال يقتل أعداء الله، حتى يرضى الله

أخرجه الصدوق في كمال الدين ج ٢ ص ٤٧١

الطغاة شجرة خبيثة واحدة.. ممتدة من أول الأجيال.. الى يومنا هذا، والى أن يرث الله الأرض وماعليها.

من قابيل الحسود القاتل.. الى آخر قاتل لانسان بريء في ساعتنا هذه.

ومن أول قارون جمع فأوعى، وطغى على عباد الله.. الى قوارين عصرنا الغربيّين والشرقيّين وأزلامهم في العالم الثالث.

ومن أول ظالم تسلط على عباد الله وقهرهم.. الى ريغان وأندربوف وميتران وتاتشر، ومقلّديهم في الأرض.

إنّهم حالة واحدة متصلة، ومدرسة واحدة لإبليس تنتج في كل جيل أفواجاً بنفس القوالب، و بذات العقلية المعكوسة والنفسية المنكوسة!

«كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» ١١٨ ـ البقرة.

وجرائمهم في حق الملايين من عباد الله، هي هي، واحدة في الجوهر وان تطوّرت أشكالها. بل هي واحدة حتى في الشكل والتفاصيل في كثير

من الأحيان! و يالها من جرائم يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، وتكدح فيها أجيال المستضعفين حتى تلاقي ربّها.

وقصة تكذيبهم لأنبياء الله وكتب الله، واضطهادهم للأنبياء والمؤمنين.. قصة واحدة متصلة الى يومنا هذا «كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ! أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ؟! بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» ٥٢ -٥٣ -الذاريات.

وانّها لقصة تئنّ منها بقاع الأرض، و يبكي منها التاريخ، وتنوح بمأساتها الطيور على أغصانها، وتضجّ لها الملائكة في السماوات.. وتَدْمى بها قلوبنا جيلاً بعد جيل فيموت المؤمن منّا أو يقتل وفي قلبه ذلك الغيظ التاريخي من جرائمهم لايهدأ ولايشفى...

قتلونا زرافات ووحداناً، نشرونا بالمناشير. قطعوا منّا الألسن والأيدي والأرجل والرؤوس.. رمونا في الآبار بعد أن غرسوا فيها أسنة الرماح.. ألقوا بنا و بأطفالنا ونسائنا في خنادق مضطرمة بالنار، وفي قدور الماء تفور، وفي أحواض المواد الكيمياو يّة.. قتلونا في قعور السجون المظلمة الرطبة والحارة.. رموا بنا طعاماً للأسود والوحوش في حدائقهم. ألقونا مقيّدين في الفلوات للذئاب، وفي الثلوج للهلاك، وفي البحار والأنهار والبحيرات للغرق...

قتلونا بكلّ نوع من القتل يخطر أو لايخطر على بال.. وعذّبونا بأنواع العذاب التي تخطر أو لاتخطر على بال!

وكان أذاهم المعنوي أشدّ علينا من كلّ ذلك. أهانوا كراماتنا. اتّهمونا بكل قبيح، هتكوا أعراضنا. سلّطوا السفهاء علينا. أخذوا ديارنا وأموالنا. حاربونا في لقمة عوائلنا. منعوا ثدي الأمّ عن فم أطفالنا.

صادروا وجودنا وحرّيتنا، ومنعونا أن نتّصل بجماهير المستضعفين من عباد الله، أن نقول لهم كلمة، خوفاً أن تعرف الجماهير الله ورُسله وتعي طغيانهم فتثور عليهم.

وكأنَّ إبليس على مرّ القرون يكرّر نسخة الواحد من هؤلاء المجرمين كلّما اتسع عدد البشر على الأرض.. فيصبح الفرعون الواحد مئة، والقارون الواحد ألفاً، وعشرات السفهاء من أزلامهم مئات الألوف..!

إنَّ غيظ قلوب المستضعفين من هؤلاء الطغاة مزمن، وثارات المؤمنين عندهم قديمة جديدة. وانَّ الأمل بأن يهتدوا و يصلحوا يشبه الأمل بأن يخضرّ القسم اليابس من الشجرة ولاينشر اليَبَس في بقيتها، بل يشبه الأمل بأن تتحول الغدة السرطانية الى جزء مسالم نافع للجسم.

لقد خبرناهم على مرّ التاريخ فلم ينفع معهم علاج إلاّ غضب إلٰهي يطهّر الأرض منهم بطوفان، أو بصاعقة من السماء، أو بسيف محمد(ص) يجزّ منهم الرقاب، أو بسيف ولده المهدي عليه السلام في مرحلة التطهير النهائية.

إنَّ الأحاديث الشريفة عن انتقام المهدي عليه السلام من أعداء الله تعالى تدلّ على أنَّ حركة صراع المؤمنين التاريخية معهم تبلغ مرحلتها الأخيرة ـ وهل التاريخ إلاّ قصّة صراعنا معهم ـ وأن الوقت يكون قدحان لأنَّ يسترد المؤمنون حقّهم المسلوب المغصوب، و يرثوا أرض ربّهم، و ينهوا منها مسلسل الظلم والجرائم، ويملؤوها بالقسط والعدل بين عباد الله.

ومثل هذه العملية الجراحية تحتاج الى امام مهدي ينظر بنور الله فيقتل كل من امتلأت روحه بالشرّ وكل من لايؤمن شرّه على المسيرة

الجديدة، حتى لو كان من المنتمين الى المسلمين «يَسِيرُ بِالْقَتْلِ، بِذَلِكَ أُمِرَ بِالْكِتَابِ الَّذِي مَعَهُ: أَنْ يَسِيرَ بِالْقَتْلِ وَلَا يَسْتَتِيبَ أَحَداً، وَيْلٌ لِمَنْ نَاوَاهُ؟» البحار ج ٥٢ ص ٣٥٣.

إنَّ عملية تطهير الأرض وحلّ أزمة المستضعفين مع المستكبرين تستحقّ أن يكون ثمنها إبادة أعداء الله وأعداء عباده حتى لو بلغوا الملايين... بل إنَّ عملية تطهير أمة رسول ٱللَّهِ (ص) التي تبلغ مليار إنسان تستحق ابادة أعدائهم المحسوبين عليهم حتى لو كانوا مليون شخص أو بضعة ملايين.

ولعلنا جميعاً نقبل هذه المعادلة نظرياً، ولكن لماذا يختلف موقفنا اذا رأينا تطبيقها؟

إنَّها كالعملية الجراحية التي يسهل على الطبيب إقناع الناس بها، ولكن من يتحمّل أن يجريها الطبيب على مرأى منه ومسمع و بدون دواء مخدّر للمريض؟؟

واذا كان الطبيب يستطيع أن يخدّر المريض فلايعلو صراخه، وأن يجري العملية في معزل عن الناس، فإنَّ عملية المهدي عليه السلام لاستئصال أعداء الله من المجتمع لايوجد لها مخدّر يمنع الصراخ، ولايمكن أن تتم في معزل عن الناس.. ولذلك فالذين يحتملون رؤية الدماء تسفك والأرواح تزهق والرؤوس تطيح.. هم أهل الإدراك العقلي والعقائدي، والأعصاب القوية..

سيصف الإعلام العالمي المهدي عليه السلام بأنَّه متعطّش للدماء! وسيقولون فيه أضعاف ماقالوا في الإمام الخميني وفي المجاهدين المسلمين الذي يصفونهم بالمتطرفين الإرهابيّين. لأنَّ حركة المهدي عليه السلام

ستكون عليهم أكبر من كلّ مارأوه من قبلها:

«إِذا ظَهَرَتْ رايَةُ الْحَقِّ لَعَنَها أَهْلُ الشَّرقِ وَالْغَرْبِ. أَتَدْري لِمَ ذٰلِكَ؟ قُلْتُ: لا. قالَ: لِلَّذي يَلْقىٰ النّاسُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَبْلَ خُرُوجِهِ» البحارج ٥٢ ص ٣٦٣

بل سيحركون ضدّه المنافقين من المسلمين وفيهم بعض المتزيين بزي علماء المسلمين فيصدرون الفتاوى بأن عمل المهدي عليه السلام مخالف للشريعة الاسلامية!! «أَعْداؤُهُ مُقَلِّدَةُ الْفُقَهاءِ... وَلَوْلا أَنَّ السَّيْفَ بِيَدِهِ لأَفْتَوْا بِقَتْلِهِ» اسعاف الراغبين ص ١٤٣.

و يصل أمر هذه العملية الجراحية الى حدّ أنّ أحد أصحاب المهدي عليه السلام على ايمانه وشجاعته يرتجف و يدخل قلبه الريب لكثرة مايرى من سفكه عليه السلام للدماء الفاسدة.. ولكنّه سرعان مايعود الى يقينه حين يعلم أنّ ذلك إنّما هو بعهد معهود من رسول ٱللّٰهِ (ص).

أمّا بقية أصحابه، وأمّا جماهيره الواسعة فهم يدركون بوعيهم وفطرتهم أنّ مايأمر به هو الحقّ، وأنّه المهديُّ الملهم من الله تعالى والمبشر به من نبيّه (ص)، وأنّهم يطيعون الله ورسوله بتنفيذ أوامره ولوأمرهم أن يجروا من دماء أعدائه أنهاراً..

وَلْتَجر الأَرض من دماء الكافرين والمنافقين أنهاراً.. فماذا نصنع اذا كان ذلك هو الطريق الوحيد لايقاف أنهار الظلم السوداء النتنة، واجراء أنهار العدالة الإلٰهية المضيئة بين عباد الله.. إن الوجه الآخر لحبّ المساكين والمستضعفين هو الانتقام من أعدائهم وظالميهم وقدأمرنا الله تعالى فقال «قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبهِمُ ٱللّٰهُ بِأَيْديكُمْ وَيُخْزِهِمْ، وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنينَ».

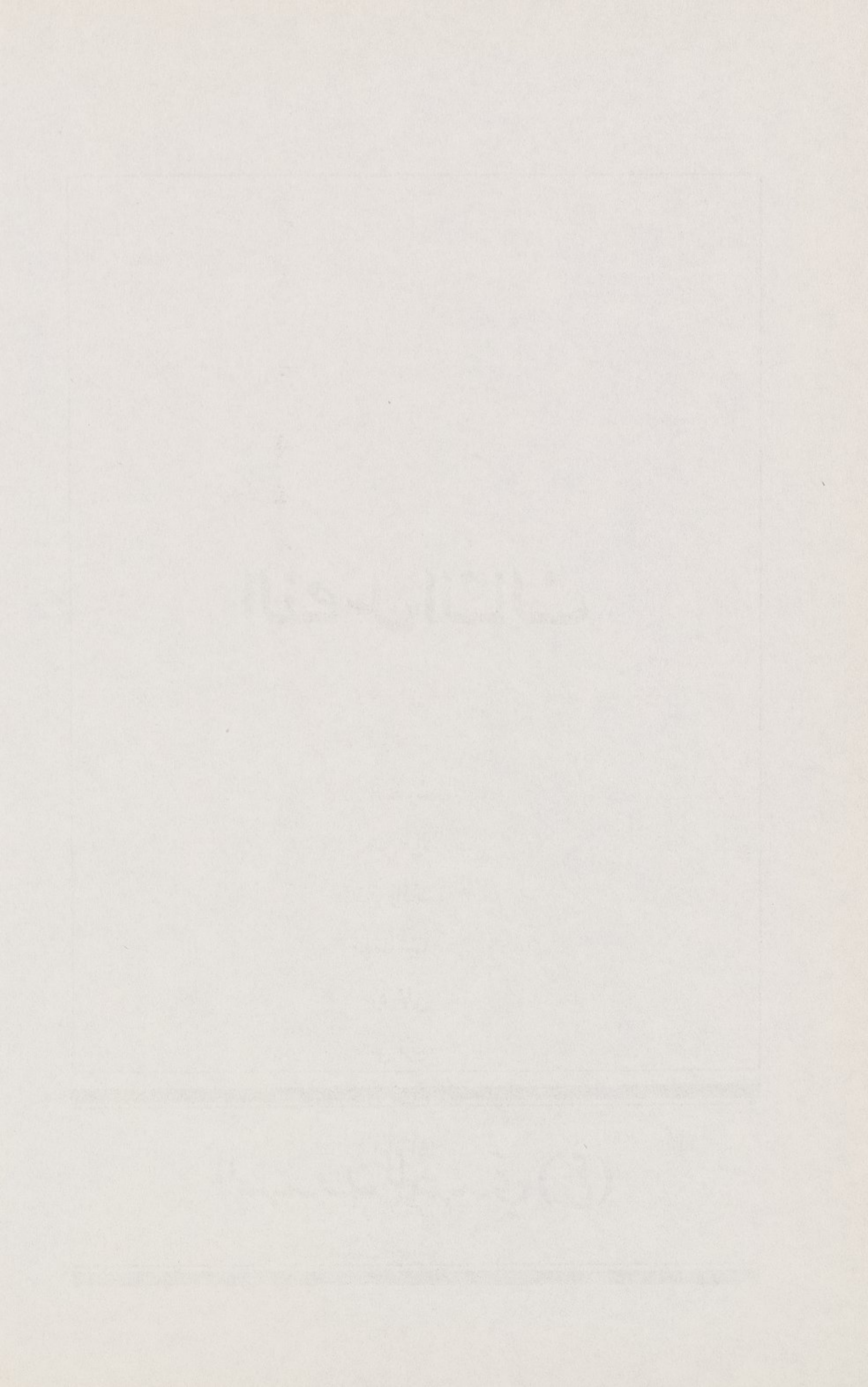
«وَهُوَ سَمِيُّ رَسُولِ ٱللّٰهِ وَكَنِيُّهُ، وَهُوَ الَّذي تُطْوىٰ لَهُ الأَرْضُ وَيَذِلُّ لَهُ كُلُّ صَعْبٍ

وَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدُ أَهْلِ بَدْرٍ ثَلَثُمائةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ، وَهُوَ قَوْلُ ٱللَّهِ عَزَّوَجَلَّ «أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هٰذِهِ الْعِدَّةِ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ (الإخْلاصِ خ ل) أَظْهَرَ أَمْرَهُ فَإِذَا كَمُلَ لَهُ الْعَقْدُ (الْعَدَدُ خ ل) وَهُوَ عَشْرَةُ آلافِ رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَلايَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ ٱللَّهِ حَتَّى يَرْضَىٰ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. قُلْتُ: وَكَيْفَ يَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ رَضِيَ ؟ قَالَ: يُلْقِي ٱللَّهُ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ». كمال الدين ـ الصفحة المتقدمة

* *

الفصل الثالث

الممهّدون للمهديّ (ع)



أحاديث الممهّدين

(١) حديث (حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود)

نصّ الحديث من مستدرك الحاكم:

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قالَ: أَتَيْنا رَسُولَ اللَّهِ (ص) فَخَرَجَ إِلَيْنا مُسْتَبْشِراً يُعْرَفُ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَما سَأَلْناهُ عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَخْبَرَنا بِهِ، وَلا سَكَتْنا إِلاَّ ابْتَدَأَنا.. حَتَّى مَرَّتْ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هاشِمٍ فِيهِمْ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَلَمَّا رَآهُمُ الْتَزَمَهُمْ وَانْهَمَلَتْ عَيْناهُ.. فَقُلْنا: يا رَسُولَ اللَّهِ ما نَزالُ نَرى فِي وَجْهِكَ شَيْئاً نَكْرَهُهُ! فَقالَ:

إِنّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتارَ اللَّهُ لَنا الآخِرَةَ عَلى الدُّنْيا، وَإِنَّهُ سَيَلْقى أَهْلُ بَيْتِي مِنْ بَعْدِي تَطْرِيداً وَتَشْرِيداً فِي الْبِلادِ حَتّى تَرْتَفِعَ راياتٌ سُودٌ فِي الْمَشْرِقِ فَيَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلا يُعْطَوْنَهُ ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ فَلا يُعْطَوْنَهُ ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ فَلا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ.. فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ وَمِنْ أَعْقابِكُمْ فَلْيَأْتِ إِمامَ أَهْلِ بَيْتِي وَلَوْ حَبْواً عَلى الثَّلْجِ، فَإِنَّها راياتُ هُدىً يَدْفَعُونَها إِلى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُواطِي إِسْمُهُ إِسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ إِسْمَ أَبِي فَيَمْلِكُ الأَرْضَ فَيَمْلَؤُها قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً».

أخرجه:

- الحاكم في المستدرك ج ٤ -ص ٤٦٤ وص ٥٥٣.

- الحنفي في كنز العمال ج ٧ -ص ١٨٧.

- ابن ماجه في سننه ج ٢ -ص ٥١٨ و٢٦٩.

- ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٠٠.

- السيوطي في العرف الوردي ج ٢ -ص ٦٣ و٦٨. وأخرجه في الحاوي ج ٢ ص ١٢٧ وقال: أخرجه ابن شيبه، ونعيم بن حماد في الفتن، وأبونعيم عن ابن مسعود.

- القندوزي في ينابيع المودّة ص ١٩٣ و٤٣٣ نقلاً عن مسند أبي حاتم، وصحيح حبان، وكتاب ابن السري.

- الجمع بين الصحاح في آخره.

- الشافعي في عقد الدرر حديث ١٦٢ و١٦٤ ص ١٢٤.

- ابن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٤ و٨٥ وغيرها (من المخطوطة).

- ابن خلدون في مقدمته ص ٢٦٧.

- قال ابن الصديق الحضرمي: رواه الحاكم في المستدرك (وذكر سنده عن عبدالله بن مسعود) ورواه ابن ماجه (وذكر سنده عن عبدالله بن علقمة) وقال: رجاله كلّهم ثقات.

- ابن طاووس في الملاحم والفتن ص ٣٠ و١١٧.

- البحراني في غاية المرام ص ٥٧٠ نقلاً عن الأربعين حديثاً لأبي نعيم.

- ابن أبي شيبة في المصنّف ج ١٥ ص ٢٣٥.

- الداني في سننه ص ٩٣.

ملاحظات حول رواية هذا الحديث:

١) روت المصادر المذكورة وغيرها هذا الحديث الشريف بصيغ متقاربة، مع بعض الفروق في الألفاظ والفقرات. وفي أكثرها لا توجد فقرة (واسم أبيه كاسم أبي) وفي عدد منها كالحاوي للسيوطي وعقد الدرر للشافعي والفتن والملاحم لابن حماد والملاحم والفتن لابن طاووس ورد فيها «**حَتَّى يَبْعَثَ ٱللَّهُ رَايَةً مِنَ الْمَشْرِقِ سَوْدَاءَ مَنْ نَصَرَهَا نَصَرَهُ ٱللَّهُ وَمَنْ خَذَلَهَا خَذَلَهُ ٱللَّهُ حَتَّى يَأْتُوا رَجُلاً إِسْمُهُ إِسْمِي فَيُوَلُّونَهُ أَمْرَهُمْ فَيُؤَيِّدُهُ ٱللَّهُ**».

٢)هذاالحديث واحد من عدة أحاديث عن الرايات السود أو رايات المشرق الممهدة للمهدي(ع) ولكنَّه أطولها وأوسعها انتشاراً في مصادر الحديث، ولايبعد أن يكون هو الأصل لعدة أحاديث ذكرتها المصادر كأنَّها أحاديث مستقلة بينما هي أجزاء منه منقولة لفظاً أو معنى. ومن ذلك الحديث الذي يضاهيه في الشهرة والانتشار في المصادر «**إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ خَرَجَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا وَلَوْحَبْواً عَلَىٰ الثَّلْجِ فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةُ ٱللَّهِ الْمَهْدِي**» الذي رواه كنز العمال، وابن ماجه وعقد الدرر، وابن حمَّاد، والصواعق المحرقة، والحاوي وغيرهم.

ولعلَّ من ذلك أيضاً حديث «**يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ يُوَطِّئُونَ لِلْمَهْدِي سُلْطَانَهُ**» الذي رواه عدد من أهل الصحاح كابن ماجه وأحمد وغيرهم.

ومارواه المجلسي في بحار الأنوارج ٥١ -ص٨٣ -وج ٥٢ -ص٢٤٣،

عن الإمام الباقر(ع) قال «كَأَنّي بِقَوْمٍ قَدْ خَرَجُوا بِالْمَشْرِقِ يَطْلِبُونَ الْحَقَّ فَلا يُعْطَوْنَهُ ثُمَّ يَطْلِبُونَهُ فَلا يُعْطَوْنَهُ، فَإِذا رَأَوْا ذٰلِكَ وَضَعُوا سُيُوفَهُمْ عَلىٰ عَواتِقِهِمْ.. فَيُعْطَوْنَ ماسَأَلُوا فَلايَقْبَلُونَهُ، حَتَّى يَقُومُوا، وَلايَدْفَعُونَها إِلاّ إِلىٰ صاحِبِكُمْ (أي المهدي عليه السلام) قَتْلاهُمْ شُهَداءَ، أَمَا إِنّي لَوْأَدْرَكْتُ ذٰلِكَ لأَبْقَيْتُ نَفْسِي لِصاحِبِ هٰذا الأَمْرِ».

٣) روى الحنفي في كنز العمّال ج ٦ -ص ٦٨ حديثاً عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام بمثابة التعليق على حديث النبي (ص) عن عامربن الطفيل أنّه قال له «ياعامِرُ إِذا سَمِعْتَ بِالرّاياتِ السُّودِ مُقْبِلَةً مِنْ خُراسانَ فَكُنْتَ فِي صُنْدُوقٍ مُقْفَلٍ عَلَيْكَ فاكْسِرْ ذٰلِكَ الْقُفْلَ وَذٰلِكَ الصُّنْدُوقَ حَتَّى تُقْتَلَ تَحْتَها، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَتَدَحْرَجْ حَتَّى تُقْتَلَ تَحْتَها».

(٢) أنّها غير رايات بني العباس

«تَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ راياتٌ سُودٌ لِبَنِي الْعَبّاسِ، ثُمَّ يَمْكُثُونَ ماشاءَ اللّٰهُ، ثُمَّ تَخْرُجُ راياتٌ سُودٌ صِغارٌ تُقاتِلُ رَجُلاً مِنْ وُلْدِ أَبِي سُفْيانَ وَأَصْحابِهِ، وَيُؤَدُّونَ الطّاعَةَ لِلْمَهْدِي».

- أخرجه السيوطي في العرف الوردي ج ٢ -ص ٦٩.
- وابن حمّاد في الفتن والملاحم بألفاظ مختلفة ص ٥٢ و٨٤ و٨٥ (من المخطوطة).
- وابن طاووس في الملاحم والفتن ص ٣٣.

وسوف نذكر محاولة بني العباس تطبيق أحاديث النبي (ص) عن رايات المشرق والمهدي (ع) على راياتهم وملوكهم.

(٣) حديث «هم أهل الرايات السود المستضعفون»

«فَيَبْعَثُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ (أي على السفياني) فَتىً مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ، هُمْ أَصْحابُ الرّاياتِ السُّودِ الْمُسْتَضْعَفُونَ يُعِزُّهُمُ ٱللَّهُ وَ يُنْزِلُ عَلَيْهِمِ النَّصْرُ فَلا يُقاتِلُهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ هَزَمُوهُ».

أخرجه الحنفي في كنز العمال ج ٧ -ص ٢٦٢.

والسيوطي في العرف الوردي في أخبار المهدي.

وابن طاووس في الملاحم والفتن ص ١٥٠.

(٤) حديث «فلايردها شيء حتى تنصب في ايلياء»

«تَخْرُجُ مِنْ خُراسانَ راياتٌ سُودٌ فَلا يَرُدُّها شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ في إِيْلِياءَ»

أخرجه الحنفي في كنز العمال ج ٧ -ص ٢٦٢ نقلاً عن مسند أحمد وجامع الترمذي بسنديهما عن أبي هريرة. وأخرجه الترمذي في سننه ج ٣ ص ٣٦٢.

وأخرجه السيوطي في الحاوي ج ٢ -ص ١٢٧، وفي العرف الوردي ج ٢ -ص ٦٠.

وأخرجه ابن كثير في النهاية وقال: هذه الرايات ليست هي التي أقبل بها أبومسلم فاستلب بها دولة بني أميّة، بل رايات سود أخرى تأتي صحبة المهدي.

وصححه الصديق الحضرمي في رسالته في الرد على ابن خلدون وقال رواه البيهقي في الدلائل.

وروى قريباًمنه ابن طاووس في الملاحم والفتن ص٤٣ و٥٨.

وروى في صفحة ٣١ عن سفيان الكلبي «يَخْرُجُ عَلىٰ لِواءِ الْمَهْدِيِّ غُلامٌ حَدِيثُ السِّنِّ خَفِيفُ اللُّمَّةِ أَصْفَرُ، لَوْقَاتَلَ الْجِبالَ لَهَدَّها» وفي رواية أخرى يقاتل حتى ينزل ايلياء.

وروى نعيم بن حمّاد في الفتن ص٨٤ (مخطوطة) عن محمدبن الحنفيّة قال: «تَخرُجُ راياتٌ سُودٌ لِبَني الْعَبّاسِ ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ خُراسانَ أُخْرىٰ سُودٌ قَلانِسُهُمْ سُودٌ وَثِيابُهُمْ بِيضٌ عَلىٰ مُقَدِّمَتِهِمْ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ شُعَيْبُ بْنُ صالِحٍ مِنْ تَمِيمٍ يَهْزِمُونَ أَصْحابَ السُّفْيانِي حَتّى يَنْزِلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ يُوَطِّىءُ لِلْمَهْدِيِّ سُلْطانَهُ، وَيُمَدُّ إِلَيْهِ ثَلاثُ مِئَةٍ مِنَ الشّامِ. يَكُونُ بَيْنَ خُرُوجِهِ وَبَيْنَ أَنْ يُسَلِّمَ الأَمْرَ إِلىٰ الْمَهْدِيِّ إِثْنانِ وَسَبْعُونَ شَهْراً.

وروى قريباً منه الصبان الشافعي في اسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار ص١٢٧.

(٥) أحاديث دخول الايرانيين الى دمشق

وهي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مايتعلّق برايات بني العباس وأبي مسلم الخراساني وأصحابه، وقدرواها ابن حمّاد تحت عنوان (خروج بني العباس) من ص٥٢ الى ٥٦ من مخطوطة الفتن والملاحم، منها:

«تُقبِلُ الرّاياتُ السُّودُ مِنَ الْمَشْرِقِ يَقُودُهُمْ رِجالٌ كَالْبُخْتِ الْمُجَلَّلَةِ أَصْحابُ

شُعُورٍ، أَنْسَابُهُمْ الْقُرىٰ وَأَسْمَاؤُهُمُ الْكُنىٰ، يَفْتَحُونَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ تُرْفَعُ عَنْهُمْ الرَّحْمَةُ ثَلاَثَ سَاعَاتٍ».

ومنها: «يَدْخُلُونَ دِمَشْقَ بِرَايَاتٍ سُودٍ عِظَامٍ فَيَقْتُلُونَ فِيهَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً شِعَارُهُمْ بِكُشْ بِكُشْ» ومعنى بكش بالفارسية: اقتل.

وفي رواية أخرى «أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنىٰ وَقَبَائِلُهُمْ الْقُرىٰ وَعَلَيْهِمْ ثِيَابٌ كَلَوْنِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ تَعُودُ بِهِمْ إِلىٰ آلِ الْعَبَّاسِ».

وفي أخرى «لاَيَفُونَ بِعَهْدٍ وَلاَمِيثَاقٍ يَدْعُونَ إِلىٰ الْحَقِّ وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهِ، أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنىٰ وَنِسْبَتُهُمْ الْقُرىٰ، وَشُعُورُهُمْ مُرْخَاةٌ كَشُعُورِ النِّسَاءِ».

والقسم الثاني: يتعلّق بدخول الرايات السود الصغار مع المهدي عليه السلام، وقدرواها ابن حمّاد في مخطوطته ص ٩٥ الى ٩٩ تحت عنوان خروج المهدي الى بيت المقدس وفي أمكنة أخرى منها:

«يَخْرُجُ (أي المهدي عليه السلام) مِنْ مَكَّةَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً إِنْ قَلُّوا وَخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفاً إِنْ كَثُرُوا، يَسِيرُ الرُّعْبُ بَيْنَ يَدَيْهِ لاَيَلْقَاهُ عَدُوٌّ إِلاّ هَزَمَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، شِعَارُهُمْ أَمِتْ أَمِتْ، لاَيُبَالُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ، فَتَخْرُجُ إِلَيْهِمْ سَبْعُ رَايَاتٍ مِنَ الشَّامِ فَيَهْزِمُهُمْ وَيَمْلِكُ فَتَرْجِعُ إِلىٰ النَّاسِ نِعْمَتُهُمْ وَمَحَبَّتُهُمْ».

ومنها ماروواه في ص ٨٥ (عن ابن شوذب قال كنت عند الحسن (البصري) فذكرنا حمص فقال: هُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْمُسَوَّدَةِ الأُوْلىٰ وَأَشْقَى النَّاسِ بِالْمُسَوَّدَةِ الثَّانِيَةِ، فَقُلْنَا وَمَا الْمُسَوَّدَةُ الثَّانِيَةُ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ فَقَالَ قَالَ أَبُوالطَّهَوِيِّ «تَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي ثَمَانِينَ أَلْفاً مَحْشُوَّةٌ قُلُوبُهُمْ إِيمَاناً حَشْوَ الرُّمَّانَةِ مِنَ الْحَبِّ، بَوَارُ الْمُسَوَّدَةِ الأُوْلىٰ عَلىٰ أَيْدِيهِمْ».

ومنها ماروواه في ص ٨٤ «تَخْرُجُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ لِبَنِي الْعَبَّاسِ ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ

خُراسانَ أُخرىٰ سَوْداءُ قَلانِسُهُمْ سُودٌ وَثِيابُهُمْ بِيضٌ، عَلىٰ مُقَدِّمَتِهِمْ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ شُعَيْبُ بْنُ صالِحٍ أَوْ صالِحُ بْنُ شُعَيْبٍ مِنْ تَمِيمٍ، يَهْزِمُونَ أَصْحابَ السُّفْيانِي حَتّى يَنْزِلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ يُوَطِّىءُ لِلْمَهْدِيِّ سُلْطانَهُ، وَيُمَدُّ إِلَيْهِ ثَلاثُ مِئَةٍ مِنَ الشّامِ، يَكُونُ بَيْنَ خُرُوجِهِ وَبَيْنَ أَنْ يُسَلِّمَ ٱلأَمْرَ لِلْمَهْدِيِّ إِثْنانِ وَسَبْعُونَ شَهْراً».

والقسم الثالث يدلّ على دخولهم الى دمشق قبل ظهور المهدي (ع) منها ماروواه ابن حماد في الفتن والملاحم ص ٧١ (مخطوطة).

«يَدْخُلُ أَوائِلُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَبَيْناهُمْ يَنْظُرُونَ في أَعاجِيبِهِ إِذْ رَجَفَتِ الأَرْضُ فَانْقَعَرَ غَرْبِيُّ مَسْجِدِها، وَيُخْسَفُ بِقَرْيَةٍ يُقالُ لَها حَرَسْتا، ثُمَّ يَخْرُجُ عِنْدَ ذٰلِكَ السُّفْيانِي فَيَقْتُلُهُمْ حَتّى يُدْخِلَهُمْ مِصْرَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُقاتِلُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ حَتّى يَرُدَّهُمْ إِلىٰ الْعِراقِ».

ومارواه في ص ٧٩: «يُبايِعُ السُّفْيانِيَّ أَهْلُ الشّامِ فَيُقاتِلُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ فَيَهْزِمُهُمْ مِنْ فِلَسْطِينَ حَتّى يَنْزِلُوا مَرْجَ الصُّفْرِ، ثُمَّ يَلْتَقُونَ فَتَكُونَ الدّائِرَةُ عَلىٰ أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتّى يَنْزِلُوا الثَنِيَّةَ، ثُمَّ يَقْتَتِلُونَ فَتَكُونُ الدّائِرَةُ عَلىٰ أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتّى يَأْتُوا الْجُصَّ، ثُمَّ يَقْتَتِلُونَ فَتَكونُ الدائِرَةُ عَلىٰ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، حَتّىٰ يَبلُغُوا إِلىٰ الْمَدِينَةِ الْخَرِبَةِ يَعنِي قَرْقِيسيا، ثُمَّ يَقْتَتِلُونَ فَتَكُونُ الدّائِرَةُ عَلىٰ أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتّى يَنْتَهُوا إِلىٰ عاقِرْقُوفا، ثُمَّ يَقْتَتِلُونَ فَتَكُونُ الدّائِرَةُ عَلىٰ أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَيَحُوزُ السُّفْيانِيُّ ٱلأَمْوالَ.

ثُمَّ تَخْرُجُ فِي حَلْقِ السُّفْيانِي قُرْحَةٌ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِلىٰ الْكُوفَةِ غَدْوَةً وَيَخْرُجُ مِنْها بِالْعَشِيِّ بِجُيُوشِهِ، فَإِذا كانَ بِأَفْواهِ الشّامِ تُوُفِّيَ وَثارَ أَهْلُ الشّامِ فَبايَعُوا ابْنَ الْكَلْبِيَّةِ إِسْمُهُ عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ يَزِيدَ بْنُ الْكَلْبِيَّةِ غايِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشَوَّهُ الْوَجْهِ. فَيَبْلُغُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَفاةُ السُّفْيانِي فَيَقُولُونَ ذَهَبَتْ دَوْلَةُ الشّامِ فَيَثُورُونَ وَيَبْلُغُ ابْنَ الْكَلْبِيَّةِ فَيَثُورُ بِجُمُوعِهِ إِلَيْهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ بِالأَلْوِيَةِ فَتَكُونُ الدّائِرَةُ عَلىٰ أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتّى يَدْخُلُوا الْكُوفَةَ فَيَقْتُلُ

لْمُقَاتِلَة وَيَسْبِي الذُّرِّيَّة وَالنِّسَاءَ ثُمَّ يُخْرِبُ الْكُوفَة، وَيَبْعَثُ مِنْهَا جَيْشاً إِلَىٰ ٱلْحِجَازِ».

(٦) في تفسير قوله تعالى «بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد»

روي في البحار ج ٦٠ ـ ص ٢١٦ «عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ (ع) جَالِساً إِذْ قَرَأَ هٰذِهِ ٱلآيَةَ «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً» فَقُلْنَا جُعِلْنَا فِدَاكَ مَنْ هٰؤُلاءِ؟ فَقَالَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: هُمْ وَٱللَّهِ أَهْلُ قُمٍّ، هُمْ وَٱللَّهِ أَهْلُ قُمٍّ، هُمْ وَٱللَّهِ أَهْلُ قُمٍّ».

وروى العياشي في تفسيره عن حمران عن الامام محمد الباقر عليه السلام قال: «كَانَ يَقْرَأُ «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ» ثُمَّ قَالَ: وَهُوَ الْقَائِمُ وَأَصْحَابُهُ أُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ».

وفي تفسير نور الثقلين نقلاً عن الكافي «قَوْمٌ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ فَلا يَدَعُونَ وِتْراً لآلِ مُحَمَّدٍ إِلاَّ قَتَلُوهُ».

(٧) حديث «رجل من أهل قم يدعو الناس الى الحق».

روى في البحار ج ٦٠ ـ ص ٢١٦ و ٤٤٦ عن أبي الحسن الرضا (ع) قال:

«رَجُلٌ مِنْ قُمٍّ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ الْحَقِّ، يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ قُلُوبُهُمْ كَزُبُرِ الْحَدِيدِ لا تُزِلُّهُمُ الرِّيَاحُ وَالْعَوَاصِفُ، وَلا يَمِلُّونَ مِنَ الْحَرْبِ وَلا يَجْبُنُونَ، وَعَلَىٰ ٱللَّهِ يَتَوَكَّلُونَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

(٨) حديث «تكون قم وأهلها حجة على الخلائق»

روي في البحار ج ٦٠ -ص ٢١٣ عن علي بن ميمون الصائغ عن الامام الصادق عليه السلام قال «وَسَيَأتِي زَمَان تكُونُ بَلْدَةُ قُمٍّ وَأَهْلُهَا حُجَّةً عَلىٰ الْخَلائِقِ، وَذٰلِكَ فِي زَمَانِ غَيْبَةِ قَائِمِنَا إِلىٰ ظُهُورِهِ، وَلَوْلا ذٰلِكَ لَسَاخَتِ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا».

وروي بأسانيد أخرى أيضاً عن الامام الصادق عليه السلام أنَّه ذكر الكوفة وقال: «سَتَخْلُو كُوفَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَأْزَرُ عَنْهَا الْعِلْمُ كَمَا تَأْزَرُ الْحَيَّةُ يَظْهَرُ الْعِلْمُ بِبَلْدَةٍ يُقَالُ لَهَا قُمُّ وَتَصِيرُ مَعْدِناً لِلْعِلْمِ وَالْفَضْلِ حَتَّى لَا يَبْقَىٰ فِي الأَرْضِ مُسْتَضْعَفٌ فِي الدِّينِ حَتَّى الْمُخَدَّرَاتُ فِي الْحِجَالِ، وَذٰلِكَ عِنْدَ قُرْبِ ظُهُورِ قَائِمِنَا، فَيَجْعَلُ اللّٰهُ قُمَّ وَأَهْلَهُ قَائِمِينَ مَقَامَ الْحُجَّةِ، وَلَوْلا ذٰلِكَ لَسَاخَتِ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَلَمْ يَبْقَ فِي الأَرْضِ حُجَّةٌ، فَيَفِيضُ الْعِلْمُ مِنْهُ إِلىٰ سَائِرِ الْبِلادِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَتَتِمُّ حُجَّةُ اللّٰهِ عَلىٰ الْخَلْقِ حَتَّى لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ عَلىٰ الأَرْضِ لَمْ يَبْلُغْ إِلَيْهِ الدِّينُ وَالْعِلْمُ. ثُمَّ يَظْهَرُ الْقَائِمُ وَيَصِيرُ سَبَباً لِنِقْمَةِ اللّٰهِ وَسَخَطِهِ عَلىٰ الْعِبَادِ، لأَنَّ اللّٰهَ لَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْعِبَادِ إِلاَّ بَعْدَ إِنْكَارِهِمْ حُجَّةً».

(٩) حديث «يخرج رجل قبل المهدي»

«يَخْرُجُ رَجُلٌ قَبْلَ الْمَهْدِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَلىٰ عَاتِقِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ يَقْتُلُ وَيَقْتُلُ (يُمَثِّلُ) وَيَتَوَجَّهُ إِلىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَلا يَبْلُغُهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ».

أخرجه:

الحنفي في كنز العمال ج ٧ ـ ص ٢٦١.

والسيوطي في العرف الوردي ج ٢ ـ ص ٧٠ وفي الحاوي ج ٢ ـ ص ١٤٢ و١٤٦.

ابن حماد في الفتن والملاحم ص٨٦ و٩٦ (مخطوطة).

والكاظمي في بشارة الاسلام ص ١٨٤ و١٧٧.

«يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ الْحارِثُ حَرّاثٌ عَلىٰ مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ مَنْصُورٌ يُوطِّيءُ أَوْ يُمَكِّنُ لآلِ مُحَمَّدٍ كَما مَكَّنَتْ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ ٱللّهِ (ص) عَلىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ، أَوْ قَالَ إِجابَتُهُ».

أخرجه:

الحنفي في كنز العمال ج ٦ ـ ص ٩٣.

والسيوطي في العرف الوردي ج ٢ ـ ص ٥٢ وفي الحاوي ج ٢ ـ ص ١٢٦.

وأبو داود في سننه كما في التاج الجامع للأصول ج ٥ ـ ص ٣٦٤.

والقندوزي في ينابيع المودة ج ٣ ـ ص ٨٧.

«فَإِذا انْقَضىٰ مُلْكُ بَنِي فلانٍ، أَتاحَ ٱللّهُ لآلِ مُحَمَّدٍ بِرَجُلٍ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يَسِيرُ بِالتُّقىٰ وَيَعْمَلُ بِالْهُدىٰ، وَلا يَأْخُذُ في حُكْمِهِ الرُّشىٰ، وَٱللّهِ إِنِّي لأَعْرِفُهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ.. ثُمَّ يَأْتِينا ذُو الْخالِ وَالشّامَتَيْنِ الْعادِلُ، الْحافِظُ لِما اسْتُودِعَ فَيَمْلَؤُها قِسْطاً وَعَدْلاً».

رواه الكاظمي في بشارة الاسلام ص ١٤١.

(١٠) في تفسير آية «وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم».

قال صاحب تفسير الكشّاف ج ٤ -ص ٣٣١ في تفسير قوله تعالى **«وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»** سورة محمد آية ٣٨ قال:

«وَسُئِلَ رَسُولُ ٱللّٰهِ (ص) عَنِ ٱلْقَوْمِ وَكَانَ سَلْمَانُ إِلَىٰ جَنْبِهِ فَضَرَبَ عَلَىٰ فَخِذِهِ وَقَالَ: هٰذَا وَقَوْمُهُ. وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْكَانَ الإِيمَانُ مَنُوطاً بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِس».

وأخرجه الترمذي، وابن حيّان والطبري، وابن أبي حاتم وغيرهم عن طريق العلاء بن عبد الرحمان عن أبيه عن أبي هريرة، وله طرق عنه وعن غيره» (أخرجه الترمذي ج ٢ ص ٦٠).

وقال صاحب تفسير الميزان ج ١٨ -ص ٢٥٠:

«في الدر المنثور أخرج عبد الرَّزاق وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبري في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة قال **«تَلَا رَسُولُ ٱللّٰهِ (ص) هٰذِهِ الآيَةَ (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم) فَقَالُوا: يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ مَنْ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتُبْدِلُوا بِنَا؟ فَضَرَبَ رَسُولُ ٱللّٰهِ عَلَىٰ مَنْكِبِ سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: هٰذَا وَقَوْمُهُ، وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْكَانَ الإِيمَانُ مَنُوطاً بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِس».**

وروي بطرق أخرى عن أبي هريرة مثله، وكذا عن ابن مردو يه عن جابر مثله.

وحديث «لَوْكَانَ الإِيمَانُ فِي الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ (لَنَالَهُ) رِجَالٌ مِنْ فَارِس و(لَوْكَانَ

الْعِلْمُ فِي الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِس) حديث مشهور بين المسلمين أخرجه البخاري في تفسير سورة ٦٢ ومسلم في فضائل الصحابة ٢٣١ والترمذي في تفسير سورة ٤٧، ٦٢ وأحمد في ج ٢ -ص ٢٩٧ و٢٩٧ و٤٢٠ و٤٢٢ و٤٦٩. وأخرجه عبدالرزاق في المصنف ج ١١ ص ٥٧ عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ج ٢ ص ٢٠٦ وجاء في التعليق عليه: أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٤/١٠ من رواية ابن أبي ليلى والبزاز والطبراني مرفوعاً وقال: رجاله رجال الصحيح.

(١١) في تفسير آية «وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم»

«كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ (ص) فَأُنزِلَتْ سُورَةُ الْجُمُعَةِ فَتَلاهَا حَتَّى بَلَغَ (وَآخَرِينَ مِنهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَارَسُولَ ٱللَّهِ مَن هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ لَم يَلحَقُوا بِنَا؟ فَلَم يُكَلِّمهُ. قَالَ أَبُوهُرَيرَةَ وَكَانَ سَلمَانُ الفَارِسِيُّ فِينَا فَوَضَعَ رَسُولُ ٱللَّهِ (ص) يَدَهُ عَلَىٰ سَلمَانَ وَقَالَ: وَٱلَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَوكَانَ الإِيمَانُ بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِن هٰؤُلَاءِ».

قال في الجامع الصحيح ج ٢ -ص ٣٨٣: رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن.

ورواه أحمد في مسنده ج ٢ -ص ٤١٧ وروى قريباً منه في ج ٢ -ص ٢٩٧ و٤٢٠ و٤٦٩، ورواه غيره من أهل الصحاح كما تقدّم ومنهم مسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٩٧٢.

(١٢) حديث «ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً»

«جاءَ ٱلأَشعَثُ إلَيهِ (الى علي «ع») وَهُوَ عَلىٰ المِنبَرِ فَجَعَلَ يَتَخَطّى رِقابَ النّاسِ حَتّى قَرُبَ مِنهُ ثُمَّ قالَ لَهُ: يا أَمِيرَ المُؤمِنينَ غَلَبَتْنا هٰذِهِ الحُمَراءُ عَلىٰ قُربِكَ - يعني العجم - فَرَكَضَ المِنبَرَ بِرِجلِهِ حَتّى قالَ صَعصَعَةُ بنُ صَوحانَ: ما لَنا وَلِلأَشعَثِ! لَيَقُولَنَّ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ اليَومَ في العَرَبِ قَولاً لا يَزالُ يُذكَرُ، فَقالَ (ع) «مَن عَذِيري مِن هٰؤُلاءِ الضَّياطِرَةِ، يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُم عَلىٰ فِراشِهِ تَمَرُّغَ الحِمارِ وَيَهجُرُ قَوماً لِلذِّكرِ! أَفَتَأمُرُني أَنْ أَطرِدَهُم؟! ما كُنتُ لأَطرِدَهُم فَأَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ. أَما وَٱلَّذي فَلَقَ ٱلحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسمَةَ لَيَضرِبُنَّكُم عَلىٰ الدِّينِ عَوداً كَما ضَرَبتُمُوهُم عَلَيهِ بَدءاً»».

أخرجه بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٨٤.

وأخرج أحمد في مسنده ج ٥ - ص ١١ عن النبي (ص) أنّه قال:

«يُوشِكُ أَنْ يَملأَ ٱللّٰهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ أَيدِيَكُم مِنَ العَجَمِ ثُمَّ يَكُونُونَ أُسْداً لا يَفِرُّونَ فَيَقتُلُونَ مُقاتِلَتَكُم وَلا يَأكُلُونَ فَيأَكُم».

وروى قريباً منه ابن طاووس في الملاحم والفتن ص ١١٠ و١٥١.

والحُمَراء: بضم الحاء وفتح الميم جمع أحمر تقال لمن لونهم أبيض.

ومعنى غلبتنا على قربك: أنهم أحاطوا بمنبرك فصاروا أقرب اليك منّا.

والضَّياطِرَة: جمع ضيطر وهو الرجل الضخم الفارغ.

وعن أبي هريرة قال: «ذُكِرَتِ الأَعاجِمُ عِندَ رَسُولِ ٱللّٰهِ (ص) فَقالَ النَّبِيُّ (ص): لأَنا بِهِمْ (أو بِبَعْضِهِم) أَوثَقُ مِنّي بِكُم (أو بِبَعضِكُم)» أخرجه

الترمذي ج ٥ ص ٣٨٢.

(١٣) حديث كنوز الطالقان

«وَيْحاً لِلطَّالِقانِ فَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِها كُنُوزاً لَيسَتْ مِن ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، وَلَكِنْ بِها رِجالٌ مُؤْمِنُونَ عَرَفُوا ٱللَّهَ حَقَّ مَعرِفَتِهِ، وَهُم أَنْصارُ المَهْدِيِّ آخِرَ الزَّمانِ».

أخرجه:

الحنفي في كنز العمال ج ٧ ـ ص ٢٦٣.

والسيوطي في العرف الوردي ج ٢ ـ ص ٨٢.

والقندوزي في ينابيع المودة ص ٤٤٩ وفيه «بَخٍ بَخٍ لِلطَّالِقانِ».

وابن الاعتم الكوفي في كتابه الفتوح.

وابن حماد في الفتن والملاحم ص (مخطوطة).

والكنجي في البيان ص ١٠٦.

وروى المجلسي في البحار ج ٥٢ ـ ص ٣٠٨ «لَهُ كَنزٌ بِالطَّالِقانِ ماهُو بِذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ، وَرايَةٌ لَم تُنشَرْ مُنذُ طُوِيَتْ، وَرِجالٌ كَأَنَّ قُلُوبَهُم زُبَرُ الحَدِيدِ لايَشُوبُها شَكٌّ فِي ذاتِ ٱللَّهِ، أَشَدُّ مِنَ الجَمرِ، لَوحَمَلُوا عَلىٰ الجِبالِ لأَزالُوها، لايَقْصِدُونَ بِراياتِهِم بَلدَةً إلاّ خَرَّبُوها، كَأَنَّ عَلىٰ خُيُولِهِم العُقْبانُ، يَتَمَسَّحُونَ بِسَرجِ الإِمامِ يَطلُبُونَ بِذٰلِكَ البَرَكَةَ وَيَحِفُّونَ بِهِ يَقُونَهُ بِأَنفُسِهِم فِي الحُرُوبِ، وَيَكفُونَهُ مايُرِيدُ مِنهُمْ».

(١٤) حديث الهاشمي الخراساني وشعيب

«يَخرُجُ شابٌّ مِن بَنِي هاشِمٍ. بِكَفِّهِ اليُمنىٰ خالٌ، مِن خُراسانَ بِراياتٍ سُودٍ، بَينَ يَدَيْهِ شُعَيبُ بنُ صالِحٍ، يُقاتِلُ أَصْحابَ السُّفيانِي فَيَهزِمُهُمْ».

أخرجه:
نعيم بن حماد في الملاحم والفتن ص ٨٤ و٨٥ (مخطوطة).
وقريباً منه الشافعي في عقد الدرر ج ١٧٦ و١٢٨.
والسيوطي في العرف الوردي ج ٢ -ص ٦٦ و٦٧ و٦٨.
وابن طاووس في الملاحم والفتن ص ٣١.
وابن حجر في الفتاوى ص ٢٧.
وفي القول المختصر وفيه (في كفّه اليسرى خال).
وابن الصبان في اسعاف الراغبين (المطبوع على هامش نور الأبصار) ص ١٢٧.
والكنجى في البيان ص ٣٣٠ وقال رواه الطبري وأبونعيم.
وفي مجمع الفوائد ومنبع الزوائد ج ٧ -ص ٣١٨.
وابن خلدون في المقدمة ص ٢٦٩.
والحنفي في كنز العمال ج ٧ -ص ٢٦٠. وفيه (فِي كَفِّهِ اليُسْرىٰ خَالٌ وَعَلىٰ مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ مِن بَنِي هٰاشِمٍ يُدعىٰ شَعَيبُ بنُ صٰالِحٍ).
وقريباً منه في بشارة الاسلام ص ١٨٥ وفيه (اثنان وسبعون شهراً).

(١٥) حديث باب اصطخر

«إذٰا خَرَجَتْ خيلُ السُّفيٰاني إلىٰ الكُوفَةِ في طَلَبِ أَهْلِ خُراسٰانَ، وَيَخْرُجُ أَهْلُ خُراسٰانَ فِي طَلَبِ المَهْدِيِّ، فَيَلْتَقِي هُوَ وَالهٰاشِمِي بِراٰيٰاتٍ سُودٍ، عَلىٰ مُقَدِّمَتِهِ شُعَيبُ بْنُ صٰالِحٍ، فَيَلْتَقِي هُوَ والسُّفيٰانِي بِبَابِ إِصْطَخْرٍ فَيَكُونُ بَيْنَهُم مَلحَمَةٌ عَظِيمَةٌ فَتَظْهَرُ الرّاٰيٰاتُ السُّودُ وَتَهرُبُ خَيْلُ السُّفيٰانِي، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَتَمَنّىٰ النّاسُ المَهْدِي وَيَطْلِبُونَهُ».

أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن والملاحم ص٨٦ ـ مخطوطة.

والحنفي في كنز العمال ج٧ ص ٢٦٠. والسيوطي في العرف الوردي ج٢ ص ٦٩ وفيه (يَلْتَقِي هُوَ وَالمَهْدِي وَالهَاشِمِي بِبَيْضَاءِ إِصْطَخْرٍ) وكذا في الحاوي ج٢ ص ١٤١ - ١٥٢.

(١٦) حديث «تبعث الرايات السود بالبيعة الى المهدي»

«يَدخُلُ السُّفْيَانِي الكُوفَةَ فَيَسْبِيهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَيَقْتُلُ مِن أَهلِهَا سِتِّينَ أَلفاً ثُمَّ يَمكُثُ فِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ لَيلَةٍ يُقَسِّمُ أَموَالَهَا، وَدُخُولُهُ الكُوفَةَ بَعْدَمَا يُقَاتِلُ التُّرْكَ وَالرُّومَ بِقَرْقِيسِيَا.... ثُمَّ يُبْعَثُ عَلَيهِمْ خَلْفَهُمْ فِتَنٌ فَتَرْجِعُ طَائِفَةٌ مِنْهُم إِلَى خُرَاسَان، فَيُقْبِلُ السُّفْيَانِي وَيَهْدِمُ الحُصُونَ حَتَّى يَدخُلَ الكُوفَةَ وَيَطلِبُ أَهل خراسان، وَيَظْهَرُ بِخُرَاسَانَ قَومٌ يَدعُونَ إِلَى المَهْدِيِّ، ثُمَّ يَبْعَثُ السُّفْيَانِي إِلَى المَدِينَةِ فَيَأْخُذُ قوماً مِن آلِ مُحَمَّدٍ حَتَّى يُوَدَّ بِهِمْ إِلَى الكُوفَةِ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ وَمَنصُورٌ هَارِبَيْنِ، وَيَبْعَثُ السُّفْيَانِيُّ فِي طَلَبِهِمَا فَإِذَا بَلَغَ الْمَهْدِيُّ وَمَنْصُورٌ مَكَّةَ نَزَلَ جَيْشُ السُّفْيَانِيِّ إِلَيْهِمَا فَيُخْسَفُ بِهِمْ، ثُمَّ يَخرُجُ الْمَهْدِيُّ حَتَّى يَمُرَّ بِالْمَدِينَةِ فَيَسْتَنْقِذُ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَتُقْبِلُ الرَّايَاتُ السُّودُ حَتَّى تَنزِلَ عَلَى الْمَاءِ فَيَبْلُغُ مَنْ بِالْكُوفَةِ مِن أَصْحَابِ السُّفْيَانِيِّ نُزُولُهُمْ فَيَهْرُبُونَ، ثُمَّ تَنزِلُ الْكُوفَةَ حَتَّى تَسْتَنقِذَ مَنْ فِيهَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ سَوَادِ الْكُوفَةِ يُقَالُ لَهُمْ الْعُصَبُ، لَيسَ مَعَهُمْ سِلاَحٌ إِلاَّ قَلِيلٌ وَفِيهِمْ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَدْ تَرَكُوا السُّفْيَانِيَّ فَيَسْتَنْقِذُونَ مَنْ أَيدِيهِم سَبْيَ الْكُوفَةِ، وَتَبْعَثُ الرَّايَاتُ السُّودُ بِالْبَيْعَةِ إِلَى الْمَهْدِيِّ».

أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٥ و٨٨ (مخطوطة).

والحنفي في كنز العمال ج٧ ـ ص ٢٦٠.

وروى قريباً منه السيوطي في العرف الوردي ج١ ـ ص٦٨ وبمعناه

ص ٧١ و٧٢.

وفي عقد الدرر رقم ١٢٨ وبمعناه ح ١٢٥.

والشافعي في اسعاف الراغبين طبعة هامش نور الأبصار ص ١٢٢.

والطوسي في الغيبة ص ٢٧٤.

وروى المجلسي في البحار ج ٥٢ - ص ٢٧٤ «وَتُقْبِلُ رَايَاتٌ مِنْ شَرْقِيِّ الأَرْضِ غَيْرَ مُعَلَّمَةٍ لَيْسَتْ بِقُطْنٍ وَلَا كِتَّانٍ وَلَا حَرِيرٍ، مَخْتُومَةٍ فِي رَأْسِ الْقَنَاةِ بِخَاتِمِ السَّيِّدِ الأَكْبَرِ، يَسُوقُهَا رَجُلٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، تَظْهَرُ بِالْمَشْرِقِ وَتُوجَدُ رِيحُهَا بِالْمَغْرِبِ كَالْمِسْكِ الإِذْفِرِ، يَسِيرُ الرُّعْبُ أَمَامَهَا بِشَهْرٍ حَتَّى يَنْزِلُوا الْكُوفَةَ طَالِبِينَ بِدِمَاءِ آبَائِهِمْ».

وروي في ص ٢٣٧ «فَأَوَّلُ أَرْضِ الْمَغْرِبِ (تَخْرَبُ) أَرْضُ الشَّامِ يَخْتَلِفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى ثَلَاثِ رَايَاتٍ: رَايَةِ الأَصْهَبِ، وَرَايَةِ الأَبْقَعِ، وَرَايَةِ السُّفْيَانِي. فَيَلْتَقِي السُّفْيَانِي بِالأَبْقَعِ فَيَقْتَتِلُونَ فَيَقْتُلُهُ وَمَنْ مَعَهُ، وَيَقْتُلُ الأَصْهَبَ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا الإِقْبَالُ نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَيَمُرُّ جَيْشُهُ بِقَرْقِيسِيَا فَيَقْتَتِلُونَ فِيهَا فَيُقْتَلُ مِنَ الْجَبَّارِينَ مِئَةُ أَلْفٍ. وَيَبْعَثُ السُّفْيَانِي جَيْشاً إِلَى الْكُوفَةِ وَعِدَّتُهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً فَيُصِيبُونَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَتْلاً وَصَلْباً وَسَبْياً.. فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ رَايَاتٌ مِن قِبَلِ خُرَاسَانَ تَطْوِي الْمَنَازِلَ طَيّاً حَثِيثاً وَمَعَهُمْ نَفَرٌ مِن أَصْحَابِ الْقَائِمِ. ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِن مَوَالِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي ضَعَفَاءَ فَيَقْتُلُهُ أَمِيرُ جَيْشِ السُّفْيَانِي بَيْنَ الْحِيرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَيَبْعَثُ السُّفْيَانِيُّ بَعْثاً إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَفِرُّ الْمَهْدِيُّ مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ فَيَبْلُغُ أَمِيرَ جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَيَبْعَثُ جَيْشاً عَلَى أَثَرِهِ فَلَا يُدْرِكُهُ حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ عَلَى سُنَّةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

*

(١٧) الايرانيون ومعركة قرقيسيا

«إنَّ لِلَّهِ مَأْدُبَةً بِقَرْقِيسْيا يَطّلعُ مُنادٍ مِنَ السَّماءِ فَيُنادِي ياطَيْرَ السَّماءِ وَياسِباعَ ٱلأَرْضِ هَلُمِّي إلىٰ الشَّبَعِ مِن لُحُومِ الْجَبَّارِينَ».

أخرجه: الشافعي في عقد الدررح ٣٥ ص٥٧و١٢٦و٣٣٥.

«يَظْهَرُ السُّفْيانِيُّ عَلىٰ الشّامِ ثُمَّ تَكُونُ بَيْنَهُمْ وَقْعَةٌ بِقَرْقِيسيا حَتَّى تَشْبَعَ طَيْرُ السَّماءِ وَسِباعُ الأَرْضِ مِن جيَفِهِم، ثُمَّ يَنفَتِقُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ فَتُقْبِلُ طائِفَةٌ مِنْهُم حَتَّى يَدْخُلُوا أَرْضَ خُراسانَ وَتُقْبِلُ خَيْلُ السُّفْيانِيِّ في طَلَبِ أَهْلِ خُراسانَ فَيَقْتُلُونَ شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ بِالكُوفَةِ ثُمَّ يَخْرُجُ أَهْلُ خُراسانَ في طَلَبِ الْمَهْدِيِّ».

أخرجه: الحنفي في كنز العمال ج٧ -ص ٧٠ وقريباً منه ج ٦ -ص ٦٧ والشافعي في عقد الدررح١٣٤.

وروى الحنفي في كنز العمال ج٦ -ص٦٨ «إذا ظَهَرَ السُّفْيانِيُّ عَلىٰ الأَبْقَعِ وَالْمَنْصُورُ اليَمانِي خَرَجَ الرُّومُ وَالتُّركُ فَيَظْهَرُ عَلَيْهِمُ السُّفْيانِي».

وروي حديث وقعة قرقيسيا على الكنز ابن ماجه في سننه برقم (٤٠٨٤).

ورواه السيوطي في الحاوي ج ٢ -١٢٧ وقال أخرجه ابن ماجه، والحاكم وصححه، وابونعيم عن ثوبان.

وصححه الصديق الحضرمي في رده على ابن خلدون وقال: قال الحافظ البوصيري في زوائده: حديث صحيح.

ورواه القرطبي في التذكرة وقال: رواه ابن كثير في النهاية وقال: «هذا اسناد قوي صحيح، والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي و يكون خروجه من بلاد المشرق».

وأخرج أحاديث الكنز ووقعة قرقيسيا ابن حماد في الفتن ص٧٦ و٨٢ و٩٢.

وفي بشارة الاسلام ص١٠٣ و١٧٧ و١٨٨ و١٩١ و٢٨٦. والمجلسي في البحار ج٥٢ ص٢٠٨ و٢٢٠ و٢٤٥ والطوسي في الغيبة ص٢٧٩ والنعماني في الغيبة ص١٤٨. والحاكم في المستدرك ج ٤ ص٤٦٣ و٤٦٤.

حول الحديث رقم (١)

«أتينا رسول الله (ص) فخرج الينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلاَّ أخبرنا به، ولاسكتنا إلاَّ ابتدأنا.. حتى مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين فلما رآهم التزمهم وانهملت عيناه.. فقلنا: يارسول الله مانزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ فقال:

إنَّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وانَّه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد... حتى ترتفع رايات سود في المشرق فيسألون الحق فلايعطونه، ثم يسألونه فلايعطونه، فيقاتلون فينصرون. فمن أدركه منكم ومن أعقابكم فليأت امام أهل بيتي ولوحبواً على الثلج، فانَّها رايات هدى يدفعونها الى رجل من أهل بيتي يواطي

اسمه اسمي فيملك الأرض فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

(١)

يتضمن الحديث الشريف قراءة نبوية لمستقبل الاسلام من زاويتين هما: ظلامة أهل بيت النبي (ص)، وتوقف شمول الاسلام للعالم على ارتفاع هذه الظلامة.

وتبدو العلاقة بين الأمرين لأول نظرة علاقة اتفاقية، فقد اتَّفق أن أهل البيت عليهم السلام ظُلِمُوا وامتزجت سطور تاريخهم بمعاناة الإضطهاد ودم الشهادة حتى أصبحت كربلاء عند المسلمين مضرب المثل. كما أنَّه اتّفق أن المدّ الاسلامي في فتوحات صدر الاسلام وفي جهود دعاة الاسلام شمل مناطق واسعة ولم يشمل كل شعوب العالم.. ومضى التاريخ على هذا حتى نشأت قوى جديدة، وتسلّطت على المسلمين.

ولكن الحديث النبوي يكشف عن ارتباط سببي بين الأمرين، بين رشد الأمة في ولائها لقيادتها، وبين حماية مسيرتها من التعثر وتمكنها من تحقيق هدف الاسلام الكامل في العالم. ويكشف عن أن الأمة عندما تبلغ الرشد بالتفافها العقيدي والعاطفي حول قيادة أهل بيت النبي (ع) ممثلةً بالمهدي عليه السلام تكون قد بلغت الرشد لبسط الاسلام على العالم.

إن الحركتين في واقع الأمة حركة واحدة، فالأجر الوحيد المطلوب منها في قوله تعالى: «قُلْ لاَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ في الْقُرْبىٰ» هو نفس

الأجر المعطى لها في بسط رسالتها على العالم، واظهارها على الدين كله.

(٢)

في دموع النبي (ص) نقرأ كربلاء، ونحسّ بكل معاناة عاشها أحد من أهل بيته (ص). وهذا البعد العاطفي مقصود قصداً منه (ص).

لقد كان مستبشراً يظهر السرور على وجهه منشرحاً في حديثه مع أصحابه، فذكَّره منظر الفتية من أهل بيته بمستقبل أخبره به جبرئيل عليه السلام، وكثيراً ماأثار منظر أو شيء ما في نفسه الكبيرة صوراً فكتم أمرها وصرفها، ولكنَّه هنا استبقاها وعاشها و بلغها المسلمين لكي يعيشوا معها !

«فلما رآهم التزمهم وانهملت عيناه. فلما رآهم تغير وجهه. احتضنهم اليه. انهمرت عيناه بالدموع».

في هذه الكلمات من رواة الحديث ترى النبي (ص) يحتضن مأساة أهل بيته و يضمهم اليه، انَّها مأساة القيادة الاسلامية المتمثلة فيهم. و يدهش المسلمون لمشهد النبي وهو يحتضن الحسنين و يبكي، فينظرون و يصمتون، ثم يسألون عن هذا التغير وهذه الحالة التي كثيراً ما رأوها في وجهه مفاجئة كمفاجأة شهادة الحسن بالسم، حزينة كحزن كربلاء، فيفيض النبي (ص) بقراءة المستقبل من لوح غيب الله تعالى، و يبدأ بالقدر الذي قضاه الله على أهل بيته أن يدفعوا ضريبة حركة الأمة في رشدها وتكاملها.. الى أن تصل الى قيادة المهدي عليه السلام، والى هدف الاسلام العالمي.

«إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا .. وانَّه سيلقي أهل بيتي من بعدي ...».

تسمي بعض المصادر هذا الحديث (حديث رايات المشرق، أو رايات خراسان) و يسميه بعضها (حديث مايلقى أهل بيته من بعده) وهي تسمية من روح الحديث.

(٣)

«رايات هدى. يسألون الحق فلايعطون»

انَّ وصف الراية بالهدى له مدلول أوسع من وصف الشخص بالهدى، فالهدى في الشخص يتناسب مع حدود الشخص، والهدى في الراية يتناسب مع أبعاد الراية. فهو هدى في الجماهير الملتفة حول الراية، وهدى في القيادة التي ترفع الراية، في خطها الفكري والسياسي، وفي هدفها .. فذلك مقتضى وصف راية بالهدى من قبل النبي الهادي (ص).

والحق الذي تطلبه جماعة تنهض تحت راية هدى ليس شيئاً غير حق الاسلام في ان يحكم و يوجه حياة جماعة من الناس، أو حياة كل الناس.

والذين يُطلب منهم هذا الحق هم غاصبوه من الطواغيت العالمين ووكلائهم الذين يحكمون الأمة بحكم الجاهلية، و يقفون في وجه راية الهدى.

ومطلب راية المشرق كله حق، قبل أن يقاتلوا فينصرهم الله أو بعد أن ينصرهم. والفرق بين مطلب المرحلتين هو:

أن مطلب المرحلة الأولى جزئي يتركز على بلدهم وشعبهم. ومطلب المرحلة الثانية كلي يشمل بلاد المسلمين وشعوب العالم.

مطلب المرحلة الأولى يمكن لأعداء الاسلام أن يعطوه لأنّه يجردهم فقط من التسلط على جزء من الأرض والشعوب. ومطلب المرحلة الثانية لايمكنهم أن يعطوه لأنّه يجردهم من كل سلطانهم.

مطلب المرحلة الأولى حق بمنطق الاسلام و بالمنطق الظاهري للطاغوت في حرية الشعوب. ومطلب المرحلة الثانية حق بمنطق الاسلام فقط، وكفر بمنطق الطاغوت.

و يتّضح الفرق بين المرحلتين من شرح الامام الباقر عليه السلام لحديث جده (ص) «فاذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ماسألوا فلايقبلونه، حتى يقوموا.. ولايدفعونها إلاّ الى صاحبكم».

فقد قاموا في المرحلة الأولى وطلبوا الحق، ولكنه قيام جزئي بالنسبة الى القيام العالمي في المرحلة الثانية، ومطلب جزئي أمام المطلب الشامل في المرحلة الثانية.

(٤)

«فليأتهم ولوحبواً على الثلج. فأتوها ولوحبواً على الثلج . فليأت امام أهل بيتي ولوحبواً على الثلج».

تضمن هذا الحديث وغيره عن رايات المشرق أمرين نبويين للمسلمين:

ـ الهجرة الى أهل رايات المشرق.

- نصرة أهل رايات المشرق.

فما هي حدود هذه الهجرة والنصرة الواجبين؟

هذا سؤال ينبغي أن يوجهه المسلم الى من حوله من مبلغي الاسلام، خاصة لأولئك الحريصين على تطبيق سنة رسول الله (ص) على تفاصيل وضوء المسلم وصلاته وصومه وشؤونه الشخصية.. فكيف بأمر يتعلق بمصيره؟

انّ هذين الواجبين من الواجبات الكفائية على المسلمين بمعنى أن الهجرة والنصرة يتبعان الحاجة العملية لأهل رايات المشرق. وقيادة هذه الرايات هي التي تحدد حاجتها في بلدها وغيره، وفي هذا المجال أو ذاك.

«ولو حبواً على الثلج».

تعبير نبوي عن ضرورة اصرار المسلمين على نصرة راية المشرق والانضمام اليها مهما كانت العقبات. و يصوّر لنا حديث «كنز العمال» العقبات التي يأمرنا النبي (ص) بالتغلب عليها «.. فكنت في صندوق مقفل عليك فاكسر ذلك القفل وذلك الصندوق» انّها صناديق الطاغوت وأقفالهم على شعوب المسلمين، صناديق الاقليمية والقومية والتعصّب المذهبي، وأقفال أنظمتهم وقيودها على المسلم أن يقول الحق و يدعو إليه، و يأخذ جواز سفر فيغادر من جزء و يدخل جزءاً من بلاده!

«حبواً على الثلج» تعبير من جوامع الكلم التي خصّ الله بها نبيّه (ص) ليس من بيئة الجزيرة، ولا هو شائع في كلام العرب، بل لم أجده في أحاديث رسول الله (ص) في غير موضوع رايات المشرق!

إنَّ من عادة النبي (ص) أن يبتكر، وأن يخصّ فكرة بعبارة فتكون

وعاءها وشعارها.. ولكن الذي يألف عمق كلامه (ص) يشعر بربط بين رايات المشرق و بين الثلج:

انَّ بلادهم ثلجية.. وقدتشهد مسيرتهم أحداثاً كبيرة في فصل الثلج.

(٥)

«أماأني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»

تشعر من هذه العبارة بالشوق و بنظرة الإكبار التي ينظر بها الامام الباقر الى حفيده المهدي عليهما السلام حتى كأنه يعتبر نفسه ملكاً له ومأموماً به، و يرجو لوأنَّه أدرك رايات المشرق أن يلتقي بالمهدي و يعمل تحت رايته، لأن ظهوره يكون قدأوشك واقترب.

إنَّه نوع خاص من الشوق والحنين نجده لدى الأنبياء(ص) والأئمة(ع) وكبار المؤمنين الى إخوانهم الآتين من أجيال الأمم.. نجده عند الأنبياء السابقين تجاه نبينا محمد(ص) ونجده عند النبي(ص) تجاه الأئمة وكبار المؤمنين من أمته يعبر عنه بقوله «آهٍ، شَوْقاً إلىٰ إخْوانِي» ونجده عند علي(ع) في قوله: «أُولٰئِكَ خُلَفاءُ ٱللّهِ في أرْضِهِ وَالدُّعاةُ إلىٰ دِينِهِ، آهِ آهِ، شَوْقاً إلىٰ رُؤْيَتِهِمْ»[١] كما نجده عند الأئمة من أبناء علي عليهم السلام.

وهو شوق يتوقد تجاه المهدي عليه السلام بشكل خاص لمايمثله هذا

١. نهج البلاغة ص٤٩٧ شرح الدكتورصبحي الصالح.

الامام من انهاء ظلامة الاسلام، وتحقيق هدف النبي (ص) والأئمة في العالم. وقدعبّر عنه الامام الصادق عليه السلام بقوله: «لَوأَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي»[1].

أمّا محاولة تفسير قول الامام الباقر عليه السلام: «لَوأَدْرَكتُ ذَلِكَ لأَبقَيتُ نَفسِي لِصَاحِبِ هٰذَا ٱلأَمْرِ» بأنّه توجيه للمسلمين أن يحافظوا على أنفسهم ولايعرضوها للشهادة قبل ظهور المهدي (ع)، فهو يخالف أحكام الاسلام في وجوب مقاومة أعدائه واقامة أحكامه، ويخالف أمر النبي (ص) للمسلمين بنصرة رايات المشرق والهجرة اليهم، ويخالف نفس حديث الباقر(ع) ومدحه لرايات المشرق وأن قتلاهم شهداء.

إنّ حدود العبارة هي شخص الامام الباقر عليه السلام ومصبّها تمنّي لقاء المهدي عليه السلام والعمل معه، وليست في مقام التوجيه لعامة المسلمين وخاصتهم بأن يبقوا على أنفسهم ولايعرضوها للشهادة مع رايات المشرق.. اللهم إلاّ لمن يعلم أنّه سيلاقي المهدي (ع) وأنه سيشاركه في قيادة الأمة وبمستوى مشاركة الامام الباقر(ع)!

(٦)

هل أن أهل رايات المشرق هم الايرانيون؟

يسأل هذا السؤال نوع من المسلمين سمعوا بوجود أحاديث النبي (ص) عن المهدي وعن رايات المشرق التي تظهر قبله، فاذا قرأت

١. البحار ج٥٢ ص١٤٨.

عليهم قسماً من هذه الأحاديث ترى أعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحق، يقولون صدق الله وصدق رسوله، انَّها رايات قوم سلمان التي رفعها الخميني وأصحابه، وقدطلبوا من العالم أن يتركهم وشأنهم في ايران فلم يعطهم، وهاهم يقاتلون...

هؤلاء النوع هم غالبية جماهير المسلمين، أهل الفطرة السليمة، والايمان الصافي.. سواء ملكوا الشجاعة فعلاً لأن يكسروا الأقفال ويحبوا على الثلوج، أو لم يملكوها. انَّهم جماهير النبي (ص) الذين تدمع عيونهم عندما يسمعون أنَّه تغيروجهه وانهملت عيناه بالدموع، وجماهير المهدي (ع) الذين سيواجه بهم قوى الطاغوت، و ينشر بهم الاسلام في العالم.

و يسأل هذا السؤال فقهاء المسلمين أمناء الرسل الذي لم يدخلوا في الدنيا ولم يتّبعوا السلطان، ومثلهم المثقفون المسلمون الذي لم يتلوّثوا بفكر الغربيين ولم يقعوا في حبائلهم، وما أن يقرؤوا أحاديث النبي (ص) حتى يخشعوا لله تعالى و يقولوا: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً. ان الله تعالى قدأعدّ هذا الرجل من قم، وأعدّ قوم سلمان لدور كبير. لقدبدأ الايرانيون بحركتهم في صناعة مستقبل العالم.

أمّا أتباع الغربيين وأنظمتهم، ومرضى القلوب بالدنيا والتعصب، فلايسألون عن هذه الأحاديث لأنَّهم لايحبونها، ولايحبون البحث فيها، بل لايحبون أن تكون موجودة في مصادر المسلمين، ولاأن تكون صادرة عن النبي (ص)! وأحب شيء الى أنفسهم أن لايطلع عليها المسلمون وأن ينسوا أمرها، أو أن تحذف من مصادر السنة الشريفة!

لاأحسبني مغالياً في وصف موقف هذه الشريحة المريضة المتسلطة على أمة المسلمين، فباستطاعتك أن تثير أمر هذه الأحاديث مع أحد منهم، أو تحدث بها في مجلس عام، أو تنشرها بين المسلمين في كراس، لتراهم يجعلون أصابعهم في آذانهم، أو يلوون اليك رؤوسهم، أو ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت.. أو يسلطون عليك جلاوزة النظام، ثمّ يحاكمك قاضي المسلمين بتهمة نشر أحاديث نبي المسلمين!!

وهناك نوع من مرضىٰ التلبيس على النفس يقولون: نعم لاشك في صحة أحاديث رايات المشرق الممهدة للمهدي عليه السلام. كما انَّها صريحة في الانطباق على الايرانيين. ولكن لادليل على أنَّها رايات الخميني وأصحابه، فقدتأتي هذه الرايات بعد خمسين أو مئة سنة، فالأحاديث تذكر أن الذي يسلم الراية للمهدي هو الهاشمي والخراساني وقائد جيشه شعيب بن صالح، وأن هذين القائدين يظهران قبل المهدي بست سنوات، فهؤلاء هم أهل رايات الهدىٰ الذين يجب علينا نصرتهم والهجرة اليهم ولوحبواً على الثلج!

وقد سمينا هذه الحالة بمرض التلبيس على النفس لأن أصحابها قداطلعوا على الأحاديث الشريفة، ولكنهم تركوا اليقين فيها وأخذوا بالشك، وتجاوزوا البديهة وتمسكوا بالشبهة.

انَّ الموضوع في أحاديث المشرق هم (قوم) يخرجون من المشرق. يمهدون للمهدي. يطلبون الحق فلايعطونه.. والهاشمي الخراساني على فضله هو أحد قادة هؤلاء (القوم) وقدذكرت الأحاديث أنهم يولونه أمرهم عندما يرون أن الحرب قدطالت عليهم، يعني أنَّهم يكونون

قدخرجوا ورفعوا راياتهم وخاضوا حرباً طويلة مع أعدائهم، ثمَّ يولون الهاشمي فيختار هو شعيباً قائداً لجيشهم. وذكرت الأحاديث أيضاً أن رايات الهاشمي وشعيب مختومة بخاتم السيد الأكبر، وذكرت نفس صفات شعيب والهاشمي لأصحاب رجل يخرج من قم..

فهل يكون تناسي موضوع هذه الأحاديث واعتباره شخص الهاشمي وشعيب إلاَّ تجاوزاً من البديهة الى الشبهة؟

أمَّا مسألة المدة الزمنية لهؤلاء القوم وهذه الرايات فلادخل لها في أوصافها، ولافي واجب المسلمين نحوها.. لقددلّت الأحاديث على اتّصال رايات هؤلاء القوم بالمهدي (ع) ولايؤثّر على موقف المسلم منها أن يظهر الهاشمي الخراساني وشعيب في هذه السنة، أو بعد خمسين سنة.

حول الحديث رقم (٢)

تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ثم يمكثون ماشاءالله، ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان وأصحابه، و يؤدون الطاعة للمهدي.

(١)

قامت ثورة العباسيين ضد الأمويين على عاملين أساسيين: مظلومية أهل بيت النبي (ص) وأحقيتهم بالخلافة، وظلم بني أمية وعدم أهليتهم لحكم المسلمين. وعلى هذا الأساس تجاوبت مع حركة بني العباس

أوساط واسعة من المسلمين وأطاحت بحكم بني أمية في معارك كاسحة.

وقد واجهت العباسيين أزمة في تمثيل بني هاشم وأهل البيت ولكنهم عالجوها في مطلع عملهم السياسي بأن تحالفوا مع الحسنيين و بايعوا ابراهيم بن عبدالله بن الحسن المثنّى وسموه الإمام والمهدي، في حين رفض الامام جعفر الصادق (ع) التحالف معهم أو التعاون.

على أي حال فبعد وفاة ابراهيم طرح العباسيّون أنفسهم على أنَّهم يمثلون بني هاشم وعلى أنَّهم أهل بيت النبي (ص) لأنَّهم أبناء عمّه العباس، وفي هذا المجال استخدموا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بأهل البيت استخداماً فعّالاً، وكان من أبرزما استخدموه الأحاديث المتعلقة بالمهدي (ع) ورايات المشرق التي تمهّد له.

قال أبو العباس السفّاح أول خلفائهم في أول خطبة له بالكوفة:

«الحمد لله الذي اصطفى الاسلام... وخصنا برحم رسول الله وقرابته... فقال عزَّ من قائل: «انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً» وقال: «قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى»... وزعمت السبأيّة أن غيرنا أحقّ بالرياسة والسياسة والخلافة منّا، فشاهتْ وجوههم. بِمَ، ولِمَ».

وعندما أُرتج عليه وقطع خطبته خطب عنه عمّه داود بن علي فقال: «الآن... رجع الحقّ الى نصابه في أهل بيت نبيّكم.

... يا أهل الكوفة انّا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقّنا... فأظهر الخليفة من هاشم.

... فاعلموا انَّ هذا الأمر فينا، ليس بخارج منّا حتى نسلّمه الى عيسى بن مريم صلى الله عليه»[١] يقصد أن منهم المهدي الذي ينزل في زمنه عيسى صلوات الله عليه.

وقد غالى العباسيّون في استغلال أحاديث المهدي ورايات المشرق فلم يكتفوا باللون الأسود لرايات أبي مسلم الخراساني وأصحابه بل جعلوه اللون الرسمي للدولة وفرضوه على جيشهم وعلى المسلمين.

وكانوا في أول حركتهم قد سموا ابراهيم بن عبدالله بن الحسن بالمهدي كما تقدّم، ثمَّ عاد المنصور فسمَّى ابنه محمداً المهدي في محاولة لتطبيق أحاديث المهدي عليه. ومن الطريف أن المهديّ هذا كان من أبعد الناس عن صفات المهدي الموعود عليه السلام في سلوكه الشخصي والعام فضلاً عن أنَّه لم يملك الأرض ولم يملأ حتى بيته قسطاً وعدلاً.

وقد رافق هذا الاستغلال وضع أحاديث على رسول الله (ص) في أنَّ المهدي من ولد العباس، وأنَّ رايات المشرق الممهّدة له هي رايات أبي مسلم الخراساني.

وطبيعي أنَّه كما سقط ادعاء العباسيين أن المهدي منهم بشهادة الواقع فكذلك سقطت محاولة تطبيقهم لأحاديث رايات المشرق على راياتهم، ولكن بقيت بعض الآثار السيئة لذلك وهي اختلاط الأحاديث الصحيحة عن رايات المشرق بالأحاديث الموضوعة أو المحرفة، وقد تصدّى علماء الحديث عبر العصور الاسلامية الى تحقيق هذه الأحاديث وكشفوا

١. تاريخ الطبري ج٥-ص ١٢٥-١٢٧.

الموضوع والمحرف منها. من هؤلاء العلماء ابن الجوزي في كتابه (الموضوعات)والذهبي في (ميزان الاعتدال) وابن عراق في (تنزيه الشريعة) ومن المعاصرين الألباني في كتابه (الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة).

(٢)

من هذا العرض الموجز لقصة استغلال العباسيين المعروفة لأحاديث البشارة بالمهدي ورايات المشرق، يتّضح أن أحاديث رايات المشرق وخراسان على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أحاديث في أوصاف رايات المشرق الممهدين للمهدي الموعود عليه السلام ولاشك في صدور أصل هذه الأحاديث عن النبي (ص).

القسم الثاني: أحاديث في أصحاب رايات المشرق الممهدين لبني العباس، والظاهر صدور شيء منها عن النبي (ص) من باب الأخبار عن المستقبل أو لأجل التمييز بينها و بين رايات المهدي، ومنها الحديث الذي اخترناه.

القسم الثالث: أحاديث موضوعة أو محرفة لتطبيق رايات المشرق الممهدة للمهدي على رايات العباسيين.

(٣)

كما ذكرنا فقد كان لعملية العباسيين تأثير سيء امتدّ الى بعض الكتاب المسلمين فجعلهم يشكون في كلّ أحاديث المشرق أن تكون موضوعة لمصلحة بني العباس. ولكن فاتهم أنَّ أكثر مضمون هذه الأحاديث الشريفة ليس من مصلحة العباسيين ولايقبل الانطباق على راياتهم وحركتهم.

مثلاً: حديث (تقبل الرايات السود من المشرق يقودهم رجال... قلوبهم كزبر الحديد... شعورهم مرخاة كشعور النساء، أسماؤهم الكنى، ونسبهم القرى، وثيابهم أسود من الليل المظلم) ابن حماد ص ٥٥ و٥٤ ـ مخطوطة.

هو في مصلحة حركة العباسيين ويمكن أن يكون من موضوعاتهم، ففي مطلع القرن الثاني للهجرة كانت النسبة الى البلدان شائعة عند الايرانيين وقد استعملها رسمياً أبومسلم الخراساني «فأمر أبومسلم كامل بن مظهر أن يعرض أهل الخندق بأسمائهم وأسماء آبائهم فينسبهم الى القرى ويجعل ذلك في دفتر» تاريخ الطبري ج ٥ ـ ص ٩٠ كما أخذ الايرانيون الكنية عن العرب واستعملوها اسماً، كما انَّ عادة اطالة شعر الرأس للرجال كانت منتشرة بين العرب والفرس.

ومثال آخر: حديث «يدخلون دمشق برايات سود عظام فيقتلون فيها مقتلة عظيمة شعارهم بكش بكش» ابن حماد ص ٥٤ ـ مخطوطة. هو أيضاً في مصلحة

العباسيين ويحتمل في أمره الوضع لأنهم اتخذوا رايات سوداء كبيرة جداً، وكان أقصى هدفهم دخول دمشق عاصمة عدوّهم. قال الطبري في حديثه عن أبي مسلم «وعقد الراية التي بعث بها الامام -ابراهيم- التي تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً.. ولبسوا السواد هو وسليمان بن كثير وأخوة سليمان ومواليه، وكلّ من أجاب» ج ٥ -ص ٨٣ -٨٤.

ولكن ماهي مصلحة العباسيين في وصف الرايات بأنَّها سود صغار كما في الحديث الذي أخترناه؟؟

وماهي مصلحتهم في تحديد عدوّها الذي تقاتله بأنَّه شخص ذو مواصفات خاصة من ولد أبي سفيان؟ مع أنَّ الذي قاتلته رايات بني العباس هو من ولد مروان بن الحكم. ولم يملك أحد من ولد أبي سفيان بعد خالد بن يزيد.

ماهي مصلحة العباسيين في وصف أصحاب راياتهم بأنَّهم «يطلبون الحق فلايعطونه، ثم يطلبونه فلايعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ماسألوا فلايقبلون» حيث لم تكن هذه خطتهم، ولم يطلب أبومسلم من الأمويين مطلباً فلم يعطوه ثمَّ أعطوه فلم يقبل، بل كان عملهم أن شرعوا بالقتال حتى قضوا على بني مروان.

وماهي مصلحتهم في تسمية عدد من قادة هذه الرايات كالسيد الأكبر، ورجل يخرج من قم، والهاشمي الخراساني الذي بكفّه خال، وشعيب بن صالح الأسمر الخفيف اللحية، وتحديد المدة التي يظهران فيها بأنَّها قبل المهدي باثنين وسبعين شهراً؟

وفي أن يكون هدف الرايات هو القدس وليس الشام؟

وفي الاعتراف بأنّه سيحصل لهذه الرايات تراجع من قرقيسيا الى ايران بسبب وضع داخلي فيتمكن السفياني بذلك أن يحتل العراق؟

إن أكثر ماتضمنته أحاديث رايات المشرق الممهدة للمهدي (ع) من مواصفات لجماعتها وقادتها وحركتها السياسية والعسكرية واتصالها بظهور المهدي عليه السلام هو مضرّ بمصلحة العباسيين، و بالتالي ينفي احتمال أن تكون من وضعهم.

(٤)

ثم انَّ أحاديث رايات المشرق الممهدة للمهدي مروية من طرق الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، عمن عاش منهم قبل ثورة العباسيين ومعها و بعدها، وكانوا هم ورواة حديثهم مخالفين لبني العباس.

(٥)

وأخيراً فهذه الأحاديث مروية عن مجموعة كبيرة من الرواة الموثقين عند المسلمين وفيهم الموافق لبني العباس والمخالف، ومدونة في أوثق مصادر السنة لدى المسلمين، وفي أصحابها الموافق لبني العباس والمخالف، وقد بلغ كثير منها حد التواتر اللفظي والمعنوي.. فاذا أجزنا صرف النظر عنها بمثل هذا التشكيك لزم أن نجيز صرف النظر عن أكثر أحاديث النبي (ص)، والعياذ بالله.

*

حول الحديث (٣) هم أهل الرايات السود المستضعفون

«فيبعث الله عليه (أي السفياني) فتى من قبل المشرق يدعوهم الى أهل بيت النبي (ص) هم المستضعفون يعزهم الله و ينزل عليهم النصر، فلايقاتلهم أحد الاّ هزموه».

(١)

استعمل القرآن الكريم مصطلح المستضعفين متقابلاً مع مصطلح المستكبرين. قال تعالى «وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا» ٧٥ ـ الأعراف.

والسين في المصطلحين تسمى سين الاستفعال وسين الطلب لأنّها تدلّ على معنى الطلب فيماتدخل عليه، ولكن معنى هذا الطلب في اسم الفاعل يختلف عنه في اسم المفعول:

فالمستأجر هو الشخص الذي يطلب إجارة الشيء أو المكان.

والمستعمر هو الذي يطلب إعمار بلاد الآخرين بزعمه.

والمستكبر هو الذي يطلب التكبّر على الآخرين..

وهكذا كلّ مااشتمل على سين الطلب ودلّ على اسم الفاعل.

امّا مادلّ على اسم المفعول فإنّ سينه تدلّ على وقوع الطلب عليه مثل: المستلطف والمستطاب والمستضعف، فهي بمعنى: الشيء الذي

يطلب لطفه، أو طيبه، أو يطلب ظلمه لضعفه.

فسبب التقابل بين المصطلحين اذن ان المستكبرين يطلبون فعل ماهو أكبر من حدودهم وحقوقهم، وهذا الفعل يقع على المستضعفين و يكون على حسابهم. فالاستكبار دائماً يقابله الاستضعاف للآخرين، فلا استكبار بدون استضعاف، والعكس صحيح.

والمستضعفون في القرآن الكريم مصطلح سياسي لكل من يقع عليهم الظلم سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين. قال تعالى: «وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ؟» وقال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» ٣١ ـ سبأ.

والمتبادر الى الفهم من كلمة المستضعفين هو الاستضعاف السياسي ـ الاقتصادي والعسكري، بمعنى أنَّهم يقع عليهم الظلم لضعفهم المادي وعدم امتلاكهم الوسائل الاقتصادية والعسكرية التي يستأثر بها المستكبرون. ولكن الحديث الشريف التالي يعممه الى الاستضعاف الثقافي أيضاً و يسمي المستضعفين ثقافياً (المستضعفين في الدين) بمعنى أن الظلم يقع عليهم لعدم معرفتهم بالاسلام «ثُمَّ يَظْهَرُ الْعِلْمُ بِبَلْدَةٍ يُقَالُ لَهَا قُمٌّ وَتَصِيرُ مَعْدِناً لِلْعِلْمِ وَالْفَضْلِ حَتَّى لَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مُسْتَضْعَفٌ فِي الدِّينِ» البحار ج ٦٠ ـ ص ٣١٣.

وقد أبرز القرآن مفهوم المستضعفين واستعمله في بضعة عشر موضعاً، و وعد المستضعفين المؤمنين بوراثة الأرض وقيادتها «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» ٥ ـ القصص.

كما حافظ على التميز بين مصطلح المستضعف و بين معنى الضعيف فلم يعبر عن المستضعفين بالضعفاء إلاَّ في حالة واحدة هي حالة الرضا بالاستضعاف والتبعية للمستكبرين «وَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» ٢١ -ابراهيم.

والسبب في هذا التميز، أن الضعف بالمفهوم القرآني انّما يوصف به الانسان بسبب حالة تكوينية أو بسبب فعل من نفسه فقط. أما بسبب فعل الآخرين وظلمهم له فيسمى مستضعفاً لاضعيفاً. على ذلك جرت كلّ الآيات القرآنية التي استعملت مادة ضعف ومشتقاتها.. أما تسمية المستضعفين بالضعفاء في الآية المتقدمة فهو بسبب قبولهم الاستضعاف الذي هو فعل منهم وليس بسبب وقوع الاستضعاف عليهم. وأما قوله تعالى «قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَانَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّاتَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً» ٩١ -هود، فهو وصف من وجهة نظر المستكبرين الذين لايفقهون، وشعيب عليه السلام بالمفهوم القرآني مستضعف وليس ضعيفاً، والمظلومون من قبل المستكبرين مستضعفون وليسوا ضعفاء، ولاينبغي لهم الضعف.. وفي هذا التميز القرآني تكريم للمستضعفين وتوجيه فكري وأخلاقي بليغ.

(٢)

هذا الطرح القرآني لقضية الاسلام على أنه قضية مستضعفين ومستكبرين هو أحد الطروحات والصيغ المتعددة التي يطرح الله تعالى بها قضية الاسلام، والتي تمثل كل واحدة منها بعداً معيّناً في وجود الانسان وحياته، وتعطي ثماراً عملية متنوعة..

والملاحظ في سيرة النبي (ص) والأئمة (ع) أنهم كانوا يطرحون قضية الاسلام بهذه الصيغ المتعددة حسب الظرف والحاجة، موازنين فيما بينها، ومحتفظين بالعنصر الأساسي الثابت في القضية، وهو العنصر العبادي.

والملاحظ في هذا القرن أن أحداً لم يحسن طرح قضية الاسلام بصيغها القرآنية المتعددة كما طرحها الامام الخميني حفظه الله، في جوانبها العبادية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والثقافية.. الأمر الذي كان مفاجأة حتى للمفكرين والعاملين الاسلاميين.

ومن هذه الصيغ التي حملت عنصر المفاجأة طرحه لمفهوم المستضعفين والمستكبرين الذي هو في عمقه وقوته وحيو يته وشموله و بساطته أحد المفاهيم الاعجازية الخالدة في الاسلام.

ففي العمق يشكّل هذا الطرح تفسيراً عملياً بديلاً للتفسيرات المطروحة لحركة الصراع في المجتمع العالمي، فواقع الصراع ليس بين الشرق والغرب، ولابين الرأسمالية والاشتراكية ولابين البرجوازية والبروليتاريا.. الخ. وانّما هو بين فئة المستكبرين المتسلطين سواء كانوا في الغرب أو الشرق أو في العالم الثالث.. و بين المستضعفين المظلومين من عباد الله تعالى.

ومن ناحية أخلاقية يتضمّن هذا الطرح قوة خاصة في توعية المستضعفين وكشف القناع عن المستكبرين.

كما أنّه طرح سياسي متقدم على كل طروحات التحرر الوطنية والثورة، وشامل يوجه المسلمين الى الانفتاح على بقية مستضعفي العالم، ويحدد طبيعة العلاقة الأخلاقية والسياسية معهم.

وبسبب أصالة مصطلح المستضعفين وواقعيته تحول بسرعة الى شعار لدى جماهير المسلمين في إيران، وامتدّ الى المسلمين في العالم، والى غير المسلمين، مكتسحاً ما كان في موضعه من شعارات ضعيفة وعديدة.

نعم لقد استعمل هذا المصطلح القرآني من قبل علماء المسلمين ومفكّريهم، وفي الأوساط الواعية، عبر التاريخ وفي عصرنا الحاضر، ولكنَّه لم يكن استعمالاً وافياً، ولم يأخذ صيغة الطرح السياسي والأخلاقي لقضية الاسلام مع أعدائه، ولم يتحول الى شعار جماهيري يعبّر عن وجه من قضية الاسلام إلاَّ على يد الثورة الاسلامية الايرانية «ثورة المستضعفين» فكانوا بذلك أهل هذه التسمية في الحديث الشريف: «**هُمْ الْمُسْتَضْعَفُونَ، يُعِزُّهُمْ اَللّهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ فَلا يُقَاتِلُهُمْ أَحَدٌ إلاَّ هَزَمُوهُ**».

*

حول الحديث رقم (٤)

«تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء.. حتى تنصب بايلياء»

(١)

معنى خراسان والمشرق:

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ٢ ـ ص ٣٥٠.

«خراسان بلاد واسعة أول حدودها ممّا يلي العراق أزاذوار قصبة

جوين وبيهق، وآخر حدودها ممّا يلي الهند طخارستان وغزنه وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها انّما هو أطراف حدودها ... ثم قال:

وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع، فالربع الأول ايرانشهر، وهي نيسابور، وقهستان، والطبسان، وهرات، وبوشنج، وباذغيس، وطوس، واسمها طبران.

والربع الثاني: مرو الشاهجان، وسرخس، ونسا، وأبيورد، ومرو الروذ، والطالقان، وخوارزم، وآمل، وهما على نهر جيحون.

والربع الثالث: وهو غربي النهر بينه وبين النهر ثمانية فراسخ: الفارياب، والجوزجان، وطخارستان العليا، وخست، وأندرابه، والباميان، وبغلان، و والج وهي مدينة مزاحم بن بسطام، ورستاق بيل وبذخشان، وهو مدخل الناس الى تُبّت ومن أندرابه مدخل الناس الى كابل والترمذ، وهو شرقي بلخ والصغانيان وطخارستان السفلى وخلم وسمفجان.

والربع الرابع: ماوراء النهر: بخارى، والشاش، والطراربند، والصغد، وهوكس، ونسق، والروبستان، وأشروسه، وسنام قلعة المقنع، وفرغانه، وسمرقند.

ثمّ قال الحموي: قال المؤلف: فالصحيح في تحديد خراسان ماذهبنا اليه أولاً، وانّما ذكر البلاذري هذا لأنّ جميع ماذكره من البلاد كان مضموماً الى والي خراسان، وكان اسم خراسان يجمعها. فامّا ماوراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية برأسها، وكذلك سجستان ولاية برأسها ذات نخيل، لاعمل بينها وبين خراسان.

ثمّ قال ياقوت بعد مدحه لخراسان: «وقد طعن قوم في أهل خراسان وزعموا أنَّهم بخلاء وهو بُهت لهم .. الى أن قال: ومن أين لغيرهم مثل محمدبن اسماعيل البخاري ومثل مسلم بن الحجاج القشيري، وأبي عيسى الترمذي، واسحاق بن راهو يه، وأحمدبن حنبل، وأبي حامد الغزالي، والجويني امام الحرمين، والحاكم أبي عبدالله النيسابوري، وغيرهم من أهل الحديث والفقه، ومثل الأزهري، والجوهري، وعبدالله بن المبارك، وكان يعد من أجود الزهاد والأدباء، والفارابي صاحب ديوان الأدب، والهروي، وعبدالقادر الجرجاني وأبي القاسم الزمخشري، هؤلاء من أهل الأدب والنظم والنثر الذين يفوت حصرهم و يعجز البليغ عن عدّهم ..».

يدلّ كلام الحموي على أن ولاية خراسان كانت تشمل في زمن البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ. أكثر من النصف الجنوبي الشرقي لايران الحالية ابتداء من مدينة ايرانشهر القريبة من بحر عمان الى آمل وخوارزم القريبة من بحر قزو ين ومابينهما الى الشرق، وقسماً من أفغانستان، والقسم الاسلامي الذي تحتله روسيا وهو جمهوريات القزق والقرغيز والأوزبك والتاجيك والتركمان.

وأنّه قدطرأ عليها تقسيم اداري جديد فأصبحت مساحتها أصغر حيث استثنيت منها بلاد ماوراء النهر وغيرها، وكانت على ذلك في عصر الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ.

وكلا التقسيمين الاداريين الذين ذكرهما البلاذري والحموي تقع فيها محافظة خراسان الحالية في ايران بعاصمتها القديمة طوس والجديدة مشهد.

ولكن الذي ينفعنا في تعيين المقصود بخراسان في الحديث الشريف ليس هو التحديد الاداري ولا الجغرافي لخراسان في القرن الرابع أو السابع الهجري، ولاحتى في القرن الأول زمن صدور النص من النبي (ص) وانّما هو مايعنيه اسم خراسان في عرف العرب في زمن النبي (ص).

الذي أطمئنّ اليه أن اسم خراسان كان مرادفاً عند العرب لاسم بلاد المشرق أو بلاد الشرق و يطلق على منطقة واسعة تشمل ايران الحالية والمناطق الشرقية والشرق جنوبية التي تليها الى حدود الهند و بر الصين.

فنحن نلاحظ انَّ الحموي الذي لم يوافق على السعة التي ذكرها البلاذري لخراسان واستثنى منها بلاد ماوراء النهر وغيرها .. عاد وسمى البخاري والترمذي وغيرهم من أهل خراسان، مع أن بخارى من بلاد ماوراء النهر. قال في ج ١ - ص ٣٥٣ «بخارى من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها» وماذلك الاّ لشياع هذه التسمية العرفية التي لايلغيها التقسيم الاداري.

كما نلاحظ آثار المرادفة بين اسم خراسان و بلاد الشرق في استعمال عرب الحجاز والعراق والشام الى اليوم. وقدغلب اسم (خريسان) عند عرب الحجاز وأرياف العراق بينما غلب اسم بلاد الشرق عند عرب الشام. ولازال هذان الاسمان يستعملان عند المتقدمين في السن الى اليوم بالرغم من اشتهار التسمية الجديدة للمنطقة بايران. قال في مراصد الاطلاع ص ٣٤٣ «حدود خراسان تبدأ ممّايلي العراق وآخر حدودها مايلي الهند» ونقل في صبح الأعشى عن اللباب

ج ٤ ـ ص ٣٨٩ أن أهل العراق يقولون انّها من الري الى مطلع الشمس، و بعضهم يقول من حلوان الى مطلع الشمس».

أمّا الغربيون فقد اشتهر تسمية المنطقة عندهم بفارس ولم يشتهر عندهم اسم خراسان أو بلاد الشرق. والسبب في ذلك بعدهم عن خراسان أولا، وأن الشرق والمشرق في الأصل اسم لجهة شروق الشمس وهو اسم نسبي ومجمل يتحدد بموجب قرائن متعددة لعلَّ أهمّها مكان المتكلم، فاذا كان المتكلم في أقصى المغرب اتّسع معنى المشرق بالنسبة اليه، ولذلك يطلق الغربيون اسم الشرق الأدنى على البلاد الأوربية التي تليهم، واسم الشرق الأوسط على بلادنا، واسم الشرق الأقصى على البلاد الشرقية بالنسبة الينا.

أمّا بالنسبة لمكة المكرمة والجزيرة فان ايران وماوراءها من المناطق الشرقية هي الشرق و بلاد المشرق. وقد شاع هذا الاستعمال بين المسلمين في المنطقة عبر أجيالهم في الاستعمال الرسمي والشعبي وفي تعبير المؤرخين.

بل يفهم من استعمال المسلمين في صدر الاسلام أن الأصل في كلمة المشرق أن يقصد بها ايران خاصة وأنّها عندما تطلق على غيرها معها تحتاج الى قرينة، ولذلك يكثر في كتب التاريخ تعبير (بلاد المشرق وماوراء النهر).

بناء على هذا يصبح من المعقول أن يعبر النبي (ص) برايات المشرق تارة ورايات خراسان أخرى لأن معناهما العرفي واحد أو متقارب..

وتسقط المناقشة القائلة بأن اسم خراسان لم يكن شائعاً في زمن

النبي (ص) وأنّ رواة الحديث هم الذين أبدلوا كلمة المشرق في الأحاديث بكلمة خراسان بسبب اشتهارها من بين المناطق في مطلع القرن الثاني الهجري.

وحتى لوأخذنا بهذه المناقشة وسلّمنا جدلاً بأن رواة الحديث قد أبدلوا كلمة المشرق بخراسان فهو من باب الرواية بالمعنى، و يكون دليلاً على أن الرواة الذين هم أقرب الى المعنى العرفي لكلمة المشرق في زمن النبي (ص) فهموا أنّه يقصد منها خراسان لاغيرها.

ومضافاً الى كلّ ماذكرنا فان الأحاديث الواردة عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام والتي هي صادرة في القرن الأول والثاني والثالث تستعمل تارة تعبير (رايات المشرق ومن شرقي الأرض) وتارة (رايات خراسان) ممّا يدلّ على أن المعنى المقصود بها واحد.

(٢)

تخرج رايات من خراسان سود فلايردّها شيء.. حتى تنصب بايلياء.. يتحدّث النصّ عن حدث سياسي، وعن حالة سياسية.. ماأدري لأيها نعجب أكثر!

إنّ الحالة السياسية التي تستدعي هذه الحركة (من خراسان الى ايلياء) لم تكن موجودة على طول التاريخ الاسلامي، ولم توجد إلاّ في هذا العصر! وهذا من معجزات النبي المصطفى (ص).

فحركة الفتح الاسلامي كانت قواتها من جزيرة العرب وليس من خراسان التي كانت تحت وطأة الكسروية والمجوسية. كما أنّ القدس

كانت جزءاً من هدف هذه الحركة ولم تكن كلّ هدفها أو ثقله كما يفهم من النصّ.

وحركة العباسيين كانت قواتها من خراسان ولكن هدفها كان عاصمة الأمويين دمشق ومراكز قوتهم الأخرى ولم تكن القدس من بينها ولعله لم تجر حولها معركة ولم تنصب فيها راية.

وحركة الأمّة في صراعها مع الصليبيين لتحرير ساحل البحر المتوسط والقدس لم تكن قواتها من خراسان.

فالحالة السياسية التي يفترضها النصّ تشبه أن تقول: سيأتي يوم يتوجّه جيش اسلامي من اليونان لتحرير مكة المكرمة!

وتمضي السنوات.. فتنهار الكسروية في ايران، و يدخل أهلها في الاسلام. وتمضي القرون.. و يضعف العالم الاسلامي، و يسيطر عليه الغربيون، و يأتون بأشد الناس عداوة للمسلمين الى فلسطين، ويجعلون القدس عاصمة لهم.. فتصبح نقطة الهدف في الصراع الحضاري والمصيري بين المسلمين وأعدائهم.. و يبزغ فجر الاسلام مجدداً من ايران، وتنبض قلوب ملايينها وتتحفّز الى القدس.. فتتحقق الحالة السياسية التي يتحدث عنها النص!

وعناصر الحدث:

قوات من خراسان: شعارها رايات سود بلون الثأر والحزن والغضب، وفي حديث أنّها سود صغار (ابن حمّاد ص ٨٥ ـ مخطوطة) لأنّها تكون في عصر تنتهي فيه حاجة المعركة الى الراية المركزية الكبيرة،

وتكون الراية رمزاً لهوية المقاتلين وشعاراً لهم، تحملها مجموعاتهم الصغيرة والكبيرة.

والهدف: القدس الشريف. بيت المقدس. ايلياء المقدسة.. التي جعلوها عاصمة للمفسدين في الأرض.

الهدف هو تحرير هذه المدينة الربانية وفك أسرها وتطهيرها من مركز الفساد الذي فيها وقلع شجرته الملعونة من أرضها، وجعل العلم الإلٰهي ورايات الثأر تخفق فوق ربواتها.

والمسافة الى الهدف: حوالي ألف كيلومتر من آخر نقطة من حدود ايران.. وفي هذه الطريق توجد عقبات سياسية وعقبات عسكرية كالجبال.

«فلا يردّها شيء»

لأنّها تملك العزم القاطع والإصرار الذي لا يلين، فالهدف عندها نهائي، والوصول اليه حتمي، والمحاولات السياسية لردّها عن عزمها فاشلة.

ولأنّها تملك قدرة قتالية من نوع خاص تجعلها تتغلب على العقبات الصعبة التي تعترض طريقها وتريد منعها من الوصول اليه ولو كانت كالجبال «لواعترضتهم الجبال لهدّوها واتّخذوا فيها طرقاً»[1].

أمّا العقبات السياسية من مراكز الطغيان وعواصم الدول الكبرى

١. جاء هذا الوصف تقائدهم الخراساني في مصادر السنة والشيعة مثل الفتن والملاحم لابن حماد و بشارة الاسلام ص٥ والملاحم والفتن لابن طاووس ص٦٨ وغيرها.

فلاتحتاج الى مكان محدد لتعمل على منع هذا الزحف الاسلامي. وأمّا العقبات العسكرية فساحتها محددة على الأرض في هذه الطريق الى ايلياء أو في أجوائها، عبر العراق أو تركيا، وعبر الأردن أو سوريا. فهذه هي منطقة جبال العقبات التي سيتم التغلب عليها قبل الوصول الى ملاقاة العدو والتغلّب عليه!

(٣)

متى تخرج رايات خراسان؟

ومتى تنصب بايلياء وتنبض فوق ربوعها؟

أسئلة تطرحها جماهير المسلمين المتحمّسة للانتصار على اليهود وتحرير القدس الحزينة. و يبلغ الحماس بالبعض أن يتصوّر أن البشارة النبوية بالرايات السود تتلخص بحملة عسكرية تتم في شهر أو شهرين!

ولكنّها في الحقيقة بشارة بحركة في الأمة.. حركة من شأنها أن تنجب مثل هؤلاء المقاتلين المتميّزين.. ومن شأنها أن تضع عينهم على الهدف الستراتيجي للأمة فلايتراجعون عنه.. ومثل هذه الحركة المتجذرة في العمق الزاحفة نحو الهدف، تحتاج الى جهود كبيرة، ونفس طويل.

تخرج رايات سود من خراسان. ولكنّها لا تولد فجأة على غير سنة الله تعالى في حركة المجتمع وظهور القوة العسكرية، فيه، بل توجد على أثر تغير يحدث في الأمة فينتج خروجها. ولابدّ أن يستغرق هذا التغير والإعداد وقتاً وجهداً.

بل يشير قوله (ص) «فلايردّها شيء» الى أنَّ التغلب على العقبات في الطريق يحتاج الى جهد أكبر من جهد الخروج.. نعم، سوف لن تمنعها العقبات من الوصول الى القدس مهما كبرت وكثرت، ولكن كم هي العقبات، وكم يستغرق التغلب عليها وعلى الواحدة منها؟

اذا التفتنا الى مايقتضيه قوله (ص) «تخرج» من حدوث حركة في الأمة، ومايقتضيه قوله (ص) «فلايردّها شيء»: من مقاومة ومثابرة.. ونظرنا الى حالة الأمة الاسلامية، والى ماحدث في ايران.. نعرف أن الرايات السود قدخرجت بالفعل وأنَّها تعالج الآن أول عقبة في طريقها الى القدس.

نعم، رايات المشرق قدخرجت، والعقبة الأولى قدتقتضي منها سنوات.. وقدتكون أمامها ثانية وثالثة، ولكنها.. لايردها شيء حتى تنصب في ايلياء وتخفق فوق ربوعها وتخفق معها قلوب المسلمين في العالم. وصدق رسول الله (ص) وان كره الكارهون.

ومن طريف مقادير الله تعالى أن الرايات السود الصغيرة انتشرت بشكل طبيعي في جماهير المسلمين في ايران أثناء قيامهم بالثورة، ثمَّ في صفوف المقاتلين، لأنَّها تقليد حسيني بينهم يرمز الى الثأر والحزن، مضافاً الى الرايات الخضراء، وبنسبة أقل الرايات الحمراء.. وأن الجيش المتشكّل من محافظة خراسان بالذات (لشكر هفتاد وهفت) شعاره منذ زمن الراية السوداء، بينما شعار جيش قزوين مثلاً الراية الحمراء! وأن الرايات السود الصغار تعم ايران في عاشوراء و يرفعها حتى الأطفال في الشوارع!

حول الأحاديث رقم (٥) عن دخول الايرانيين الى دمشق

يلاحظ المتتبع أن بين رايات العباسيين ورايات أنصار المهدي عليه السلام فرقاً أساسياً في نقطة الهدف. فقد كانت دمشق أقصى هدف العباسيين لأنها عاصمة عدوهم التي يريدون احتلالها. بينما نقطة الهدف عند أنصار المهدي عليه السلام هي القدس الشريفة، لأن تحريرها سيكون مدخلاً أساسياً لتحرير العالم، خاصة وأنَّهم على موعد فيها مع المسيح عليه السلام.

هذا الفارق نلمسه بوضوح في أحاديث المهدي وأنصاره، وفي الأحاديث الموجودة عن رايات العباسيين، الى حدّ أنّه يشكل طابعاً مميزاً في استراتيجية الحركتين، وهو ينفع كقرينة جيدة من جملة قرائن للتأكد من عدم اختلاط أحاديث رايات العباسيين بأحاديث رايات أنصار المهدي عليه السلام.. فعندما يوجد حديث يفهم منه أن هدف رايات المشرق أو خراسان هو دمشق، يمكننا أن نصنّفه في مجموعة أحاديث العباسيين، وعلى هذا الأساس استبعدنا عدداً من الأحاديث التي يفهم منها دخول الايرانيين أنصار المهدي عليه السلام الى دمشق قبل ظهوره.

ولكن بعض هذه الأحاديث ومنها الحديثان المذكوران لا تقبل التصنيف في أحاديث رايات العباسيين.

وهناك عدة قرائن في مصلحة قبول هذا النوع من الأحاديث، كما أنَّ

هناك عدة أخرى توجب رفضها أو التوقف بشأنها.

فمن القرائن الايجابية: أنَّه مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الستراتيجي في الهدف لكلاالنوعين من الرايات، إلاَّ أنَّ دمشق والقدس قريبتان جغرافياً لايفصلهما أكثر من مئة كيلومتر بخط مستقيم، وأن دمشق وان لم تكن هدفاً لأنصار المهدي عليه السلام لكنَّها في طريقهم الى القدس.

ومنها، أنَّه وردت أحاديث في أنَّ المهدي عليه السلام وأنصاره يدخلون القدس عن طريق دمشق و يعسكرون في مرج عذراء الواقع على بعد ثلاثين كيلومتراً شرقي دمشق ممَّا يشير الى امكانية أن يدخلوها أو يدخلوا منطقتها قبل ظهوره. روى المجلسي في البحار ج ٥٢ ـ ص ٢٢٤ وشبيهاً به السيوطي في الحاوي ج ٢ ـ ص١٤٦ «ثمَّ يسير حتى يأتي العذراء هو ومن معه وقد ألحق به ناس كثير، والسفياني يومئذ بوادي الرملة»

ومنها، أن الأحاديث المذكورة لايفهم منها أن هدف أنصار المهدي عليه السلام هو دمشق، وانَّما تدلّ على وجودهم فيها قبل ظهور السفياني، ولامانع أن يكونوا في طريقهم الى القدس بانتظار معركة التحرير، خاصة وأن قوات من دول المغرب تكون متواجدة معهم، ثمَّ يظهر السفياني العميل فيردّهم الى العراق.. أو يكونوا موجودين في فلسطين وقد حرّروا أجزاء منها كما يدلّ الحديث الثاني، و يتمكّن السفياني من ردّهم الى العراق وايران.

ومن القرائن السلبية: أنه يفهم من هذه الأحاديث أنها تفترض أن

الأصل وجود أهل المشرق بشكل طبيعي في دمشق وفلسطين، وأن السفياني يهزمهم ويخرجهم منها. وهذا الأمر ينسجم مع تطلعات بقايا الاتجاه الأموي بعد انتصار الثورة العباسية الذين حاولوا استغلال أحاديث السفياني ووضعوا الأحاديث في أنه يستعيد السلطة من العباسيين وأنصارهم أهل المشرق و يردّهم من حيث أتوا. خاصة وأن أكثر هذه الأحاديث تفترض سفيانياً أول وتحاول أن تبرءه من الإنحراف والجرائم وتحملها لسفياني آخر يأتي من بعده. وسنبحث مسئلة تعدد السفياني ان شاءالله.

ومنها، أن رايات أنصار المهدي عليه السلام «لايردّها شيء حتى تنصب بايلياء» بينما تذكر هذه الأحاديث هزائمهم المتتالية. صحيح أن قضية تحرير القدس قضية كبرى تتحمل أن يكون فيها مدٌّ وجزر سياسي وعسكري، ولكن الصورة في هذه الأحاديث أكثر من ذلك.

هاتان القرينتان السلبيتان وغيرهما تجعلنا نرفع اليد عن القرائن الايجابية ونتوقف عن الأخذ بالأحاديث في هذا الموضوع والتي لم أجد في حدود اطلاعي شيئاً منها يصلح لاثبات أن رايات المشرق الممهدة للمهدي عليه السلام تدخل دمشق أو القدس قبل ظهوره، كما أنه لايوجد ماينفي ذلك أيضاً.

حول الحديث رقم (٦)

في تفسير قوله تعالى «بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد»

لازالت الآيات الكريمة المتعلقة باليهود في مطلع سورة الاسراء تثير السؤال عن افساد بني اسرائيل مرتين، وعن القوم الذين يبعثهم الله عليهم ؟

فقد كان الرأي السائد عند المفسرين القدامى كالطبري، والطوسي والرازي وغيرهم، وعند المعاصرين أيضاً كالطباطبائي في تفسير الميزان، وسيد قطب في تفسير في ظلال القرآن، ومغنيّة في تفسير الكاشف، وغيرهم.. أن الافسادين قد مضيا والعقوبتين عليهما قد تحقّقتا قبل الاسلام، وأن العقوبة الأولى وقعت على يد نبوخذ نصر البابلي حوالي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد حيث احتل القدس، ودمر هيكل النبي سليمان عليه السلام، ونهب محتوياته وأحرقه، وأخضع اليهود لسيطرة البابليين. والعقوبة الثانية وقعت على يد القائد الروماني تيطس حوالي سنة ٧٠ ميلادية حيث احتلّ القدس وخرب الهيكل ونهبه وأزاله كلياً، وأخضع اليهود لسيطرة الرومان.

ولكن السؤال عن تفسير الآيات الكريمة طرح نفسه مجدداً وأصبح على ألسنة الناس فضلاً عن المهتمين بتفسير القرآن الكريم، وذلك لعدة اعتبارات:

أولها: العلو الاسرائيلي المعاصر الذي لم يكن في السابق، والذي

قديكون له علاقة بتفسير الآيات.

وثانيها: أن تفسير الآيات بالماضي هو رأي مفسرين يعتمد على نظرتهم الى تاريخ اليهود، وليس على حديث عن النبي (ص).

وثالثها: وجود بعض الأحاديث النادرة والملفتة، بعضها يتعلّق بشكل غير مباشر بالموضوع كأحاديث قتال المسلمين لليهود وأحاديث الرايات التي تخرج من المشرق فتنصب بإيلياء.. ومنها مايتعلّق بالموضوع بشكل مباشر وهو الحديث المتقدّم المروي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام والذي يفسّر القوم الذين يبعثهم الله على اليهود بأهل قم و يقتصر على قوله عند تلاوته للآيات: «هُمْ وَٱللَّهِ أَهْلُ قُمٍّ. هُمْ وَٱللَّهِ أَهْلُ قُمٍّ. هُمْ وَٱللَّهِ أَهْلُ قُمٍّ». والحديث الآخر عن الامام الباقر عليه السلام والذي يقتصر على قوله: «وَهُوَ ٱلْقَائِمُ وَأَصْحَابُهُ أُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ».

وفي السنوات الأخيرة بدأ بعض الكتّاب المسلمين من مصر والأردن والعراق ولبنان يطرحون آراء جديدة تخالف رأي المفسرين في الافسادين والعقوبتين، أهمّها رأي يقول بأن أحد الافسادين قدمضى مع عقوبته فقط، وأن اليهود اليوم في مرحلة الافساد الثاني وآخر يقول إِنَّهم اليوم في مرحلة الافساد الأول وستأتي عقوبته، كما سيأتي الافساد الثاني وعقوبته.

إنَّ الوصول الى رأي واضح في تطبيق الافسادين والعقوبتين على بني اسرائيل يتوقّف على ثلاثة أمور غفل عن بعضها المفسرون:

الأمر الأول: الاستقراء الدقيق للأقوام التي سلّطها الله تعالى على بني اسرائيل عبر تاريخهم لملاحظة مدى انطباق وعد العقوبتين عليها.

والأمر الثاني: هل في القرآن الكريم وعد بعقوبات أخرى لبني اسرائيل لكي نضمّها الى الوعد بالعقوبتين بحيث يصبح المجموع مستوعباً لتاريخ اليهود وحاضرهم ومستقبلهم؟

والأمر الثالث: تحديد خصائص الوعد الإلٰهي في الآيات الكريمة وذلك بتحديد معاني الألفاظ والجمل المستعملة فيه على ضوء استعمالها في القرآن الكريم.

١ـ خلاصة تاريخ اليهود

تتناول هذه الخلاصة الحالة السياسية العامة لليهود من زمن موسى عليه السلام الى زمن نبيّنا محمد (ص) وقد اعتمدنا فيها على كتاب «معجم الكتاب المقدّس» الصادر عن مجمع الكنائس للشرق الأدنى، وكتاب «تاريخ اليهود من أسفارهم» لمؤلّفه محمد عزّت دروزة، وكتاب «العرب واليهود في التاريخ» للدكتور أحمد سوسه.

و ينقسم تاريخ اليهود في هذه المدة الى عشرة عهود:

١ـ عهد موسى و يوشع عليهما السلام	١٢٧٠ق.م	١١٣٠ق.م
٢ـ عهد القضاة	١١٣٠ق.م	١٠٢٥ق.م
٣ـ عهد داود وسليمان عليهما السلام	١٠٢٥ق.م	٩٣١ق.م
٤ـ عهد الانقسام والصراع الداخلي	٩٣١ق.م	٨٥٩ق.م
٥ـ عهد السيطرة الآشورية	٨٥٩ق.م	٦١٢ق.م
٦ـ عهد السيطرة البابلية	٥٩٧ق.م	٥٣٩ق.م

٧ـ عهد السيطرة الفارسية	٥٣٩ ق.م	٣٣١ ق.م
٨ـ عهد السيطرة اليونانية	٣٣١ ق.م	٠٦٤ ق.م
٩ـ عهد السيطرة الرومانية	٦٤. ق.م	٦٣٨م
١٠ـ عهد السيطرة الاسلامية	٦٣٨م	١٩٢٥م

عهد موسى و يوشع عليهما السلام

عاش النبي موسى عليه السلام مئة وعشرين سنة منها نحو ثلاثين سنة أول عمره الشريف في قصر فرعون مصر، ونحو عشر سنوات عند النبي شعيب عليه السلام في مَدْيَن الواقعة شرقي خليج العقبة. ثمَّ أربعين سنة في مصر في تبليغ فرعون و بني اسرائيل. ثم خرج بقومه من مصر كما قصّه الله تعالى في القرآن، و بقي معهم نحو أربعين سنة في سيناء قضوا منها سنة في مقابل جبل سيناء الذي نزلت فيه التوراة، ثم ارتحلوا الى «قادِش بَرْنِيع» الواقعة في آخر سيناء من جهة فلسطين قرب وادي العربة.

وتذكر التوراة الموجودة أن عدد بني اسرائيل الذي خرجوا معه عليه السلام (ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد) سفر الخروج اصحاح ١٢: ٣٧، وسفر العدد اصحاح ٣٣: ٣٦. و يقدرهم بعض الباحثين الغربيين بستة آلاف نسمة. و يرجع المؤرخون أن الخروج من مصر حدث في مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد حدود ١٢٣٠ ق.م على عهد الفرعون منفتاح.

وفي الجبل عند قادش توفي موسى عليه السلام فدفنه وصيّه يوشع بن نون عليه السلام وأخفى قبره.. وقد تحمّل من بني اسرائيل أنواع الأذى في

حياته و بعد وفاته.. تقول توراتهم عنه وعن هارون عليهما السلام: (كلّم الربّ موسى قائلاً: مُت في الجبل كما مات أخوك هارون في جبل هور.. لأنكما خنتماني.. عند ماء برية مريبة قادش في برية سين اذ لم تقدّساني.. فانك تنظر الأرض من قبالتها ولكنّك لا تدخل الى هناك الى الأرض التي أنا أعطيتها لبني اسرائيل)-سفر التثنية، اصحاح ٣٢: ٥٠-٥٣ وتقول: (يوشع بن نون هو يدخل الى هناك) سفر التثنية، اصحاح ١: ٣٨..

وتولى قيادة بني اسرائيل بعد موسى وصيه النبي يوشع عليهما السلام، فسار بهم الى الضفة الغربية لنهر الأردن و بدأ بمدينة أريحا وفتح معها ٣١ مملكة صغيرة الواحدة منها عبارة عن مدينة أو بلدة قد يتبعها قرى زراعية. وكان السكان من الوثنيين الكنعانيين. ثمّ قسم المنطقة على أسباط بني اسرائيل المتحاسدين، وقد ذكرت الاصحاحات ١٥ الى ١٩ من سفر يوشع أسماء مدن وقرى المنطقة و بلغ عددها مئتين وستة عشر مدينة حسب تعبيرهم.

وتوفي يوشع عليه السلام عن عمر قارب مئة وعشر سنوات حوالي ١١٣٠ق.م.

عهد القضاة

عهد الاضطراب وسيطرة الممالك المحلية عليهم

انتقلت قيادة بني اسرائيل بعد يوشع عليه السلام الى القضاة، وقد حكم منهم خمسة عشر قاضياً، وتميز عهدهم بأمرين سنراهما مرافقين

لبني اسرائيل هما: انحرافهم عن خط الأنبياء عليهم السلام، وتسليط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب.

يتحدّث سفر القضاة في الأصحاح الثالث والخامس عن انحراف بني اسرائيل بعد يوشع عليه السلام فيقول: «سكنوا في وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحيو يين واليبوسيين، واتّخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم».

و يذكر في الأصحاح ٣:٨ أن أول من تسلط عليهم وأخضعهم كوشان رشتعايم ملك آرام النهرين، مدة ثمان سنين.

ثم هاجمهم بنو عمون والعمالقة واستولوا على مدينة أريحا ـ قضاة، اصحاح ٣:١٣.

ثم تسلط عليهم يابين ملك كنعان في حاصور عشر سنين ـ قضاة، اصحاح ٤:٣.

ثم استعبدهم بنو عمون والفلسطينيون ثمان عشرة سنة ـ قضاة، اصحاح ١:٨.

ثم نكل بهم الفلسطينيون وتسلّطوا عليهم مدة أر بعين سنة ـ قضاة ١:١٣.

وقد امتدّ حكم القضاة من بعد يوشع عليه السلام الى زمن النبي صموئيل عليه السلام الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا، قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا؟.. فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا

مِنْهُمْ. وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» البقرة -٢٤٦.

و يقدّر المؤرخون هذه المدة بحوالي قرن، من سنة ١١٣٠ق.م الى عهد طالوت وداود عليه السلام ١٠٢٥ق.م. بينما يفهم من سفر القضاة في التوراة أنها أكثر من ذلك.

عهد داود وسليمان عليهما السلام

أدخلنا عهد طالوت (شاول) في عهد داود وسليمان عليهما السلام لأنَّه كان ملكاً على خطّ الأنبياء عليهم السلام ولم يكن نبيّاً. و يذكر المؤرخون أنَّه حكم خمس عشرة سنة من سنة ١٠٢٥ الى ١٠١٠ قبل الميلاد، وحكم بعده داود وسليمان عليهما السلام من ١٠١٠ق.م الى ٩٣١ق.م سنة وفاة سليمان.

و يلاحظ أن مؤلفي التوراة الموجودة قد أكثروا من ظلمهم وافترائهم على موسى وداود وسليمان عليهم السلام ورموهم بعظائم التهم الأخلاقية والسياسية والعقائدية - كما حكى عنهم تعالى في القرآن- وقد تبعهم في ذلك وزاد عليهم أكثر المؤرخين النصارى الغربيين ثمّ تبعهم على ذلك أصحاب عصبية أبي جهل ممّن يسمون بالمسلمين.

صلوات الله على جميع أنبيائه، ونبرأ الى الله ممّن يكفر بهم أو يرميهم بسوء.

لقد أنقذ داود عليه السلام بني اسرائيل من الوثنيّة التي تورطوا فيها ومن تسلّط الوثنيين، ومدّ نفوذ دولته الإلٰهية الى المناطق المجاورة، وعامل الشعوب التي دخلت تحت حكمه بالحسنى كما وصف الله تعالى ذلك في

كتابه وعلى لسان نبيّه محمد(ص)، وأراد أن يبني مسجداً في مكان عبادة أبيه ابراهيم عليه السلام في القدس على جبل (المريّا) وكان المكان بيدراً للحبوب لأحد سكّان القدس من اليبوسيين اسمه أَرُونا فاشتراه منه بخمسين شاقلاً فضّة كما تذكر التوراة الموجودة (سفر صموئيل الثاني، أصحاح ٢٤: ٢٤-٢٥ وسفر الأخبار الأول، اصحاح ٢١: ٢٢، ٢٨) وبنى فيه مسجداً أقام فيه الصلاة وفي جانب منه كانت تذبح الأضاحي لله تعالى.

وتولى من بعد داود ابنه ووصيه نبي الله سليمان عليهما السلام، وبلغ ملكه ماذكره الله تعالى في قرآنه وسنة رسوله(ص) وبني مسجد أبيه داود وابراهيم بناء جديداً فخماً عرف باسم هيكل سليمان.

انَّ فترة حكم سليمان هي فترة استثنائية في تاريخ الأنبياء عليهم السلام جسّد اللهُ تعالى فيها للعالم نموذجاً للامكانات الهائلة والمتنوعة التي يمكن أن يسخرها لحياتهم إذا هم أقاموا كيانهم السياسي بقيادة الأنبياء وأوصيائهم حتى لايستغلوها في البغي على بعضهم «وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِلنَّاسِ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ، وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» ٢٧ -الشورى.

وقد توفي سليمان عليه السلام وهو جالس على كرسيّه كما وصف القرآن، ويحدد المؤرخون ذلك بسنة ٩٣١ق.م، وبمجرد وفاته وقع الانحراف في بني اسرائيل ووقع الانقسام في الدولة، وسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب. تقول التوراة الموجودة في سفر الملوك الأول اصحاح ١١: ١-١٣ بعد أن تفتري على سليمان عليه السلام أنّه ترك عبادة الله

تـعـالى وعبد الأصنام «وقال لسليمان: من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فاني أمزق المملكة عنك تمزيقاً».

عهد الانقسام والصراع الداخلي

وقد وصل بهم ذلك الى أن يستعينوا على بعضهم بالقوى الوثنية المتبقية حولهم و بفراعنة مصر وآشور و بابل.

فقد اجتمع اليهود بعد موت سليمان عليه السلام في شكيم (نابلس) و بايعت أكثريّتهم يربعام بن نباط الذي كان عدواً لسليمان في حياته. فأقام في الضفّة الغربية كياناً باسم دولة اسرائيل وجعل عاصمته شكيم أو السامرة، و بايعت قلة منهم رحبعام بن سليمان وجعل عاصمته القدس وعرفت دولته باسم يهوذا. أمّا وصي سليمان آصف بن برخيا الذي يصفه الله تعالى بأنّه «عنده علم من الكتاب» فلم يكن نصيبه من بني اسرائيل إلاّ التكذيب!

وتذكر التوراة أن الكفر وعبادة الأصنام كان علنياً في أتباع يربعام وأنّه «صنع عجلين من ذهب وضع أحدهما في بيت ايل والثاني في دان وجعل عندهما مذابح وقال لهم: هذه آلهتكم التي أصعدتكم من مصر فاذبحوا عندها ولا تصعدوا الى أورشليم، فاستجاب له الشعب!» سفر الملوك اصحاح ١٢: ٢٦-٣٣.

والى جانب العجلين أمر يربعام بعبادة آلهة أخرى منها عشتاروت إلهة الصيدونيين وكموش إله الموآبيين، ومكلوم إله العمونيين (سفر أخبار الملوك الأول، اصحاح ١٢: ٣١ وأخبار الملوك الثاني، اصحاح ١١:

١٣-١٥ واصحاح ١٣:٩).

وبعد ثلاث سنوات سارت مملكة يهوذا في ذات الطريق فعبدت الأصنام (سفر أخبار الملوك الأول، اصحاح ١٤: ٢١-٢٤ والملوك الثاني، اصحاح ١١: ١٣-١٧ واصحاح ١٢:.

وقد اغتنم شيشق فرعون مصر هذه الفرصة وقام في سنة ٩٢٦ ق.م. بحملة لمساعدة يربعام، والقضاء على دولة ابن سليمان وجماعته، فاحتل القدس «وأخذ خزائن بيت الرب وبيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ أتراس الذهب التي عملها سليمان» سفر أخبار الملوك، اصحاح ١٤: ٢٥-٢٦.

ويبدو أن ظروف فرعون مصر لم تساعده لفرض سيطرته المستمرة أو سيطرة حليفه يربعام الذي كان هرب من سليمان الى مصر وعاش فيها الى أن توفي سليمان.. فبعد انسحاب شيشق استعادت المملكة الصغيرة شيئاً من كيانها، ولكن الحروب استمرت مع يربعام.

كما استغل الآراميون ضعف الدولتين فهاجموا مملكة يهوذا وساقوا رؤساءهم سبايا الى عاصمتهم دمشق، وفرضوا عليهم الجزية وذلك في عصر الملك الآرامي بنهدد -٨٧٩ق.م- ٨٤٣ق.م -سفر الملوك الثاني اصحاح ١٣: ٣-١٣.

ثم فرضوا الجزية والحماية على مملكة يربعام في زمن ملكها آخاب بن عومري ٨٧٤ق.م -٨٥٣ق.م.

وتذكر التوراة أيضاً غزو الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين لمملكة يهوذا في زمن الملك يهورام فاحتلوا القدس واستولوا على

الأموال الموجودة في بيت الملك وسبوا أبناءه ونساءه (سفر الملوك الثاني، اصحاح ٢١: ١٦-١٧).

وكذلك تذكر أن الجيش الآرامي غزا بيت المقدس وأهلك كل الرؤساء وأخذ جميع الخزائن وقدمها الى حزائيل ملك الآراميين (سفر الملوك الثاني، اصحاح ٢٤ ٣:٢٤ واصحاح ١٢-١٧-١٨).

وكذلك هجم يوآش ملك اسرائيل على يهوذا حيث هدم سورها وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك (سفر الملوك الثاني اصحاح ١٤: ١١-١٤ واصحاح ٢٥: ٢١-٢٤.

وقد استمرت هذه الحالة من الصراع فيما بينهم وتَسلُّط الممالك المجاورة عليهم الى الاحتلال الآشوري.

عهد السيطرة الآشورية

بدأت السيطرة الآشورية على اليهود بحملة شلمنصر الثالث ملك الآشوريين ٨٥٩ق.م -٨٢٤ق.م على مملكة الآراميين ومملكة اسرائيل حيث أخضع المنطقة لحكمه وحكم من بعده من الآشوريين، و يبدو أن مملكة يهوذا كانت محافظة على طاعة الآشوريين بعكس مملكة اسرائيل والآراميين لأن التوراة تذكر طلب ملكها آحاز بن يوثام من تغلث فلاسر ملك آشور القيام بحملة على مملكة اسرائيل والآراميين فاستجاب له الأخير وقام بحملة في سنة ٧٣٢ق.م، وتابع مهمته خلفه شلمنصر الخامس ولكنه توفي أثناء حصاره لعاصمتها شكيم (السامرة) فأكمل خلفه

سرجون الثاني احتلال السامرة وقضى على هذه المملكة نهائياً.

وقد ساعد الآشوريين في القضاء على مملكة اسرائيل خطة الأجلاء التي طبقوها مع اليهود فقد سباهم تغلث فلاسر الى بلاده وأسكن مكانهم آشوريين كما ورد في سفر أخبار الملوك الثاني اصحاح ١٥: ٢٩ وقام بعده الملك فقح باكمال الخطة فسبى نصف سبط منسي وغيره كما في سفر أخبار الأيام، اصحاح ٥:٢٩ وسرجون الثاني الذي أجلى منهم حوالي ثلاثين ألفاً الى حران وضفة الخابور وميديا وأسكن مكانهم الآراميين -سفر الملوك الثاني اصحاح ١٧: ٥و٦و١٨.

وقد خرجت مملكة يهوذا على طاعة الآشوريين في عهد ملكها حزقيا الذي قام على مايبدو بالاتصال بالمصريين فغضب عليه سنحاريب ملك آشور وقام بآخر حملة أشورية لاخضاع مملكة يهوذا حوالي سنة ٧٠١ق.م وأخضع المنطقة واحتل القدس ودفع له حزقيا «جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك» سفر أخبار الملوك الثاني، اصحاح ١٨: ١٣-١٥.

وتذكر التوراة الموجودة غير من تقدّم من ملوك أشورأسرحدون وآشور بانيبال آخر ملوكهم وأنهما نقلا أقواماً من آشور وأسكنوهم في السامرة -سفر عزرا، اصحاح ٤: ١٠.

عهد السيطرة البابلية

سقطت عاصمة الآشوريين نينوى على يد الماذيين والبابليين (الكلدانيين) سنة ٦١٢ق.م فتقاسموا ممتلكاتها وكان العراق و بلاد

الشام وفلسطين من حصة البابليين. وأشهر ملوكهم نبوخذنصر الذي قام بحملتين لاخضاع بلاد الشام وفلسطين الأولى سنة ٥٩٧ق.م والثانية سنة ٥٨٦ق.م.

في الحملة الأولى حاصر القدس وفتحها وأخذ خزائن بيت الملك وسبى عدداً كبيراً من اليهود من جملتهم الملك يهو ياكين ورجاله، وعين صدقيا عمّ يهو ياكين على من بقي من اليهود وأسكن المسبيين في منطقة نيبور عند نهر الخابور ببابل (أخبار الملوك الثاني، اصحاح ٢٤: ١-٦).

وجاءت الحملة الثانية بسبب صراع النفوذ بين نبوخذنصر وفرعون مصر حوفرا حيث قام الأخير بتحريض ملوك بلاد الشام وفلسطين ومنهم صدقيا ملك القدس على التحالف معه ضد البابليين فاستجابوا له فوجه حملته الى المنطقة، ولكن نبوخذنصر سارع بارسال حملة تمكن بها من هزيمة المصريين واحتلال كافة المنطقة ودخل الجيش البابلي القدس ودمّر الهيكل وأحرقه ونهب خزائنه، وكذلك فعل ببيوت كبار اليهود، وسبى منهم حوالي خمسين ألف شخص وذبح أولاد صدقيا أمامه ثم فقأ عينيه وحمله مقيداً مع الأسرى، وقضى بذلك على مملكة يهوذا (سفر الملوك الثاني، اصحاح ٢٤: ١٧-٢٠و٢٥ وسفر الأخبار الثاني اصحاح ٣٦: ١١-٢١ وسفر أرميا، اصحاح ٣٩: ١-٤).

عهد السيطرة الفارسية

احتلّ كورش ملك فارس بلاد بابل وقضى على دولتها سنة ٥٣٩ق.م ومضى في حملته ففتح بلاد الشام وفلسطين، وسمح لمن أراد

من أسرى نبوخذنصر واليهود الموجودين في بابل بالرجوع الى القدس وأعاد اليهم كنوز الهيكل وسمح لهم باعادة بنائه وعيّن زربابل حاكماً عليهم. سفر عزرا اصحاح ٦: ٣-٧ واصحاح ١: ٧-١١.

وبدأ الحاكم اليهودي التابع لكورش ببناء الهيكل ولكن الأقوام المجاورة توجست من ذلك واشتكت الى قمبيز خليفة كورش فأمر بايقاف البناء، ثمّ سمح لهم دارا الأول فأتمّوا بناءه سنة ٥١٥ ق.م - سفر عزرا، اصحاح ٦: ١-١٥.

واستمرّت السيطرة الفارسية على اليهود من سنة ٥٣٩ ق.م -٣٣١ ق.م حكم فيها كورش، وقمبيز، وداريوس الأول (دارا)، واحشوريوش، وأرتحشستا المعاصر لعزير عليه السلام، وحكم بعده عدة ملوك منهم داريوس الثاني وأرتحشستا الثاني، والثالث، وكان آخر ملوكهم داريوس الثالث الذي قضى عليه الإسكندر اليوناني. وأكثر هؤلاء الملوك ورد ذكرهم في التوراة الموجودة.

عهد السيطرة اليونانية

زحف الاسكندر المقدوني على مصر و بلاد الشام وفلسطين ففتحها وهزم الحاميات الفارسية والقوى المحلية التي وقفت في وجهه ودخل القدس وأخضعها فيما أخضع، ثمّ قضى على داريوس الثالث وجيشه في معركة أربيل الحاسمة بشمال العراق، وتابع زحفه فاحتلّ ايران وغيرها .. ودخل اليهود بذلك تحت السيطرة اليونانية سنة ٣٣١ ق.م.

وقد تنازع قادة جيش الاسكندر بعد وفاته على امبراطوريّته الكبيرة،

وبعد صراع دام عشرين سنة سيطر البطالسة في مصر (نسبة الى بطليموس) على أكثر أجزاء الدولة، والسلوقيّون في سوريا (نسبة الى سلوقس) على أجزاء أخرى، ودخلت القدس تحت سيطرة البطالسة في سنة ٣١٢ق.م حتى انتزعها منهم انطيوخوس الثالث السلوقي سنة ١٩٨ق.م ثم غلب عليها البطالسة مرة أخرى حتى الفتح الروماني سنة ٦٤ق.م.

وقد ذكرت التوراة الموجودة ستة من البطالسة باسم بطليموس الأول والثاني.. الخ. وأن الأول منهم دخل أورشليم يوم السبت وسبى عدداً من اليهود الى مصر ـ سفر دانيال، اصحاح ١١: ٥.

كما ذكرت خمسة من السلوقيين باسم انطيوخوس الأول والثاني.. الخ. وأن الرابع منهم ـ ١٧٥ق.م ـ ١٦٣ق.م زحف على القدس ونهب جميع النفائس من المعبد، وبعد سنتين ضربها ضربة عظيمة ونهبها وهدم بيوتها وأسوارها وسبى نساءها وأطفالها ونصب تمثالاً لألهة زفس في الهيكل وأمر اليهود بعبادته فاستجاب له كثير منهم ولجأ بعضهم الى المخابىء والمغاور فكان ذلك سبب ثورة اليهود المكابيين سنة ١٦٨ق.م ـ سفر المكابيين، اصحاح ١: ٤١ ـ ٥٣.

وهذه الثورة التي يفتخر بها اليهود كثيراً أشبه بحرب عصابات ضد اليونانيين حققت انتصارات محدودة في فترات مختلفة، واستمرّت حتى السيطرة الرومانية.

عهد السيطرة الرومانية

في سنة ٦٤ق.م احتلّ القائد الروماني بومبي سورية وضمّها الى امبراطورية روما، وفي السنة الثانية احتلّ القدس وجعلها تابعة لحاكم سوريا الروماني.

وفي سنة ٣٩ق.م عين القيصر أغسطس هيرودس الأدومي ملكاً على اليهود وقدبدأ ببناء الهيكل بناء جديداً واسعاً مزيّناً وتوفي سنة ٤ق.م وقدذكره انجيل متي ص٢.

كما ذكرت الأناجيل ابنه هيرودس الثاني الذي حكم من سنة ٤ق.م الى سنة ٣٩م. والذي ولد في زمانه المسيح عليه السلام، والذي قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وأهدى رأسه على طبق من ذهب الى سالومه احدى بغايا بني اسرائيل (انجيل مرقس ٦:١٦ -٢٨).

وتذكر الأناجيل والمؤرخون الاضطرابات التي وقعت في القدس وفلسطين على عهد نيرون ٥٤م -٦٨م والتي كانت بين اليهود والرومان وبين اليهود أنفسهم فقام القيصر فسبسيان بتعيين ابنه تيطس سنة ٧٠م ملكاً على المنطقة، وقام تيطس بحملة على القدس فتحصن فيها اليهود حتى نفدت مؤنهم وضعفوا واخترق تيطس السور واحتلّ المدينة وقتل الألوف من اليهود ودمّر بيوتهم ودمّر الهيكل وأحرقه وأزاله من الوجود تماماً بحيث لم يعد يهتد الناس الى موضعه، وساق الأحياء الباقين الى روما.

و يذكر المسعودي في التنبيه والاشراف ص ١١٠ على مانقل عنه الدكتور سوسه أن عدد القتلى في هذه الحملة بلغ من اليهود والمسيحيين ثلا ثة آلاف ألف -ثلا ثة ملايين-.

وقد اشتدت قبضة الرومان على اليهود بعد هذه الحوادث، ثمَّ بلغت ذروتها عندما تبنى قسطنطين ومن بعده من القياصرة الديانة المسيحية فنكّلوا باليهود، ولهذا استبشر اليهود بغزو كسرى ابرويز لبلاد الشام وفلسطين وانتصاره على الروم سنة ٦٢٠م وفرح بذلك اخوانهم يهود الحجاز واستفتحوا على المسلمين فنزل قوله تعالى «أ.ل.م. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم». ١ -٥- الروم و يذكر المؤرخون أن اليهود اشتروا من الفرس عند انتصارهم عدداً كبيراً من الأسرى النصارى بلغ تسعين ألفاً وذبحوهم.

وعندما انتصر هرقل بعد بضع سنين نكّل باليهود وطرد من بقي في القدس منهم وأصبحت القدس عند النصارى محرمّة على اليهود، ولذلك اشترطوا على الخليفة عمربن الخطاب أن لايسكن اليهود فيها فأجابهم الى طلبهم وكتب ذلك في عهد الصلح لهم كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه ج ٣ ص ١٠٥ وكان ذلك في سنة ٦٣٨م، سنة ١٧ هجرية حيث أصبحت القدس وفلسطين جزءاً من الدولة الاسلامية الى سنة ١٩٢٥م عندما سقطت الخلافة العثمانية بأيدي الغربيين.

*

٢ـ العقوبات الموعودة لبني اسرائيل

مضافاً الى الوعد الإلهي لبني اسرائيل بالافساد مرتين والعقوبة عليهما يوجد في القرآن الكريم وعدان آخران لهم بالعقوبة. أحدهما في سورة الأعراف وهو وعد بالتسليط عليهم. والثاني في سورة المائدة وهو وعد بإحباط فتنهم ومخطّطاتهم العسكرية. ولكل من هذه الوعود الثلاثة مقوماته الخاصة، وهي تكمل بعضها بعضاً، وتشكّل بمجموعها تفسيراً يستوعب حياة اليهود في تاريخهم ومستقبلهم. و يناسب بحثنا أن نقدّم الوعدين الثاني والثالث.

الوعد الثاني

وهو في قوله تعالى: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ. إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً، مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ، وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» ١٦٧ ـ١٦٨ـ الأعراف..

ممّانلاحظ في هذا الوعد:

١ـ أنه أستعمل له كلمة «تأذّن» التي هي بمعنى نادى معلناً. ولم تستعمل تأذن في القرآن إلاّ في هذا الموضع وفي موضع آخر عن بني اسرائيل أيضاً يتقابل فيه التهديد والترغيب: «وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ

آذْكُرُوا نِعْمَةَ آللَّهِ عَلَيْكُمْ إذ أَنجَاكُمْ مِن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُم وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذٰلِكُمْ بَلاءٌ مِن رَبِّكُمْ عَظِيمٌ. وَإذ تَأَذَّنَ رَبُّكُم لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُم، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ. وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي آلأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ آللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ» ٦ ـ٨ ابراهيم. وسوف ترى أن العديد من ألفاظ وتراكيب الوعود الثلاثة لايستعملها القرآن إلاَّ في اليهود خاصة أو في حالات خاصة جداً تشبه (الحالة اليهودية) ممّايلفت النظر الى مجال جديد في منهج التعبير القرآني.

٢ـ استعمل في الوعد مصطلح «يسومهم سوء العذاب» الذي لم يستعمل إلاَّ وصفاً لمعاملة فرعون لبني اسرائيل، ممّا يفهم من نوع العقوبة الضرورية لبني اسرائيل «سوء العذاب» وكذلك كانت سيطرة العموريين والآراميين والآشوريين والمصريين والبابليين واليونان والرومان وغيرهم. وكان أخفّها عقوبة الفرس المجوس والمسلمين.

٣ـ الظاهر أن هذا الوعد يشمل مرحلة انحرافهم بعد موسى عليه السلام، بقرينة مجيئه في سياق عقوبة أهل القرية الذين اعتدوا في السبت، وتعقيبه بقوله تعالى «وقطّعناهم في الأرض أُمماً» وبقرينة التأذن المشابه له على لسان موسى عليه السلام «وإذ تأذّن ربُّكم لئن شكرتم ..» فيكون تسلط الأقوام المتقدمة تصديقاً لهذا الوعد.

٤ـ من الواضح أن تصديق الوعد الإلهي بتسليط أقوام على اليهود مدى حياتهم الى يوم القيامة .. أمر عرفي بحيث يصدق عليهم أن مجموع تاريخهم عرفاً تحت سيطرة الآخرين. واذا استعرضنا تاريخ اليهود من زمن موسى عليه السلام الى يومنا هذا واستثنينا منه فترات حكم الأنبياء

موسى و يوشع وداود وسليمان عليهم السلام الخارجة بطبيعتها نجد أن تسلّط الأقوام المذكورين يستغرق كل تاريخ اليهود الى زمن النبي (ص) حيث انتصر عليهم المسلمون وانتقلت اليهم السيطرة عليهم من الرومان.

لكن يرد اشكال على فترة السيطرة الاسلامية عليهم خلال الثلاثة عشر قرناً حيث لاينطبق على المسلمين أنّهم كانوا يسومونهم سوء العذاب فالجاليات اليهودية في بلاد المسلمين لم تلاق سوء العذاب الموعود به الى يوم القيامة إلاَّ في صدر الاسلام حيث قتلوا منهم وسبوا وصادروا أموالهم.

والجواب أنَّ «يسومهم سوء العذاب» لا تعني استمرارية عملية القتل والسبي والسجن بل تعني اخضاعهم عسكرياً وسياسياً لسيطرة من يبعث عليهم، وهذا لايتنافى مع اعطائهم حرّيات وحقوقاً ضمن اطار الخضوع لمن يحكمهم،.. وقدعاشوا القرون الطويلة تحت حكم الأقوام المتقدمين وكانوا لايتعرضون للقتل إلاَّ في فترة السيطرة الأولى أو عندما يبدر منهم عمل عسكري أو سياسي مضاد.. وكما يصحّ وصف هؤلاء الأقوام بأن بُعثوا على اليهود وساموهم سوء العذاب فكذلك يصحّ وصف المسلمين وان كانوا أقل منهم سوماً للعذاب. وقدورد عن الامام محمد الباقر عليه السلام تطبيق آية من يسومهم سوء العذاب على أمة محمد (ص) ونقل صاحب مجمع البيان أن عليه اجماع المفسّرين.

ولكن يبقى الإشكال بالنسبة الى الأوربيين والأمريكيين والروس، فان الجاليات اليهودية الموجودة في بلادهم أو في بلاد المسلمين بعد تسلطهم علينا من مطلع هذا القرن لم تلاق منهم سوء العذاب باستثناء

مافعله هتلر بيهود ألمانيا.

لقد مضى على اليهود قرن تقريباً أو نصف قرن على الأقل ولايوجد تطبيق لهذا الوعد الإلٰهي وهذا مالانظير له في كلّ تاريخهم باستثناء حكم الأنبياء عليهم السلام.

والجواب: أن هذه الفترة من حياة اليهود خارجة عن الوعد الإلٰهي المذكور لأن هذا الوعد مخصص بالوعد الأول بالافساد مرّتين والعلو لأن ذلك يقتضي أن يوجد لهم امكانات ومدة زمنية كافية لتحقيق العلو.

لهذا لابدَّ أن نستثني من وعد «ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة» الفترة التي يقتضيها الوعد الإلٰهي الآخر تخلو حياتهم فيها من السيطرة الخارجية و يكونون في مرحلة العلو، كما هو حالهم اليوم.

الوعد الثالث

في قوله تعالى: «وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا، بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ. وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً.. وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ. كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللّهُ. وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً.. وَاللّهُ لايُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» ٦٤ ـ المائدة.

وممّا نلاحظ في هذا الوعد:

١ـ أنه يركّز على احباط مخططاتهم العسكرية سواء كانوا فيها طرفاً مباشراً أو غير مباشر، فكلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله تعالى وهو وعد شامل بإطفاء نارهم سواء كانوا طرفها المباشر أو قدوها بتحريك الآخرين أو بالأسلوبين جميعاً.

٢ـ لم يستعمل القرآن الكريم تعبير «أوقدوا ناراً للحرب» إلاّ في هذا الموضع ! وهذا التشبيه لا ثارة الحرب بايقاد النار، الذي يتضمّن تشبيه الحرب بالنار، والذي يعالج بالإطفاء باستمرار يدلّ على أن عملية اشعال الحرب أصبحت طبيعة في اليهود وأن الحدود التي يمكن أن يصلوا اليها هي اعداد مقدمات الحرب والبدء باضرامها، فاذا أصبحت ناراً متقدة حصل التدخل الإلٰهي لاطفائها.

٣ـ زمن هذا الوعد قد يشمل تاريخ اليهود قبل الاسلام، ولكن المؤكد شموله لمرحلة مابعد الاسلام بقرينة أنّه وعد نزل على رسول الله (ص) وأن مضمون الآية وسياقها ومابعدها تنديد بموقفهم المعادي للاسلام وأنهم سيزدادون له عداء «وليزيدنّ كثيراً منهم ماأنزل اليك من ربّك طغياناً وكفراً».

جاء الوعد الأول بصيغة التحديد «لتفسدنّ في الأرض مرتين» والوعد الثاني بصيغة الاطلاق القابل للتقييد المتصل والمنفصل «ليبعثن عليهم من يسومهم» أمّا الوعد الثالث فقد إستعملت فيه أداة التعميم (كلما) لأنّه وعد شامل لكل حالات إيقاد الحرب ولاتخصيص فيه.

كما أن الوعد الأول، جاء بصيغة القضاء والحكم «وقضينا الى بني اسرائيل» وجاء الثاني بصيغة الإعلان الإلٰهي «وإذ تأذنّ ربك» أمّا الوعد الثالث فجاء بصيغة الفعل الإلٰهي المباشر متناسباً مع موضوعه اطفاء نار الحرب والأخذ على يد موقديها.

٥ـ نجد تطبيق هذا الوعد الإلٰهي في عدد من الحروب في تاريخ المسلمين البعيد والقريب التي عمل اليهود لاشعالها ضد المسلمين.

وقدشرعوا في بعضها بمقدمات الحطب والكبريت، ووصلوا في بعضها الى مرحلة الايقاد.. وأطفأها الله تعالى.. ومايدخل في غرضنا هو ايقادهم الفعلي لنار الحرب التي هم طرف مباشر فيها في فلسطين وطرف غير مباشر في العديد من بلاد المسلمين، وقدوصلوا في كثير منها الى درجة الايقاد، ولم يبق إلاَّ أن يتحقّق الوعد الإلٰهي باطفائها.

*

الوعد الأول

آيات الوعد

«سُبحانَ الّذي أسرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إلىٰ الْمَسْجِدِ الأقْصىٰ الّذي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إنّهُ هُوَ السّميعُ الْبَصيرُ* وَآتَيْنا موسىٰ الْكِتابَ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَني إسْرائِيلَ ألاَّ تَتَّخِذُوامِنْ دُوني وَكِيلاً* ذُرِّيّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إنّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً* وَقَضَيْنا إلىٰ بَني إسْرائِيلَ في الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ في الأرْضِ مَرّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبيراً* فَإذا جاءَ وَعْدُ أُولٰهُما بَعَثْنا عَلَيكُمْ عِباداً لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً* ثُمّ رَدَدْنا لَكُمْ الْكَرّةَ عَلَيْهِمْ وَأمْدَدْناكُمْ بِأمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفيراً* إنْ أحْسَنْتُمْ أحْسَنْتُمْ لأنْفُسِكُمْ وَإنْ أسأتُم فَلَها فَإذا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أوّلَ مَرّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً* عَسىٰ رَبُّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ وَإنْ عُدْتُم عُدْنا وَجَعَلْنا جَهَنّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً* إنَّ هٰذا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّتي هِيَ أقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنينَ الّذِين يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أنَّ لَهُمْ أجراً كَبِيراً*.

مناقشة رأي المفسّرين

يـرد على رأي المـفـسـرين القائل بأن الافسادين قدمضيا والعقوبتين عليها قدوقعتا عدة اشكالات أساسية، منها:

١ـ أنّه يـلـزم على هـذا الـقـول أن يكون الافساد والعلو الاسرائيلي قد مـضـيـا. أما الافسـاد فمليء بـه تـاريخهم، وأمّا العلو فماأدري أين وجده المفسرون في تاريخ اليهود؟

إنّ الـعـلـو يختـلـف في استعماله في العربية عن الافساد، والتكبّر. فـالافـسـاد كما يكون على نطاق واسع يكون على نطاق ضيق. قال تعالى عـن فـرعـون «إنّه كان من المفسدين» ٤ـ القصص. وقال عمن يسيء إدارة الـيـتـامـى «ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير، وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين، والله يعلم المفسد من المصلح» ٢٢٠ ـ البقرة.

وقـال عـن نقص المكيال والميزان: «وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين» ٨٥ ـ هود.

وقال عن السحرة: «فلمّا ألقوا قال موسى إنّ ماجئتم به السحر انّ الله سيبطله انّ الله لايصلح عمل المفسدين» ٨١ ـ يونس.

وعلى هـذا فان وصف اليهود بالمفسدين في الأرض يتحقق بافسادهم فـيـمـابينهم، كما يتحقق بافسادهم لغيرهم بأي شكل من أشكال التأثير الثقافي والسياسي، ولايتوقّف على سيطرتهم على غيرهم. ولذلك قال تعالى

عنهم «ويسعون في الأرض فساداً» ٦٤ ـ المائدة.

وأمّا التكبّر فيستعمل صفة لحالة في النفس قال تعالى «إنْ في صدورهم إلاّ كِبْرٌ ماهم ببالغيه» ٥٦ ـ غافر.

كما يستعمل صفة للتكبّر عن شيء قال تعالى «والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها» ٣٦ ـ الأعراف. وقال «فاهبطْ منها فمايكون لك أن تتكبَّر فيها» ١٣ ـ الأعراف. وقال «واذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها» ٧ ـ لقمان.

كما يستعمل في الاستكبار على الناس، قال تعالى «وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا» ٣٦ ـ الأعراف.

وعلى هذا فان وصف اليهود بالاستكبار يتحقق بوجود حالة الكبر في صدورهم، و باستكبارهم على آيات الله تعالى، و باستكبار بعضهم على بعض، و يتحقق بمجرد طلب التكبر على الآخرين ولايتوقف على سيطرتهم على الآخرين.

أمّا العلو فلايستعمل صفة لحالة في النفس فلايقال: علا فلان في نفسه، كما يقال تكبَّر في نفسه.

ولايستعمل صفة للتكبر عن شيء فلايقال: علا أو استعلى عن أمر ربّه كما يقال استكبر عن أمر ربّه، بل يقال علا على ربّه. ولذلك جاءا متقابلين في قوله تعالى «أستكبرت، أم كنتَ من العالين» ٧٥ ـ ص.

بل يستعمل العلو في مجالين لم أجد لهما ثالثاً. أحدهما العلو المكاني مثل: علا ظهر فرسه، وعلا السطح والجبل.. الخ. والأصل فيه أن يكون متعدياً ولايحتاج الى حرف جرّ.

وثانيهما: العلو المعنوي الشبيه بالتكبّر، ولايجيء إلاّ في العلو على العاقل، والأصل فيه أن يتعدّى بعلى. وقد استعمل في القرآن الكريم هو ومشتقاته (علا، علواً، استعلى، تعلوا، عال، عالياً، عالين، الأعلى، الأعلون) بهذا المعنى ولم يستعمل في غيره.

ومنشأ هذا الفرق أن التكبر صفة لحالة نفسية تستلزم فعلاً، و يكون طرفها المتكبر عليه شيئاً أو عاقلاً. بينما العلو صفة لعمل يستلزم صفة نفسية ولايكون طرفه إلاّ عاقلاً، فهو لايتحقق إلاّ بعمل العلو على الآخرين كما لايتحقق البغي إلاّ بعمل الظلم للآخرين.

وعلى هذا فوصف اليهود بالعلو الكبير يتوقّف على سيطرتهم على غيرهم من الأمم وممارسة العلو عليهم، وهذا لم يتحقق في تاريخهم. إنَّ فرعون علا في الأرض، وقومه كانوا عالين أيضاً كما وصفهم الله تعالى لأنَّهم مارسوا العلو على الآخرين. أمّا اليهود فلم يعلوا علواً كبيراً إلاّ في عصرنا الحاضر. واذا لم يتحقق منهم العلو في الماضي فكيف تقع عقوبته!

قد يقال: نعم كان اليهود في تاريخهم تحت سيطرة من يسومهم سوء العذاب ولكن مرّت عليهم فترات في غير عهود الأنبياء عليهم السلام سيطروا فيها على بعض الأقوام القريبين منهم وعلوا عليهم.

ولكن لو سلّمنا ذلك، فهو علو صغير، وليس العلو الكبير الذي أخبرت به الآيات. وأمّا فترات حكم الأنبياء عليهم السلام فلا يمكن من وجهة نظر اسلامية أو تاريخية أن نعتبرها علواً واستكباراً حيث لم يصدر ذلك منهم عليهم السلام ولاسمحوا به لليهود في حياتهم.

وقد يقال: اذا لم يعلُ اليهود في تاريخهم على غيرهم، فقد علوا على

بعضهم علواً كبيراً، فيكون العلو تحقق منهم.

والجواب: أن المقصود بالعلو الكبير في الآيات الشريفة هو العلو على غيرهم من الأمم وليس على بعضهم، يدلّ عليه سياق الآيات، ومايأتي في معنى رددنا لكم الكرة عليهم.

٢- في الآيات الكريمة صفتان لحالة الافساد الثاني لم تتحققا في كل تاريخ بني اسرائيل إلاَّ في عصرنا وهما «ثمَّ رددنا لكُم الكرَّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً» فلاتجد في تاريخهم أنهم ردت لهم الكرة على أحد ممَّن سيطر عليهم إلاَّ على المسلمين في عصرنا الحاضر، فلم تردّ لهم الكرة لاعلى الفراعنة ولاعلى الآشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان ولاعلى الأقوام الصغيرة الأخرى التي أخذت بسهمها في سومهم سوء العذاب.

وكذلك لم يكونوا في يوم من الأيام أكثر نفيراً من أعدائهم أي أكثر أنصاراً، لأن النفير في اللغة كما يذكر الزبيدي في شرح القاموس جمع نفر وهم الذين تستطيع أن تحركهم اذا أهمك أمر فينفرون بالأمر معك.

ومالم تتحقق صفة ردّ الكرة وزيادة النفير لاتحقق العقوبة الموعودة على أثرها.

كما تدلّ الآيات على وجود فرق بين شكل العقوبة الأولى والثانية، فهي تشعر بسهولة التغلّب عليهم في المرة الأولى «فجاسوا خلال الديار» وبعنف المقاومة اليهودية في الثانية «ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد» ولاينطبق ذلك على عقوبتي نبوخذنصر وتيطس اللتين تتشابهان في حصار القدس والدخول بعد معركة عنيفة.

٣ـ انَّ الذين سيطروا على اليهود ودخلوا المسجد ونهبوه أقوام عديدون قد يبلغون من شيشق المصري الى تيطس الروماني أكثر من عشرة أقوام وقد ذكرنا في الخلاصة المتقدمة احتلال المسجد سبع مرات من قبل شيشق والفلسطينيين و يوآش، وسنحاريب، ونبوخذنصر مرّتين، و بطليموس، وانطيوخِوس، وتيطس، وهرقل.

وقد جاس العديد منهم خلال الديار، وساؤوا وجوه اليهود، ودخلوا المسجد ونهبوا خزائنه، وخربوه.. فما هو الوجه في تخصيص نبوخذنصر البابلي وتيطس الروماني؟ انَّ زيادة هذين القائدين على غيرهم بحرق المسجد وازالته لايصحح تطبيق الآيات عليهما دون غيرهما.

تفسير الآيات

ممَّا يلفت النظر أن القرآن الكريم استعمل في هذه الآيات عدة ألفاظ وتراكيب لم يستعملها في غيرها أبداً، أو استعملها في شأن اليهود فقط، أو في حالات قليلة خاصة تشبه (الحالة اليهودية) وقد أشرنا الى احتمال أن يكون وراء ذلك أمر جديد في «منهج التعبير القرآني» وهو اختصاص الموضوع القرآني بعدد من الألفاظ والتراكيب لا تستعمل في غيره، فيكون هذا جانباً جديداً من اعجاز القرآن من جهة، ومن جهة أخرى دليلاً يكشف الوحدة الموضوعية بين أمور لم تكن تبدو موحدة لولا العناصر المشتركة التي تدلّ عليها الألفاظ والتراكيب المشتركة بينها.

على أي حال فان القرآن الكريم يعتبر بني اسرائيل حالة خاصة من التعقيد في شخصية الأمم و يتحدّث عن (الحالة الاسرائيلية) بألفاظ

وتعابير خاصة لايستعملها في حالة أخرى.

«وقضينا» بمعنى حكمنا بما سيكون لهم، من نوع القضاء على قوم لوط في قوله تعالى «وقضينا اليه ذلك الأمر، أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين» ٦٦ ـالحجر، وقدوردت صيغة قضينا في القرآن في موردين آخرين هما قضاء النبوة لموسى عليه السلام «إذ قضينا الى موسى الأمر» ٤٤ ـالقصص، وقضاء الموت على سليمان عليه السلام «فلمّا قضينا عليه الموت» ١٤ ـسبأ.

والتعبير بالقضاء الإلٰهي عن هذا الوعد يدلّ فيما يدلّ على حتميته، واذا قضى أمراً فانّما يقول له كن فيكون، و يشعر بشموله لمجموع مستقبل اليهود بعد هذا القضاء.

«الى بني اسرائيل» اسرائيل بمعنى عبدالله وهي لقب ليعقوب عليه السلام، وهي مركّبة من (اسرا) بمعنى عبد و(ايل) بمعنى الله تعالى ـالبحارج ١٢ ص ٢٦٥.

و(يهود) فعل مضارع من (هاد) بمعنى تاب، ولايبعد أن تكون من أصل بابلي وأنّها لفظة مشتركة بين العربية والعبريّة. وقدقالها موسى عليه السلام في استغفاره لنفسه وأخيه عندما عبد قومه العجل، وتَسمَّى بها اليهود عندما تابوا عن العجل. «قال: ربّ اغفرلي ولأخي.. الى قوله: إنّا هُدْنا إليك» ١٥٦ ـالأعراف.

ومن دقة القرآن المجيد الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه أنّه لم‌يُعْطِ هذا الاسم صفة الشرعية ولم‌يستعمل كلمة اليهود التي تعني التائبين إلاّ حكاية عن لسانهم وفي مقام ذمهم، فقدوردت كلمة (يهود) في القرآن ثماني مرات، و(هوداً) ثلاث مرات، و(يهودياً) مرة، وكلها في

مقام الذم وكلها مقترنة مع النصارى ! إلاَّ في آية الوعد بإطفاء نارهم «كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» !!

وقد استعمل تعبير «الذين هادوا» عشر مرات في حالات مختلفة، فأعطى توبتهم عن العجل صفة الشرعية، ولكنه لم يعط اسم التائبين لهم الشرعية لأنَّهم عادوا الى انحرافهم وكفرهم.

فاليهود ومشتقاتها في القرآن إذن اسم يستعمل لأغراض خاصة، أمّا الاسم الرسمي لهم فهو (بنو اسرائيل) الذي ورد في القرآن الكريم احدى وأربعين مرة حيث لايكون موجب لاستعمال كلمة اليهود أو الذين هادوا، والذين أوتوا الكتاب، وأهل الكتاب.

وفي ظنّي أن هذا الأسلوب في تسميتهم ملتزم به أيضاً في أحاديث النبي (ص) والأئمة عليهم السلام. مع أنَّه لامانع من تسميتهم به من قبل النبي (ص) والمسلمين باعتباره إسماً مشهوراً بعد أن سجّل الله تعالى عليه التحفظ في القرآن الكريم.

«في الكتاب» أي في التوراة، فقداستعمل القرآن الكريم كلمة الكتاب بمعنى التوراة والأنجيل مرات عديدة «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب» ١٦٩ -الأعراف، وجعل (أهل الكتاب) مصطلحاً لليهود والنصارى ومعهم المجوس. فاطلاق كلمة الكتاب في الآية بقرينة الحديث عن بني اسرائيل تدلّ على التوراة فكيف اذا جاء قبلها قوله تعالى: «وآتينا موسى الكتاب» وبهذا يتبيّن ضعف تفسير الكتاب باللوح المحفوظ. وبهذا يكون ابتداء الوعد من عهد موسى عليه السلام. ونلاحظ في التوراة الموجودة أثراً لهذا الوعد، ولكن نلاحظ أكثر منه عقدة العقوبة الإلٰهية، فبدل أن

يستفيدوا من التهديد الإلٰهي بالعقوبة حولوه الى عقدة في شخصيتهم وثقافتهم سواء في تفسيرهم لسبب العقوبة أو في التصرّف تجاه العقوبة.

وهذا هو السبب في أن ذعرهم وخوفهم الذي نشاهده يختلف عن خوف الغربيين لأنّه ممزوج بهذه العقدة التاريخية «عقدة انتظار العقاب الإلٰهي».

«لتفسدنَّ في الأرض مرّتين» «والافساد خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ، و يضاده الصلاح، و يستعمل ذلك في النفس والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة» -المفردات للراغب الإصفهاني، ولكن القرآن الكريم لم يستعمل الفساد والإفساد إلاّ بالمعنى الاجتماعي السياسي، وجعل منه مصطلح (الافساد في الأرض) فاستعمله ثماني وعشرين مرة في أنواع متعددة من الفساد والافساد، منها ماهو على نطاق واسع كافساد الملوك والحكام، ومنها ماهو على نطاق ضيق كنقص المكيال والميزان، واساءة ادارة اليتامى، والسرقة، والسحر.

ومنها ماهو عمل من نوع التعديّ على الناس وظلمهم وصدّهم عن سبيل الله ٨٦ -الأعراف و٨٨ النحل.

ومنها التكذيب بآيات الله تعالى ٤٠ -يونس و١٠٣ -الأعراف.

ومنها تنازل المسلمين عن الموقف السياسي الواحد تجاه الكفار «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، الاّتفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» ٧٣ -الأنفال.. فكلّ هذه الأنواع من الفساد والافساد توجب خروج المجتمع عن الاعتدال والاستقامة بمفهوم القرآن لهما.

وعلى هذا فان العديد من مواد (الافساد في الأرض) الواردة في القرآن تنطبق على اليهود في زمن موسى عليه السلام و بعده، ولكن المهم هنا تحديد المرتين الموعودتين، فلابدَّ من شيء يصلح لتقسيم تاريخ اليهود الى مرحلتين، مرحلة الافساد الأول ومرحلة الافساد الثاني، ولابدَّ أن يكون هذا الشيء حدثاً قام به اليهود أو أثر على حياتهم ؟

وقد حاول بعض المفسرين أن يجدوا هذا الحدث من فعل اليهود أنفسهم ولكنهم عجزوا عن تقسيم جرائمهم الى مرحلتين متميزتين لكثرتها واستمرارها ! سواء منها قتل الأنبياء أو الرجوع الى عبادة الأصنام أو ظلم بعضهم لبعض.. الخ. ولذلك اتّجه أكثر المفسّرين الى البحث عن هذا الحدث من فعل غيرهم واعتمد الرأي السائد عندهم على تحديد الافسادين بتحديد العقوبتين الموعودتين عليهما.. وهو اتّجاه صحيح بقطع النظر عن النتيجة التي وصلوا اليها، فان تقسيم حياة اليهود المعقدة المليئة بالافساد الى مرحلتين أمر غير ممكن.

«وَلَتَعْلُنَّ علواً كبيراً» تقدّم أن العلو هو الاستكبار والسيطرة على الآخرين، وقد تحدّث القرآن الكريم عن العديد من الطغاة ووصفهم بصفات عديدة ولكنّه لم يصف أحداً بالعلو سوى فرعون وملئه و.. بني اسرائيل في هذا الوعد! قال تعالى «إنَّ فرعون وملأه استكبروا في الأرض وكانوا قوماً عالين» ٤٦ ـ المؤمنون، «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً» ١٤ـ النمل. ووصف فرعون في عدة آيات أخرى بالعلو ولكن لم يصف علوه وعلو قومه بأنّه كبير بينما وصف علو بني اسرائيل الموعود بأنّه كبير! وهذا الوصف لاينطبق على شيء من تاريخ بني اسرائيل إلاَّ في عصرنا

الحاضر حيث بلغ فراعنة المال والسياسة اليهود من السيطرة والعلو على المسلمين وشعوب العالم مالم يبلغه فرعون مصر وملؤه.

وممَّا يلاحظ على المفسّرين أنَّهم عمّموا الوعد بالافساد مرتين الى الوعد بالعلو تأثراً بعطفه على الافساد، مع أنَّه لامبرر له، لأنَّه مثل قولك لشخص: سوف تسافر مرتين، وتربح ثروة كبيرة، أو قولك: سوف تشعل الفتنة في هذا البلد مرتين، ثم تسيطر عليه سيطرة قوية. فكما أن وصف المرتين مخصوص باشعال الفتنة ولايشمل التسلط، فكذلك هو مخصوص بالافساد في الأرض ولايشمل العلو الكبير، بل يبقى العلو على ظهوره في عدم التعدد.

وتدلّ الآيات الشريفة على أن هذا العلو الموعود يكون مقارناً للافساد الثاني أو على أثره، بدليل أن تتبيره ورد في وصف العقوبة الثانية ولم يرد في وصف العقوبة الأولى، كما سوف يتّضح.

«فاذا جاء وعد أُولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد»

يذكر المفسرون أنَّه لا توجد في الآيات دلالة تحدد هؤلاء القوم الذين وعد الله بتسليطهم على اليهود، وأن الصفات المذكورة في الآيات لا تدلّ على تعيينهم ولاحتى على أنَّهم أمة واحدة في العقوبة الأولى والثانية.

وبما أن هذه الصفات التسع المنصوص عليها في الآيات متداخلة مع صفات الافسادين وصفات العقوبتين، فسننظر فيها حسب تسلسل الآيات.

«بعثنا عليكم» تستعمل مادة بعث في القرآن الكريم في بعث الله للمؤمنين وغيرهم، قال تعالى: «هو الذي بعث في الأميين رسولاً» ٢ ـ الجمعة

وقال: «ليبعثنّ عليهم من يسومهم سوء العذاب» ١٦٧ ـ الأعراف، وقد بعث عليهم فيمن بعث الوثنيين، وقال تعالى: «فبعث الله غراباً يبحث في الأرض» ٦٥ ـ الأنعام. وبهذه النظرة حكم المفسّرون بأن قوله تعالى: «بعثنا عليكم» لايدلّ على أنَّ المبعوثين مؤمنون ليكونوا المسلمين. ولكن بنظرة أعمق في استعمال القرآن لمادة «بعث» ومشتقّاتها نلاحظ أولاً أنَّ المادة لا تستعمل في القرآن إلاَّ في بعث الآخرة ومايشابهه و بعث الأنبياء ومايشابهه، ولانطيل في ذلك. ونلاحظ ثانياً أن فعل الماضي المجرد (بعث) استعمل سبع مرات، خمس منها للأنبياء عليهم السلام وواحدة لبعث طالوت وواحدة لبعث الغراب. وأن الماضي المتصل بضمير المتكلّم (بعثنا) استعمل أيضاً سبع مرات خمسة منها للأنبياء عليه السلام وواحدة لنقباء بني اسرائيل «وبعثنا فيهم اثني عشر نقيباً». ١٣ ـ المائدة، وواحدة لمعاقبة بني اسرائيل «بعثنا عليهم».

انه لايصح أن نكتفي بملاحظة عامة لاستعمال جميع مشتقات المادة في القرآن الكريم فنحكم بعموم استعمالها، فكثيراً مايكون استعمال المادة عاماً واستعمال صيغة أو صيغ منها خاصاً، كما هو الحال في (بعثنا)، ممّا يشكّل على الأقل قرينة ضعيفة على ايمان المبعوثين تضمّ الى غيرها.

«عباداً لنا» وماتقدّم في (بعثنا) يرد هنا أيضاً، اذ لايكفي أن يكون استعمال كلمة (عبد) في القرآن عاماً للمسلمين وغيرهم، بل لابدَّ من ملاحظة عبد وعباد المضافة الى ضمير المتكلّم حيث نجد أن كلمة (عبدنا) استعملت في القرآن خمس مرات للأنبياء عليهم السلام فقط.

وكلمة (عبده) استعملت سبع مرات للأنبياء عليهم السلام فقط. وكلمة (عبادنا) استعملت اثني عشر مرة للأنبياء عليهم السلام والمؤمنين فقط! وأن صيغة (عباداً لنا) لم تستعمل الاّ في هذا الوعد! فاختصاص الصيغ المشابهة بالأنبياء والمؤمنين، وزيادة هذه الصيغة بلام الاضافة والنسبة الى الله تعالى (لنا) يجعل الصيغة دليلاً أو قرينة قويّة على أن المبعوثين من المؤمنين ومن نوعية خاصة منهم.

وممّا يقوي هذه القرينة ـ و يعطي القرينة المتقدمة شيئاً من القوة أيضاً ـ أنَّ الله تعالى استعمل مادة البعث في الوعدين لبني اسرائيل ولكن جعل الصيغة في وعد التسليط عليهم «ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب» وعبّر عن المبعوثين بـ«من» وقدعرفنا أن هؤلاء المبعوثين هم الوثنيون والمجوس والنصارى والمسلمون. بينما جعل الصيغة هنا «بعثنا» وهي صيغة استعملها للأنبياء والأوصياء فقط. وعبّر عن المبعوثين بـ«عباداً لنا» وهو تعبير فريد لم يستعمل مايشبهه في الاضافة اليه تعالى الاَّ في الأنبياء والمؤمنين. نعم ورد استعمال (عبادي) لغير المؤمنين أيضاً ولكنَّه استعمال يجيء دائماً في مقابل دعوى العبودية لغيره تعالى.

«أولي بأس شديد» أي أولي مكروه شديد ينزلونه بالعدو، فالبأس والبأساء بمعنى المكروه والشدة، و يستعملان في النكاية بالعدو كما في مفردات الراغب الإصفهاني. بينما (أولو قوة) تعني أولي وسائل حربية وجنود. فالقوة في مجال الحرب تعني المعاون من خارج نفسك كما ذكر الإصفهاني أيضاً. ولذلك وردا في القرآن معطوفين في قوله تعالى «قالوا نحن أولو قوةٍوأولو بأس شديد» ٣٣ ـ النمل أي: نحن أولو سلاح وجنودوأولومكروه

ننزله بالأعداء.

إن وصف الله تعالى لهؤلاء المبعوثين على اليهود بأولي بأس شديد دون أولي قوة له بعدان، الأول: أن الغرض الأساسي في وعد اليهود بالعقوبة هو بيان أن هؤلاء المبعوثين سينزلون المكروه الشديد بهم، وهويتناسب مع ذكر البأس. والثاني: أن عدم ذكر (قوة) هؤلاء المبعوثين التي نعني وسائل حربهم وكثرة جنودهم أمر مقصود لأنهم قدلايملكون هذه الكثرة ولايكونون أولي قوة كثيرة ومع ذلك فهم أولو بأس شديد. وهذا هو حال المسلمين عندما قضوا على إفساد اليهود الأول في صدر الاسلام، وهو حالهم عندما سيقضون عليهم و يتبرون علوهم الكبير باذن الله.

«فجاسوا خلال الديار» استعمل القرآن وللمرةالوحيدةهذا التعبير الذي هو في اللغة العربية كالمصطلح العسكري لدخول المقاتلين وهم يتتبعون بقايامقاتلي العدو. أي سيترددون بين بيوتكم لتتبع بقايا مقاتليكم. وهو أدق تعبير عن القضاء على القوة القتالية لليهود. وهو بالضبط مافعله المسلمون عندما بعثهم الله على اليهود في صدر الاسلام، فلم تقم لليهود بعدها أي قوة عسكرية خلال ثلاثة عشر قرناً حتى بدؤوا بعلوهم الكبير.

«وكان وعداً مفعولاً» لم يستعمل القرآن الكريم هذا التعبير إلاّ في هذا الموضع! واستعمل تعبيرين قريبين منه أولهما: في نفس سورة الاسراء وبعد قوله لبني اسرائيل «فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً» قال تعالى «قل آمنوا به أو لا تؤمنوا انّ الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجّداً. ويقولون سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولاً» ١٠٧-١٠٨ الاسراء.

وثانيهما في خطابه تعالى لمشركي قريش بعد تشبيههم بفرعون وذكر ماحلّ به «**فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً. السماء منفطر به كان وعده مفعولاً**» ١٧ -١٨ -المزمل.

أمّا قوله تعالى «**سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولاً**» فهو حكاية لقول العلماء في حق القرآن. فيبقى استعمالان من قبل الله تعالى لـ«الوعد المفعول» أحدهما انذار لفراعنة قريش بوعد اليوم الآخر الذي لايطاق! والثاني انذار لفراعنة اليهود بيوم المسلمين الذي لايطاق! وتفصيل الكلام في ذلك يخرجنا عن غرضنا.

«ثمَّ رددنا لكم الكرّة عليهم» أي: أعدنا لكم الغلبة عليهم. وهو تعبير كاف للحكم بوحدة القوم الذين يتحدّث الله تعالى عنهم في المرتين فلولم يكونوا هم نفس «عباداً لنا» المذكورين في الآية السابقة لقال: ثمّ رددنا لكم الكرَّة وأمددناكم بأموال و بنين، بدون كلمة عليهم. و يدلّ عليه أيضاً ضمائر فاعل العقوبة الثانية في «ليسؤوا، وليدخلوا، وليتبّروا» التي تعود الى «عباداً لنا». و يدلّ عليه قوله تعالى «كما دخلوه أوّل مرة» الذي ينصّ على وحدة الداخلين الى المسجد في المرتين. و يدلّ عليه دليل آخر غير لفظي هو أن الغلبة لم ترد لليهود على أحد ممّن سيطر عليهم طوال تاريخهم ماعدا المسلمين، فاذا لم نقل بوحدة القوم المبعوثين لم يصح القول بوقوع العقوبة الأولى فضلاً عن الثانية.

قد يقال: أن المتعارف في ردّ الغلبة لقوم على قوم أن يكون بينهم قتال. فمتى حدثت بين المسلمين واليهود معركة تحقق بها ردّ الغلبة لليهود؟
الجواب: أن قوله تعالى: «ثمَّ رددنا لكم الكرة عليهم» يدلّ على عودة

الغلبة لليهود على المسلمين ولا يحصر طريق ذلك بالمعركة، وهذا من اعجاز القرآن الكريم، فقد تحققت الغلبة لهم على المسلمين في مطلع هذا القرن بتحالفهم مع أعداء المسلمين المستعمرين، ثمَّ تأكدت من بعد في معاركهم مع المسلمين في فلسطين والمنطقة.

«وأمددناكم بأموال و بنين وجعلناكم أكثر نفيراً» وقد فسّر عزَّ وجلَّ هذا الإمداد في نفس السورة بأنَّه سنة الهية تشمل المؤمنين والكفار «كلاً نمدّ هؤلاد وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظوراً» ٢٠- الاسراء. وقال تعالى عن هذا الإمداد لأعدائه «أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون» ٥٥-٥٦- المؤمنون.

وتبين الآية مقومات افساد اليهود وعلوهم وهي:

أولاً: الأموال، بصيغة الجمع التي يصبح معناها العرفي أوسع من (مال) ودلالتها على الممتلكات غير النقدية أوضح.

ثانياً: البنين، أي العدد الذي يكفي لإدارة هذا المال والسعي للافساد به والعلو في الأرض. وهذه هي حالة الجاليات والشبكات اليهودية المنتشرة في العالم الغربي والعالم.

وثالثاً: النفير، وهم الانصار الذين يحرّكهم لوبي بني اسرائيل كلمّا لزم الأمر لمساعدتهم ونصرتهم. وأكثر مايحرّكون نفيرهم بواسطة أصدقائهم مجموعة الفراعنة المتحكّمين في ثروات الغرب وحكوماته، ثمَّ بواسطة شبكاتهم الاعلامية وشبكاتهم الافسادية.

وقد ذكرنا في مناقشة رأي المفسرين أن قوله تعالى «وجعلناكم أكثر نفيراً» يدلّ على أن المبعوثين عليهم في المرتين هم المسلمون لأن اليهود لم يمر

عليهم وقت طول تاريخهم تحققت لهم الغلبة وصاروا أكثر أنصاراً على أي قوم ممّن سيطر عليهم من الآشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان، وحتى على الأقوام المحيطة بهم كالآراميين والفلسطينيين والعموريين.. إلاّ المسلمين في عصرنا.

«إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها» لهذه الفقرة الاعتراضية التي لم ترد في موضع آخر من القرآن عدة دلالات: فهي من جهة تعبر عن العدل الإلٰهي والرحمة في إبقاء الباب مفتوحاً للتوبة أمام اليهود بعد إمدادهم بالأموال والبنين والانصار وأنهم سوف لا يستفيدون من هذه الفرصة الأخيرة وسيواصلون افسادهم في الأرض. ومن جهة أخرى تدلّ على وجود فترة إمهال في الفساد والعلو قبل مجيء العقوبة الثانية حيث جاءت فاصلاً مقصوداً قصداً بعد ذكر عودة غلبتهم على المسلمين وامدادهم بأموال و بنين وقبل الدخول في حديث العقوبة الثانية حتى ليشعر القارىء أول الأمر بالرغبة في طي هذه الجملة الاعتراضية، ولكنّها من عجائب التعبير القرآني، وكله عجيب!

«فاذا جاء وعد الآخرة» مقتضى المقابلة بين قوله تعالى «فاذا جاء وعد أولاهما» أن يقول: فاذا جاء وعد أخراهما، أو وعد الثانية، ولكنّه اختار لفظ الآخرة مع أنّها مصطلح قرآني عزيز استعمل بمعنى الحياة الآخرة في مئة واثني عشر موضعاً ولم يرد بمعنى آخر إلاّ في عقوبة بني اسرائيل، وفي الملة الآخرة حكاية عن قول الكفّار «ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق» ٧ - ص.

و يبدو أن سبب اختيار كلمة الآخرة هو أولاً: الايحاء بأن العقوبة

الثانية تشبه آخرة بني اسرائيل وقيامتهم بمايقع عليهم فيها من بأس وعذاب بما كسبت أيديهم. وثانياً: الايحاء بأن هذه المرة من الافساد هي الأخيرة التي لايكون من بعدها افساد من بني اسرائيل، وسيتّضح ذلك في معنى قوله تعالى «عسى ربّكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا».

«ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبّروا ماعلوا تتبيراً» عندما نقارن وصف العقوبة الثانية بوصف العقوبة الأولى في قوله تعالى «فاذا جاء وعد أولٰهما بعثنا عليكم... فجاسوا خلال الديار» نلاحظ بينهما عدة فروق منها:

أن جواب الشرط في الأولى مقرون بالفاء: فجاسوا. وفي الثانية مربوط بلام التعليل: ليسوءوا، وليدخلوا، وليتبّروا. وهذه الصيغة وان كانت صحيحة نحوياً لأن فعلي الشرط يمكن أن يكونا ماضيين أو مضارعين أو مختلفين، والجواب منهما يمكن أن يكون مربوطاً بالفاء أو باللام.. الخ. ولكنَّها صيغة قليلة الاستعمال في اللغة العربية فهي مختارة بعناية لوصف هذه العقوبة، وهي تشبه قولك لعدو «اذا جاءت سنة كذا سلط الله عليك شخصاً فحطم قوتك، ثم تعود لك الغلبة عليه، فاذا جاءت سنة كذا لكي ترى منه ماتكره، ولكي يدخل منزلك كما فعل أول مرة، ولكي يهدم مابنيت».

ومنها: أن جواب الشرط في الأولى فعل ماض. وفي الثانية مضارع.

ومنها: أن جواب الشرط في الأولى فعل واحد هو آخر مرحلة في القضاء على افساد اليهود. وجواب الشرط في الثانية ثلاثة أفعال تبدأ بسوء وجوه اليهود وتنتهي بالقضاء على علوّهم و يتوسطها الدخول الى المسجد.

ومنها: أنه لم يذكر دخولهم الى المسجد في المرة الأولى ولكنه أشار اليه في دخولهم في الثانية.

ومنها: أنه تعالى عقّب على وصف العقوبة الأولى بقوله «وكان وعداً مفعولاً» وعلى الثانية بقوله: «عسى ربّكم أن يرحمكم...»

فما هو الفرق بين الفاء واللام؟ والماضي والمضارع؟ والفعل الواحد والأفعال الثلاثة؟..

في المرة الأولى لم يطل زمن الصراع الاسلامي اليهودي وأنجز المسلمون بسرعة نسبية هدفهم في القضاء على القوة القتالية لليهود فجاسوا خلال ديارهم.. وهذه العملية يناسبها الفاء التي تدلّ على الاتّصال الزمني. و يناسبها الفعل الواحد.

كما أن من غير المناسب ذكر السببية بين مجيء وعد العقوبة الأولى والجوس خلال الديار، بأن يقول مثلاً: بعثنا عليكم عباداً لنا ليجوسوا خلال الديار، أو لنبعث عليكم عباداً لنا فيجوسوا خلال الديار.. لأنها علاقة غير بارزة كما هو الحال في المرة الثانية، فوعد الأولى مقترن بفجر الاسلام و بعثة النبي (ص) وذكر العلاقة السببية يكاد يحصر هدف الاسلام بالقضاء على فساد بني اسرائيل مع أنّه كان هدفاً ضمنيّاً على قدر تأثيرهم السلبي غير الكليّ على مسيرة الاسلام.

أمّا مجيء وعد العقوبة الآخرة فهو يقترن مع نهضة المسلمين مجدداً لاعادة الاسلام و بسطه على العالم، وهدف القضاء على بني اسرائيل وعلوهم هو الهدف الأهم للمسلمين لأن اليهود يشكّلون عائقاً شبه كليّ أمامهم.. وهذا يناسبه ذكر العلاقة السببية ومجيء الجواب منصوباً بعد

لام التعليل: ليسوءوا، وليدخلوا، وليتبروا.

كما أن العقوبة الأولى تتلخص بفعل واحد جاسوا خلال الديار وباشارة آتية الى دخول المسجد الذي حصل لاحقاً بعد الانتصار على الروم ولم تكن له علاقة مباشرة بالقضاء على اليهود.

أما العقوبة الثانية فتحتاج الى ثلاثة أضعاف الأولى من الأفعال، ودخول المسجد يكون فعلاً من أفعالها وهدفاً بحد ذاته.

والفرق الأهم هو بين نوعية فعل الأولى «فجاسوا خلال الديار» الذي يوحي بسرعة هزيمة اليهود وسهولة القضاء عليهم. وبين أفعال الثانية «ليسوؤوا، وليدخلوا، وليتبروا» التي توحي بضراوة المقاومة وترسم للمواجهة صورة عنيفة لايهدؤها دخول المسجد في وسطها بل يأخذ منها عنف التحدّي وفرحة الانتصار.

«ليسوءوا وجوهكم» أي: لينزلوا السوء في وجوهكم. تقول: ساء فلان فلاناً، أي أنزل به مكروهاً يسوؤه. وأشد منه قولك: وقعت لفلان حادثة فساءت صباحه. قال تعالى «أفبعذابنا يستعجلون. فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين» ١٧٦ -١٧٧ -الصافات. وأشد منها قولك: المسلمون ساؤوا وجوه اليهود. أي أوقعوا فيهم مكروهاً شديداً بحيث ظهر على وجوههم.. ولم يستعمل هذا التعبير في القرآن في غير هذا الموضع إلاّ مرة واحدة في رؤية الكفّار ليوم المحشر «فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا» ٢٧ -الملك، ممّا يدلّ على الشبه بين سوء وجوه الكفّار في يوم الحشر وسوء وجوه اليهود في يوم حشرهم. وممّا يكمل الصورة أن اليهود في القرآن يختلفون عن غيرهم من الناس بأن لهم حشراً في الدنيا وقدسمى الله

تعالى به سورة من القرآن «سورة الحشر» التي لم يرد فيها ذكر حشر الآخرة أبداً بل تركّزت على حشر اليهود الذي بدأه تعالى بقوله «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر.. ماظننتم أن يخرجوا، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار» ٢ -الحشر.

واذا كان القضاء على قوتهم القتالية في صدر الاسلام هو اول حشرهم في الدنيا .. فإن وعد العقوبة الآخرة هو كل حشرهم. وقد رسم تعالى صورة حشرهم الى معركة فلسطين بقوله في نفس سورة الاسراء «وقلنا من بعده -أي من بعد فرعون- لبني اسرائيل اسكنوا الأرض.. فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً» ١٠٤ -الاسراء، فبقرينة وعد الآخرة في مطلع السورة يتضح أن وعد الآخرة في هذه الآية هو وعد العقوبة الآخرة وليس وعد القيامة كما تصوّر بعض المفسرين.

ومعنى «جئنا بكم لفيفاً» أي زرافات ووحداناً يلتف بعضكم الى بعض وتجتمعون في مكان واحد. وأمّا تفسير بعضهم لقوله تعالى (لفيفاً) بلفيف النسب في مقابل صريح النسب والإستدلال به على أن اليهود أصبحوا من عروق مختلفة فهو تفسير مقبول على أن يكون ذلك المعنى الثاني الذي توحي به اللفظة ولا ترفع اليد عن معناها الأول الظاهر، وهو الجماعة أو الشيء الذي يلتف بعضه الى بعض. و يكون ذلك من قبيل قوله تعالى «فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً» ٩٠ -يونس، فان عدواً توحي بالركض ولكن يبقى معناها الأصلي العدوان.

«وليدخلوا المسجد» تكرار اللام في الأفعال الثلاثة تأكيد للعلاقة

السببية بين وعد الآخرة وهذه الأفعال حتى كأن كل فعل منها مسبب وناتج بحد ذاته وكأن معركتنا مع بني اسرائيل ستكون على ثلاث مراحل: مرحلة انزال الهزيمة العسكرية بهم (ليسؤوا وجوهكم) ومرحلة تحرير المقدسات والأرض (وليدخلوا المسجد) ومرحلة القضاء على العلو الاسرائيلي (وليتبروا ماعلو).

وهذا الشبه الذي تنص عليه الآية في تحرير المسجد الأقصى الشريف في المرتين (كما دخلوه أول مرة) هل هو شبه فقط في الغلبة والنتيجة، أم يمتدّ أكثر من ذلك الى خطوط المعركة الأساسية فيكون حشر اليهود خارج فلسطين كما كان أول حشرهم خارج حصونهم ؟ و يكون لانتصار المسلمين عليهم وقع مخيف على الغربيين فيطلبون عقد هدنة ويجيبهم قائد المسلمين الى ذلك و يعقد معهم الهدنة التي وردت فيها أحاديث عن النبي (ص) وأنّها تكون آخر هدنة بين المسلمين والنصارى ـ الروم ـ وأنها تدوم سبع سنين ؟.

علم ذلك عند الله تعالى ولكن وصف العقوبة الثانية وآيات الحشر غنية بالابعاد وقد لانعرف الكثير منها حتى يأتي تأويلها.

«وليتبروا ماعلوا تتبيراً» يستفاد من شرح القاموس للزبيدي وغيره أن معنى تبّر الشيء: كسّره وأهلكه فهو متبّر، ولذلك سمي الشيء المكسر جيداً تبراً، ومنه تِبْر الذهب وتبر الفضة وتبر الحديد، أي جزياته الدقيقة أو المسحوقة.

والفرق بين التدمير والتتبير أن التدمير ادخال الهلاك على الشيء ولو بوسائط غير مباشرة تؤدّي الى هلاكه. أمّا التتبير فهو فعل الهلاك

بـأسلوب التكسير، فيكون المعنى أنهم سوف يكسرون علو اليهود تكسيراً.. فهذه الضربة اذن موجهة الى علو اليهود بالذات لتسحقه وتنهي أنواع سيطرتهم وافسادهم في العالم.

وقديتصور البعض أن معنى (ماعلوا) مابنوه عالياً مثل مباني دو يلتهم في فلسطين ومؤسساتهم و بناياتهم العالية في أنحاء العالم.. ولكن انهاء علوهم من هذه المباني وان كان مشمولاً لقوله تعالى (وليتبروا ماعلوا) غير أن التتبير موجّه في الآية الى العلو وليس الى المباني التي يقال فيها ماأعلوا، ولايقال فيها ماعلوا.. تقول تبّرت ماأعلى فلان أي الشيء الذي رفعه، فاذا قلت تبرت ماعلا فلان، فالمعنى كسرت علوه واستكباره.

«عسى ربّكم أن يرحمكم» يمكن القول أن الآية تدلّ على سعة رحمته تعالى فهي تفتح الباب مجدداً لليهود بعد القضاء على علوهم وسيطرة المسلمين عليهم مجدداً لأن يتوبوا من افسادهم وكفرهم و يصبحوا أهلاً للرحمة الإلٰهية.. ولكن الآية تدلّ زيادة على ذلك على أن هذه الرحمة سوف ينالها قسم من اليهود، فكلمة (عسى) وان كانت تعني مجرد الرجاء ولكن الرجاء في استعمال القرآن عندما يكون صادراً من الله تعالى وفعل الأمر المرجو مرتبطاً به عزّوجلّ فهو بحكم المتحقق، ولذلك يذكر النحويون ان الترجّي من الله تعالى بحكم المؤكد الوقوع. قال عزّوجلّ «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» ٧٩ ـ الاسراء وهو أمر مؤكد. وقال تعالى «عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا» وقد فعل. وقال عزّوجلّ لبني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام «عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم و يستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون» ١٢٩ ـ الاعراف، وقد فعل.

ويؤيد ذلك الأحاديث الواردة في أن المهدي عليه السلام «يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية وأسفار التوراة من جبل بالشام -وفي رواية بفلسطين- فيحاج به اليهود فيسلم كثير منهم» منتخب الأثر ص٣٠٩ نقلاً عن اسعاف الراغبين ص١٣٨، وفي رواية ابن حمّاد في كتابه الفتن والملاحم ص ١٠٠ -مخطوطة أن اليهود اذا نظروا الى تابوت السكينة أسلموا إلاّ قليلاً منهم.

«وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً» أي ان عدتم الى الافساد عدنا الى العقوبة، ولكن هل يدلّ ذلك على أن اليهود سوف يعودون مرة أخرى الى الافساد والعلو في الأرض بعد تحطيم قوتهم وتتبير علوهم؟ أم ان مثل هذا التعبير الشرطي يشعر بأنهم سوف لايعودون؟.

ان مجرد صيغة الشرط في اللغة العربية لا تدلّ على أن فعلها سوف يقع أو لايقع. ولكن صدور صيغة الشرط عن الله تعالى في مثل هذا الأمر السياسي والاجتماعي يدلّ على الأقل على وجود أرضية لوقوع الفعل وإلاّ لما حذّر منه عزّوجلّ. وبهذا فلايصح استفادة عدم وقوع الشرط أو استبعاد وقوعه كما تصوّر البعض، فقدقال تعالى لمشركي قريش على أثر معركة بدر «وإن تعودوا نعد، ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت، وأن الله مع المؤمنين» ١٩ -الأنفال، وقدعادوا الى مواجهة المسلمين.

نعم توجد في الآيات قرينة تدلّ على أن عودة اليهود الى الافساد ان وقعت فلن تكون بمستوى الافسادين في المرتين بل تكون افساداً محدوداً. والقرينة هي أن ظاهر الوعد الإلهي «وقضينا الى بني اسرائيل لتفسدنّ

في الأرض مرتين» أنه يستوعب كل مستقبلهم الافسادي أو معظمه على الأقل. ولو كان لهم افساد آخر بمستوى الافسادين في المرتين لجاء الوعد من أول الأمر بأكثر من مرتين. كما أن هذا الافساد المحتمل سوف لايرافقه علو كما رافق المرة الثانية لأن العلو يتوقّف على مستوى من الافساد لايقلّ عن الافسادين الماضيين.

و يقوي هذه القرينة افتتاح الآية بقوله تعالى (عسى ربكم أن يرحمكم).

و يقوي عودتهم الى الافساد المحدود ماورد من أن أكثر أتباع الدجال الذي يقاتله المهدي وعيسى عليهما السلام يكونون من اليهود. بل ان مقتضى شمول الوعد الأول (ليبعثنّ عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة) أن يستمرّ اليهود في الافساد حسب قدرتهم واستطاعتهم الى يوم القيامة ولوخرج من صفوفهم كثيرون وأصبحوا مسلمين.

أما نوع العقوبة التي وعدهم الله بها بقوله (وإن عدتم عدنا) فيفهم أنها من نوع العقوبتين وعلى يد (عباداً لنا).

كما يفهم من قوله تعالى (وجعلنا جهنّم للكافرين حصيراً) أي حبساً ومنعاً من الحركة، أن هذا العذاب في جهنّم استكمال للعقوبة الموعودة اذا هم عادوا الى الافساد ممّايوحي بأن جزاءهم في الدنيا سيكون القتل وفي الآخرة الحبس والحصر في جهنم. ولم توصف جهنّم بأنّها حصير لأحد غير اليهود في هذا الموضع فقط. وكأن اليهود الذين يعودون الى الافساد بعد هذه العقوبات يكونون قدأشربوا حبّ الافساد في الأرض الى حدّ أن قدرتهم على الحركة تعني قدرتهم على الافساد فيجيء العقاب منسجماً

مع نوع الجريمة قتلاً في الدنيا لإنهاء تحركهم وحبساً حصيراً في الآخرة جزاء لتحرّكهم المفسد.

*

وفي الختام ينبغي أن نشير الى أن هذا الوعد الإلٰهي لبني اسرائيل قد نزل في القرآن الكريم وأبلغه الله تعالى الى المسلمين والعالم بعد حادثة الاسراء وفي سورة الاسراء التي ربط عزّوجلّ فيها ربطاً محكماً بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، و بين نبيّه محمد (ص) وأنبيائه ابراهيم واسحاق و يعقوب وداود وسليمان وموسى وعيسى عليهم السلام، وألفت المسلمين الى مهمتهم في القضاء على افساد بني اسرائيل.. كل ذلك بسياق موحد مترابط وأسلوب معجز يتلوه الذين يعرفون قدراً من اسرار اللغة العربية فيخرون للأذقان سجّداً و يزيدهم خشوعاً. وحتى هذه النقلة المفاجئة من حديث الاسراء المنساب الى الحديث عن التوراة وموسى و بني اسرائيل... هي نقلة مقصودة، فحادث الاسراء في الوقت الذي يؤكد أولو ية النبي (ص) والمؤمنين بالأنبياء عليه السلام يصطدم باليهود. ومسيرة عباد الله المسلمين يعترضها اليهود بافسادهم ثم بعلوهم، ولكن القرآن يهديهم للتي هي أقوم و يبشّرهم.

ومن طريف ماترى لدى بعض المفسرين أنهم يعتبرون آيات الوعد استطراداً غريباً عن السياق و يبحثون عن مناسبة لربط هذه الآيات (الغريبة) بموضوع الاسراء كعادتهم عندما لايصلون الى الربط البليغ العميق بين الآيات الموحدة السياق فيعتبرونها استطراداً و يربطونها بشيء ما، وكأنهم يغفلون عن أن المتكلّم في القرآن هو الله تعالى، وأن

حروف هذا القرآن وكلماته وآياته وسوره مبنيّة بدقة كبناء النجوم في مواقعها من السماء (فلاأقسم بمواقع النجوم. وانَّه لقسم لوتعلمون عظيم. انَّه لقرآن كريم).

وأن نشير الى تفسيري الامامين الباقر والصادق عليهما السلام للمبعوثين على اليهود بأنهم أهل قم وأنصار المهدي عليه السلام هو تفسير واحد بملاحظة مايأتي من وصف أهل قم بذلك.. وأن ماوصلنا اليه يتّفق كلياً مع هذا التفسير. وأمّا محاولة الاستدلال بهذا التفسير على أن العقوبتين لم تقعا لأنه جاء تفسيراً لـ(بعثنا عليكم عباداً لنا) الذي هو وصف لأهل العقوبة الأولى، فجوابه مضافاً الى ماتقدم أن الظاهر من الحديثين أن كلامهما عليهما السلام كان تعليقاً على مجموع الآيات وأن الراوي ذكر أولها ولم يكملها اعتماداً على أنها معلومة. فان لم يكن ذلك ظاهراً فهو على الأقل محتمل و يوجب عدم صحة الاستدلال المذكور.

حول الأحاديث رقم (٧و٨و٩) في أهل قم

«رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ قُم يَدْعُو النَّاسَ إلىٰ الْحَقِّ، يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ قُلُوبُهُمْ كَزُبَرِ الْحَدِيدِ، لاٰ تُزِلُّهُمُ الرِّيٰاحُ الْعَوٰاصِفُ، وَلاٰيَمِلُّونَ مِنَ الْحَرْبِ وَلاٰيَجْبُنُونَ، وَعَلىٰ ٱللّٰهِ يَتَوَكَّلُونَ.. وَالْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

«وَسَيٰأْتِي زَمٰانٌ تَكُونُ بَلْدَةُ قُمٍّ وَأَهْلُهٰا حُجَّةً عَلىٰ الْخَلاٰئِقِ وَذٰلِكَ فِي زَمٰانِ غَيْبَةِ قٰائِمِنٰا..الخ».

«سَتَخْلُو كُوفَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيٰأْزِرُ عَنْهٰا الْعِلْمُ كَمٰا تٰأْزِرُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهٰا، ثُمَّ يَظْهَرُ الْعِلْمُ بِبَلْدَةٍ يُقٰالُ لَهٰا قُمٌّ، وَتَصِيرُ مَعْدِناً لِلْعِلْمِ وَالْفَضْلِ حَتّىٰ لاٰيَبْقىٰ مُسْتَضْعَفٌ

فِي الدِّينِ حَتَّى الْمُخَدَّرَاتُ فِي الْحِجَالِ، وَذٰلِكَ عِنْدَ قُرْبِ ظُهُورِ قَائِمِنَا.. الخ».

(١)

في وسط ايران وفي منتصف الطريق التاريخي الذي يربط العراق والجزيرة العربية ببلاد المشرق، طريق البصرة ـ خراسان، توجد فسحة مبسوطة من الأرض متكئة بجنوبها الشرقي الى مجموعة من الروابي والجبال، ومنفتحة في شمالها الغربي على أرض ممتدة من الصحراء والربوات، تلتقي في وسطها مجاري سيول تكون غزيرة في الشتاء والربيع، جافة في الصيف..

في أواخر شتاء سنة ٧٣ هجرية شهدت هذه الفسحة حدثاً.. فقد حطت فيها قافلة لجماعة من قبيلة يمانية واختاروها موطناً لاقامتهم بعد أن قطعوا أكثر من ألف وخمس مئة كيلومتر من الكوفة عبر البصرة وشيراز وأصفهان، وتركوا وراءهم مدناً هامة وأنهاراً كبرى وأراضي خصبة.. كأنّما كانوا بعملهم هذا ينفذون أمراً!.

حطت قافلة الأشعريين في هذا المكان وكان يقودهم فقيه يتميّز بالحكمة وكثرة الصمت هو عبدالله بن سعد بن مالك الأشعري، وقائد عسكري يتميز بالإقدام والبأس هو أخوه الأخوص، ومعهما مجموعة من رجالهما ومعهم نساؤهم وأطفالهم، ونصبوا خيامهم وجعلوا واحدة منها مسجداً، وباشروا بتهيئة الأرض للزراعة، وبالتعرّف على أهل القرى القريبة منهم وكانت بضعة قرى صغيرة لازال أهلها يدينون بالمجوسيّة ويعملون في رعي الأغنام والزراعة.

لم يعترض أهل المنطقة على استيطان جيرانهم الجدد لأسباب عديدة.. فهم مجموعة فرسان من المسلمين العرب الحاكمين، ومن رؤساء قبيلة كبيرة، وجدهم مالك بن عامر الأشعري مشهور يتداول اسمه الفرس فقد كان أول فارس من المسلمين عبر بفرسه نهر دجلة العريض في معركة فتح المدائن وهو يرتجز:

إمضوا على البحر فان البحر مأمور والأول القاطع منكم مأجور

قد خاب كسرى وأبوه سابور ما تصنعون والحديث مأثور

وفي نفس الوقت لم يقم أهل المنطقة بالترحيب بهؤلاء القادمين ولم يقدموا لهم مساعدة، بل تركوهم وشأنهم حتى كان يوم النوروز اذ رأى الأشعريون أن أهالي القرى أخذوا يتحصنون مع مواشيهم في قلاع خاصة ويجتهدون في سد منافذها فسألوهم عن سبب ذلك فأخبروهم أن قبائل الديلم يغيرون عليهم في مثل هذا الوقت من كل عام وأنهم سمعوا بقرب وصولهم، وما هو إلاّ أن وصلت قوة الغزاة فبادرهم الأشعريون وخاضوا معهم معركة بطولية قتلوا فيها عدداً كبيراً منهم وأسروا بعضهم، وانهزم الباقون شر هزيمة.. فكانت فرحة كبرى احتفل بها أهل المنطقة وقدموا الشكر والهدايا لجيرانهم الجدد وطلبوا منهم أن يبقوا بقربهم، وساعدوهم في زراعة الأرض.

وفي فترة قصيرة تحولت مجموعة خيام الأشعريين الى قرية مبنية بالأحجار والآجر، ولم يمض نصف قرن حتى أصبحت مدينة عامرة أكثر سكانها من الأشعريين وبقيتهم من الايرانيين والعرب غير الأشعريين،

وعرفت باسم (قم) واشتهرت بالعلم ورواية الحديث، والتشيّع لأهل بيت النبي (ص).

يقول الحموي في معجم البلدان: (قمّ، بالضم والتشديد، وهي كلمة فارسية... وكان هناك سبع قرى اسم احداها كمندان فنزل هؤلاء الأخوة ـ الأشعريون ـ على هذه القرى.... فأسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قُمّاً).

و يبدو ان هذا الوجه الذي ذكره الحموي هو نفس ماذكره حسن بن محمد الأشعري في كتابه (تاريخ قم) الذي ألّفه في سنة ٣٧٨هـ وأهداه الى الوزير الصاحب بن عباد، وقدنقل الأشعري هذا الرأي عن حمزة بن حسن صاحب تاريخ أصفهان ولكنه ذكر أن اسم القرية كان كميدان.

والظاهر أن كميدان أو كمندان كان اسماً للمحلّة أو لمجتمع مجرى الأنهار الشتائية، لأنّه لم يكن في موضع قم قرية قبل الأشعريين وانّما كانت بعض القرى على مقربة منها كما يذكر من أرخ لقم من القدماء.

(٢)

يمكن أن نفسر قصة نشوء قم تفسيراً عادياً، فالهجرات العربية بعد الفتح الاسلامي كانت كثيرة، وقدوصلت الى أماكن بعيدة من الدولة الاسلامية.. ولكن هناك عدة مرجّحات لافتراض آخر هو أن يكون الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قداختاروا موقع قم المتميّز وأمروا الأشعريين بالاقامة فيه، وأول أهداف هذا العمل نلمسها في دور

الأشعريين في نشر الاسلام في أهل المنطقة المحيطين بهم وفي نشر حديث رسول الله (ص) في أنحاء ايران ومشرق الدولة الاسلامية !.

نعم كان الأشعريون فرساناً مقاتلين، وكانوا مزارعين وتجّاراً في قم وماحولها، ولكنهم قبل ذلك كانوا فقهاء علماء رواة حديث.. وقدبلغ عدد رواة الحديث منهم عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أكثر من مئة راوٍ.

وقد كانت قم قرية ومدينة للأشعريين في منطقة استراتيجية في وسط ايران وفي طريق القوافل مابين العراق والجزيرة وخراسان، ثمّ أصبحت مع توابعها (ولاية قم) وكثير منّا يحفظ كتاب الخليفة أو وزيره الى قاضيها: أيها القاضي بقم قدعزلناك فقم! وقول ذلك القاضي عندما قرأ الكتاب: والله ماعزلني إلاّ السّجع.

ولكن قم القرية والمدينة والولاية هي مدرسة اسلامية وحاضرة علمية ذات دور فعّال، منذ نشأتها، في الحياة الثقافية لايران وغيرها!

لقد سمع أكثرنا بقم أثناء الثورة الاسلامية لأنّها مركز المرجعية الدينية التي قادت الثورة، وأصبح لإسمها في نفوسنا وقع خاص كأنه يأمر المسلم بالثورة و يقول له (قم) ولكنا عندما نرجع الى مصادرنا الاسلامية ونقرأ عن قم نعجب لتاريخ هذه المدينة التي نبتت دفعة واحدة في مطلع تاريخنا و باشرت دورها الفعّال فيه، معتمدة في ذلك على موقعها الستراتيجي وسكّانها العلماء، مكافحة مناخها اللاهب في الصيف، القارس في الشتاء، وموفرةً مياهها من آبار ذات ماء مالح لاتكاد تروى انساناً ولانباتاً!

والأعـجب من هذا أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أعطوا قم مكـانة خاصة وأكدّوا على ارتباط اسمها وأهلها بالمهدي الموعود و ببيت المقدس وسموها «قطعة من بيت المقدس» !

وهـذه نمـاذج مـن نصوص أهل البيت في شأن قم وأهلها من كتاب بحار الأنوار للمجلسي ج ٦٠:

عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، وَعَنْ حَمَّادِ النَّابِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِٱللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (يقصد الامام جعفر الصادق) وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عِمْرَانُ بْنَ عَبْدِٱللَّهِ الْقُمِّيِّ (الأشعري) فَسَأَلَهُ وَبَرَّهُ وَبَشَّهُ، فَلَمَّا أَنْ قَامَ قُلْتُ لأَبِي عَبْدِٱللَّهِ: مَن هٰذَا الَّذِي بَرَزْتَ بِهِ هٰذَا الْبِرَّ؟ فَقَالَ: مِن أَهْلِ الْبَيْتِ النُّجَبَاءِ، يَعْنِي أَهْلَ قُمٍّ، مَاأَرَادَهُمْ جَبَّارٌمِنَ الْجَبَابِرَةِ إِلاَّ قَصَمَهُ ٱللَّهُ» ص ٢١١.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّ الإِمَامَ جَعْفَرَ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشَارَ إِلَىٰ عِيسَىٰ بْنِ عَبْدِٱللَّهِ فَقَالَ: «سَلَامٌ عَلَىٰ أَهْلِ قُمٍّ يَسْقِي ٱللَّهُ بِلَادَهُمْ الْغَيْثَ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْهِمُ الْبَرَكَاتُ، وَيُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ .. هُمْ أَهْلُ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَقِيَامٍ وَقُعُودٍ. هُمْ الْفُقَهَاءُ الْعُلَمَاءُ الْفُهَمَاءُ. هُمْ أَهْلُ الدِّرَايَةِ وَحُسْنُ الْعِبَادَةِ» ص٢١٧.

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ «تُرْبَةُ قُمٍّ مُقَدَّسَةٌ وَأَهْلُهَا مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ... أَمَا إِنَّهُمْ أَنْصَارُ قَائِمِنَا» ص ٢١٩.

وَعَن عَفَّانِ الْبَصْرِي عَنِ الإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ لِي: أَتَدْرِي لِمَ سُمِّيَ قُمُّ؟ قُلْتُ: ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ. قَالَ: إِنَّمَا سُمِّي قُمٌّ لأَنَّ أَهْلَهُ يَجْتَمِعُونَ مَعَ قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَيَقُومُونَ مَعَهُ وَيَسْتَقِيمُونَ عَلَيْهِ وَيَنْصُرُونَهُ» ص٢١٦.

وَعَنِ الإمَامِ عَلِيٍّ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ «إِنَّمَا سُمِّيَ قُمٌّ بِهِ لأَنَّهُ لَمَّا وَصَلَتِ السَّفِينَةُ إِلَيْهِ فِي طُوفَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ قَامَتْ، وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسْ» ص٢١٣.

وَعَنِ الإمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: «إِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، وَلأَهْلِ قُمٍّ وَاحِدَةٌ مِنْهَا، فَطُوبَى لَهُمْ ثُمَّ طُوبَى لَهُمْ ثُمَّ طُوبَى لَهُمْ» ص٢١٦.

أضف الى ذلك الأحاديث الثلاثة التي اخترناها، وماتقدّم من تفسير الامام الصادق عليه السلام لقوله تعالى «بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد» بأنّهم أهل قم وقسمه على ذلك ثلاثاً.. ثمّ انظر كيف استطاعت هذه المدينة ذات النصف مليون نسمة أن تقود ايران وتجعل منها قمّاً، وتلهب الشوق في قلوب ملايينها الأربعين الى تحرير بيت المقدس ولقاء المهدي الموعود عليه السلام.

(٣)

ليس ماتقدّم أكثر من تقريب أوّلي لفكرة أن قمّاً مشروع خطّطه ورعاه الأئمة من أهل بيت النبي (ص) لكي يثمر في مستقبل الأمة أكثر ممّا أثمر في تاريخها الماضي. وهو دعوة الى العلماء الفضلاء للقيام بهذا البحث التاريخي الروائي الحيوي.. وفي سيرة النبي وتلامذته الأئمة مشاريع مشابهة لمستقبل الأمة.. و ينبغي أن يمهّد لهذه الدراسة:

باستطلاع حالة الأشعريين في اليمن واسلامهم طواعية ووفودهم على النبي (ص) ثم هجرتهم الى الحجاز والعراق، ودورهم في الفتوحات الاسلامية..

وعلاقة الأشعريين بالامام علي عليه السلام عندما بعثه النبي (ص) والياً على اليمن، وتطور هذه العلاقة به و بالأئمة من أبنائه عليهم السلام، ودور الأشعريين في أحداث صدر الاسلام خاصة في مواجهة زيادبن أبيه وابنه عبيد اللهبن زياد والحجاج الثقفي.

إن هذا التمهيد يلقي أضواء على قم التي هي بالآخرة مشروع الأشعريين في وسط ايران، و ييسر متابعة عناصر التخطيط للمدينة وأهلها من قبل الأئمة عليهم السلام، وهي فيما أرى عناصر متعددة:

منها، حرص الأئمة على إنشاء قم واستمرارها فقدواجهت المدينة مصاعب سياسية وطبيعية هددت وجودها فوقف الأئمة الى جانبها باصرار، كما يفهم من محاولة شيخ القميين زكريابن آدم أن يترك قم في مطلع القرن الثالث ونهي الامام الرضا عليه السلام إياه عن ذلك، ومن أحداث أخرى.

ومنها: اختيار قم مرقداً لواحدة من حفيدات الزهراء عليها السلام، كانت شخصيتها ظاهرة أشبه ماتكون بجدتها، وهي فاطمة بنت الامام موسى الكاظم، والتي بشر بها و بدفنها في قم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قبل ولادتها!

ومنها، ظاهرة هجرة الهاشميين من أبناء أهل البيت عليهم السلام منذ صدر الاسلام الى قم، وسكن المسلمين الايرانيين فيها، متقارناً مع تناقص دور الأشعريين القيادي حتى تحولوا الى عائلة عادية من عوائل قم.

ومنها، استقصاء دور القميين الواسع في حفظ علوم الاسلام

وتدو ينها ونشرها، و بشكل خاص في ايران.

ومنها، تهيئة الأئمة للقميين لنصرة المهدي عليه وعلى آبائه السلام وتحرير بيت المقدس، وهي ظاهرة تحتاج الى التتبع في نصوص أهل البيت عليهم السلام وفي مؤلفات القميين وفي سلوكهم وعاداتهم الاجتماعية.. والتي نلمس بعضها في أهل هذه المدينة الى يومنا هذا مثل كثرة تسمياتهم لأبنائهم ومساجدهم ومحلاتهم ومؤسساتهم باسم المهدي عليه السلام، حتى لايكاد يخلو منه بيت، و بذلك تحقق قم أكثر نسبة في العالم لهذا الاسم الشريف.

(٤)

من عجائب قم في تاريخها الحديث أنها استطاعت أن تجعل ايران استثناءً نسبياً من الخضوع العام لموجة الغزو الحضاري الغربي التي أصابت بلاد المسلمين. فلووضعنا درجة نسبية للاستعمار الثقافي الذي استطاع الغربيون فرضه على بلاد المسلمين ومراكزهم ومقوماتهم الثقافية وقارنا ايران بمصر و بلاد الشام و بلاد المغرب وتركيا.. لوجدناها أقل الجميع خسارة. لقد كانت الخطة لتركيا مركز الخلافة، ولمراكز الثقل الاسلامية الأخرى الخارجة عن حكم الخلافة كمصر والمغرب وايران.. خطة واحدة، واختار الغربيون لكل بلد عميلاً شرساً للقيام بعملية محو الشخصية الثقافية وتغريب المسلمين، وأبرز عميلين في هذا المجال أتاتورك ورضا بهلوي، ولكن لماذا نجح أتاتورك في تحطيم أكثر مقومات الثقافة الاسلامية وفرض المسخ الثقافي على تركيا المسلمة العريقة فقضى

على العلماء والمعاهد العلمية الاسلامية في أنحاء تركيا، وقضى على الحرف التركي -العربي الذي كتب فيه تاريخ تركيا والاسلام، وعلى أكثر الشعائر الاسلامية.. الخ. بينما لم يستطع زميله رضا بهلوي من تحقيق هذا النجاح مع أنْ لم يكن أقل دهاءً وبطشاً واخلاصاً لدوره الكافر..؟ كيف تمكن مسلمو ايران من الاحتفاظ بكثير من مقومات الثقافة الاسلامية، وإن تراجع العديد منها من الظهور الى الكمون.. كيف احتفظوا بمقام المرجعية والحوزات العلمية وبمكانة العالم في جماهير الناس؟ كيف انتصروا في مقاومة استبدال الحرف الفارسي -العربي بالحرف اللاتيني، وفي معركة استبدال الحجاب الاسلامي بالسفور الغربي؟ وكيف حافظوا على الشعائر الاسلامية..؟

قد يجاب بأن طبيعة الفرس في مواجهة الموجات تختلف عن طبيعة الشعوب الأخرى، فالفرس من أوائل الشعوب التي تجيد التعامل مع الموجة والصبر عليها..

وقد يجاب بأن المسلمين الايرانيين قاوموا ببسالة ودفعوا ثمن ذلك دماء الألوف من أبنائهم والمئات من علمائهم.. حتى لقد فاضت أرض أحد مساجدهم بالدماء وجرت الى خارجه كالساقية.. وحتى أن ألوفاً من المسلمات لم يخرجن من بيوتهن سنين طويلة لئلا يتعرضن للاجبار على السفور.. الخ.

ولكن الجواب الأصح أن السبب هو: قم، وثقافتها، واستقلالها، ونمط مرجعيتها وطلبتها والعلماء المتخرجين منها.

(٥)

الملاحظ أن التفاعل والتأثير بين الجامعات والمعاهد الكنسية في الغرب و بين مجتمعات المدن التي تقوم فيها يكون بدرجة قليلة أولا يكون، بينما يوجد التفاعل والتأثير بين مجتمع المدينة المسلمة و بين الجامعات الدينية التي تقوم فيها بدرجات عالية.. نقرأ عن ذلك في تاريخنا ونلمس بقاياه في جامعة الزيتونة والقرويين والأزهر والأموي والنجف. ولكن التفاعل بين جامعة قم ومجتمعها يفوق الجميع. فقد درجت جامعتها على الانفتاح على مجتمعها بفئاته المختلفة حتى أصبح مجتمعاً موحداً متجانس التفكير، فلا عزلة بين الطالب والعالم في قم و بين الناس العامل منهم والفلاح والكاسب والتاجر والموظف، فالعلاقات بين الجميع قائمة، والروح الأخوية عامة وقد نشأت عن ذلك حالة اجتماعية من الأعراف والمفاهيم والتقاليد الاسلامية أصبحت من معالم شخصية مجتمع قم. وزاد ذلك من احترام المجتمع القمي للطلبة والعلماء وتأثرهم بهم بشكل لا نظير له في حاضرة علمية من بلاد المسلمين.

ومن مدرسة قم الاجتماعية هذه يتخرج العلماء والمبلغون و ينتشر منهم الى أنحاء ايران حوالي عشرة آلاف عالم وخطيب كل سنة بمناسبة شهر رمضان ومحرم والعطلة الصيفية، عدا الذين يسكنون في مدنها وقراها بشكل دائم.

وعلى نمط حوزة قم الرائدة سلكت حوزات إيران المتعددة.

(٦)

كان بعض الطلبة في حوزة النجف يشكو من الجفافات الخمسة وبعضهم من الجفافات الثلاثة:

جفاف مناخ النجف، وجفاف المجتمع، وجفاف المناهج الدراسية في الحوزة من النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والبديع، ثم مناهج الفقه والأصول التي يصرف الطالب فيها أكثر وقته.

ولكن مناخ قم لايقلّ عن مناخ النجف جفافاً في الصيف وقسوة في الشتاء.. والمناهج الدراسية لاتختلف جوهرياً عن مناهج النجف، والذهنية القانونية الهندسية أو طريقة التفكير التي تنتجها حوزة النجف تنتجها حوزة قم أيضاً وبقدر أكبر من عادة التدقيق والمحاكمة واستنباط الإشكال من تحت الكلمة أو الفكرة ومن فوقها، وعن جوانبها الأربع، ومن عند جيرانها، وأقاربها.

ولكن إن عجبت فاعجب للطراوة الندية والعاطفة الملتهبة وأشواق الروح المشبوبة في حوزة قم ومجتمعها على رغم عوامل الجفاف!

إن العاطفة العميقة توجد في قم وتتعايش مع العقلية الأصولية الحسابية الكمبيوترية جنباً الى جنب! واذا كان من الصعب على عالم الرياضيات أن يكون فنّاناً، فمن الطبيعي للعالم والطالب في قم أن يكون عقلانيّاً الى العظم وعاطفياً الى الذوبان. إن المجتهد في قم الذي لايرفّ له جفن لسفك دم بحق.. يبكي ويتأرّق ليله لحالة عزل بعض القرى في

غرب ايران بسبب الثلوج وتقصير حكومة الشاه في إيصال المساعدة اليهم.

ماهي العوامل التي أنتجت مثل هذه العاطفة الجيّاشة في مدينة العقل والقانون والجفاف..؟ لسنا بصدد التحليل.. بل بصدد وصف حالة تركيب نادرة تجمع بين العقلانية والعشق كما يسمّيها الايرانيون وتصالح بينهما بأن من حق العقل أن يتدخل في مجال العشق ولكن ليس من حقّه أن يتدخل في مداه..

إن هذه الحالة من التصوف والحبّ بلاحدود والرومانسية اذا صحّ التعبير ليست ضرورية للحياة الاجتماعية العادية فحسب، بل هي ضرورية للتدين «وَهَلِ الدِّينُ إلاَّ الْحُبُّ» على حدّ قول الامام الصادق عليه السلام. وهي ضرورية للثورة، وهل الثورة إلاَّ حب الله تعالى والنهوض بأمره، وحبّ عباده المظلومين والقيام من أجلهم؟ وهل ثار أهل قم إلاَّ لأنَّ قلوبهم امتلأت حبّاً من أجل الله تعالى و بغضاً من أجله.. وهل يكونون أنصار المهدي عليه السلام إلا لأنهم عاشقون؟

(٧)

ماتقدّم عن قم يعطي صورة عن أرضية الحدث الذي أخبر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أنه يبدأ من قم، وعن حالة الشهادة على العالم التي تصل اليها قم.

فالرجل الذي يخرج من قم بأصحاب ذوي مواصفات خاصة لايخرج من عدم ولايعمل في حقل مجدب، بل ينطلق من أرضية ذات

مقومات.

والوعد بأن تصبح قم حجة على الخلائق ليس بسبب أن فيها مدارس ومكتبات وحلقات درس ومجتهدين ومحققين في العلوم الاسلامية.. بل بسبب أنها تقوم بأمر الله تعالى وتدعو المسلمين والعالم الى القيام.

بسبب أنه يوجد فيها العمق الفكري النافذ وجذوة العشق المتقدة، والصدق والشجاعة للعيش بهما.

بسبب أن قمّاً سوف تتمكن أن تلهب ايران وتحركها، وأن ايران ستوصل صوت الاسلام وحجته الى أسماع العالم، حتى لايبقى مستضعف في الدين، حتى النساء المخدرات في حجال بيوتهنّ.

(٨)

الحديثان اللذان اخترناهما تحت رقم (٨) عن مستقبل قم هما حديث واحد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام.. عن رسول الله (ص) روي بصيغتين موجزة ومطولة و بأسانيد متعددة.

و يرتكز الحديث على معتقد اسلامي هو «عدم خلوّ الأرض من حجّة» وأصل هذا المعتقد محل اجماع بين المسلمين، يدلّ عليه عدد من الآيات الكريمة من قبيل «وماكنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً» ١٥ - الاسراء «وماكان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم مايتقون» ١١٥ - التوبة، وعدد من الأحاديث الشريفة.. ويجمع المسلمون على أن هذه الحجة أمّا أن تكون أنبياء أو مؤمنين يقومون مقامهم، و يضيف الشيعة أن الحجة امّا أن تكون أنبياء أو أوصياء فان غاب الوصي تكون مؤمنين يقومون

مقامهم.

على أي فان احتجاج الله تعالى بالمؤمنين على غيره ممّا لا اشكال فيه بين المسلمين وقد ورد أنه تعالى يحتج بالجار المؤمن على جاره ومحلته، وبالعالم المؤمن على من بلغه علمه، و بالفئة المؤمنة على من بلغته دعوتهم، وهو المفهوم من أمثال قوله تعالى «ألم تكن آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم بها تكذبون» ١٠٥ ـ المؤمنون، بل هو معنى شهادة النبي (ص) ومن يقوم مقامه على الأمة وشهادة الأمة على الناس، وهو معنى شهادة الشهيد على من قتله ولم يقبل دعوته.

و يتركز الحديث على حركة نمو في هذه الحجة تبلغ ذروتها قبيل نزول العقاب الإلهي بأعداء الاسلام على يد المهدي عليه السلام. وأن هذا النمو ينطلق من واحدة من الحواضر العلمية الاسلامية هي مدينة قم «و يفيض العلم منها الى سائر البلاد في المشرق والمغرب فتتم حجة الله على الخلق حتى لايبقى أحد على الأرض لم يبلغ اليه الدين والعلم» وهذا النمو الكمّي لابدّ أن يكون ناتجاً عن نمو كيفي وعن حالة وعي تمكن أهل قم من ايصال الحجة الى المسلمين وشعوب العالم.

ولايخفى أن عملية اقامة الحجة على مثل هذا النطاق الواسع ليست عملية فكرية محضة وان كانت المادة الفكرية أساساً فيها، فغالبية الناس في العالم لايقرؤون ولايستمعون حتى لو وفّرنا المادة الاعلامية بين أيديهم مالم يكن وراء المادة حدث يدفع اليها. فلابدّ أن تكون الحجة اذن حركة سياسية وأحداثاً تصل الى أسماع العالم وتدفع الناس الى القراءة والاستماع والسؤال عن الاسلام، وقدتتم الحجة على بعض الناس بمجرد

أن يصل اليهم خبر الأحداث و يدفعهم الى التفكير بالاسلام وأحقيته ولكنهم لايفعلون.

هذا المنطق الاسلامي يشكل نقطة قوة للأخذ بهذا الحديث الشريف حيث يؤيده ماثبت بالأحاديث المتواترة من حدوث حركة تمهيد للمهدي ذات وقع عالمي وأنه عليه السلام يظهر بعد أن يكون صوت الاسلام قدوصل الى أسماع العالم فيبدأ الحسم بالآيات المعجزة و بالعمل السياسي والعسكري وأنه قدأُمر من رسول الله (ص) بأن يقتل من يقف في وجهه ولايستتيب أحداً لأن الحجة تكون قدتمّت على الناس.

وتوجد قرينتان أخريان في مصلحة الأخذ بالحديث الشريف، أولاهما: أنه ثبت من أحاديث أهل البيت عليهم السلام أن لقم دوراً مميزاً مرتبطاً بالمهدي عليه السلام.

وثانيتهما: أن ماأخبر به الحديث الشريف قدوقع بالفعل، وأن حاضرة الكوفة وامتدادها النجف قدخلت من المؤمنين العاملين الذين أصبحوا مابين شهيد ومشرد ومهاجر، وأن علوم الاسلام والثورة قدظهرت من قم في حركة وأفكار وأحداث أخذت تهز شعوب العالم وتقيم الحجة عليها..

ومع نقاط القوة هذه في متن الحديث وموضوعه و وقوعه، لايؤثر في الاعتماد عليه ماقديكون من مناقشة في سنده، أو في ضعف سبكه ممّالانعهده في تعبير الامام الصادق عليه السلام وفي حديث رسول الله (ص).. فإن النبي والأئمة قدأجازوا الرواية بالمعنى، و يبدو أن بعض الرواة رحمهم الله قدروى هذا الحديث بمعناه، مضافاً الى

ماقديكون طرأ على كلماته من تداول النساخ رحمهم الله.

(٩)

الأحاديث الأربعة الباقية تدور حول حركة تمهيدية لظهور المهدي عليه السلام، ونذكر حولها بعض الملاحظات:

أ) ـ حديث رجل من قم... روي في مصادر الشيعة عن الامام الرضا عليه السلام.

ـ حديث رجل من أهل بيتي يقصد بيت المقدس فلايبلغه... وحديث رجل من وراء النهر يمكّن لآل محمد... مرويان في مصادر الشيعة والسنة عن الامام علي عليه السلام، وفي بعض المصادر عن الامام جعفر الصادق عليه السلام.

ـ حديث أتاح الله لآل محمد برجل منّا أهل البيت... روي في مصادر الشيعة عن علي عليه السلام.

وتوجد أحاديث أخرى تذكر قادة آخرين في حركة التمهيد كما تقدّم في فصل العلامات.

ب) ـ الحديث الثاني والرابع يصفان قائد الحركة بأنه هاشمي من أهل بيت النبي (ص) بينما لايذكر ذلك الحديثان الأول والثالث. أمّا المكان الذي يخرج منه فهو قم في الحديث الأول، والمشرق في الثاني، وماوراء النهر في الثالث، بينما لايحدد الحديث الرابع مكاناً. كما يلاحظ أن الحديثين الثاني والثالث عبّرا بـ «يخرج» ولم يعبّر بذلك الحديث الأول والرابع.

ج) ماوراء النهر كما تقدّم في معنى خراسان مصطلح لمنطقة ماوراء نهر جيحون، والتي هي جزء من بلاد المشرق أو بلاد خراسان. والأقرب أن يكون اسم (الحارث أو حرّاث أو الحارث الحراث) على اختلاف النسخ اسماً رمزيّاً بمعنى أن هذا القائد خبير بعمله فهو كالحارث الخبير بالحراثة..

أمّا وزيره منصور فقدورد اسمه في بعض الروايات وأنه يصاحب المهدي عليه السلام في سفره من المدينة الى مكة، وفي بعضها وزير للهاشمي الخراساني الذي يسلّم راية أهل المشرق الى المهدي. ويحتمل أن يكون اسماً رمزياً لشعيب بن صالح.

د) يمكن أن يشكل على هذه الأحاديث باحتمال أن تكون من موضوعات الحركة العباسية أو الأموية. فحديث «يخرج رجل من وراء النهر... يمكّن لآل محمد» يحتمل في حقّه أن يكون من موضوعات العباسيين لأنّه من مصلحتهم.

وحديث «يخرج رجل من أهل بيته... يقصد بيت المقدس فلايبلغه حتى يموت» يحتمل أن يكون من تحريفات الاتجاه الأموي لأحاديث الهاشمي الخراساني الذي يقضي على السفياني مع المهدي عليه السلام، وأنَّ المحرّف وصفه بأنه يقتل و يقتل ويمثل ثم يموت ولايبلغ هدفه! و يؤيد ذلك وجود بعض الأحاديث التي تذكر هزيمة الهاشمي الخراساني وقائد قواته شعيب بن صالح، و يذكر بعضها أنهما بعد هزيمتهما يختفيان في الشام أو فلسطين ثم يلتحقان بالمهدي عليه السلام في مكة، وقدروى هذه الأحاديث ابن حماد في كتابه الفتن والملاحم.

ولكن هذا الاشكال لايرد على حديث «رجل من قم» لأن قمّاً لم تكن يوماً مؤيدة للعباسيين لافي مطلع الحركة العباسية ولابعدها.. والواقع أن هذا الحديث أقوى الأحاديث المذكورة سواء من حيث السند أو من حيث عدم احتمال الوضع، أو من حيث القرائن الأخرى التي تقوى الاعتماد عليه، والتي منها:

أن الصفات التي وردت فيه لأصحاب هذا الرجل وردت بشكل عام في صفات أهل المشرق وأصحاب الهاشمي الخراساني وشبّان الطالقان أنصار المهدي عليه السلام.

ومنها: أن أحاديث الهاشمي الخراساني تدلّ على أن رجلاً قبله أو معه يقود أهل المشرق و يصفه بعضها بالسيد الأكبر «وتقبل رايات من شرق الأرض غير معلمة ليست بقطن ولاكتان ولاحرير، مختومة في رأس القناة بخاتم السيد الأكبر» البحارج ٥٢ ص ٢٧٤ والخاتم هو الشعار الذي يكون على الراية.

ومنها: انطباق الحديث بشكل دقيق على ثورة الامام الخميني وأصحابه، دون غيرهم، فبالرغم من تاريخ قم الحافل الطويل ومايذكره المؤرخون من أن فقهاءها وأهلها كثيراً ماكانوا يقاومون الوالي الظالم حتى يضطروه الى العدل أو يضطروا الخليفة والسلطان الى تغييره.. ولكن حركتهم لم تتسع وتصبح دعوة (للناس) الى الحق وتواجهها الرياح العواصف و يرافقها قتال.. الا على يد الامام الخميني نصره الله.

أما احتمال أن يكون انطباق الحديث في المستقبل فهو بعيد جداً، لأن أي رجل من قم تكون له ولأصحابه هذه المواصفات يكون امتداداً للامام الخميني حفظه الله.

(١٠)

مع أن حديث «رجل من قم» موجز مقتضب، تقرؤه بتلهّف، وتتمنى لوأنه تضمن المزيد عن هذا الرجل وأصحابه وثورتهم.. ولكنك عندما تتأمّل فقراته تجدها مركزة مضاءة بنور الوحي والابعاد.

«رَجُلٌ مِنْ قُمٍّ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ الحَقِّ»

وكأن الامام الرضا عليه السلام يستشرف مستقبل الأمة، و يستعرض القرون والبلاد و يطلق هذا القبس من علوم جده (ص) فيقول:

وعما قريب تلتف القرون بالقرون و يغلب أعداء الأمة عليها.. فينهض ثائر من قم يكون خلاصة رسالة هذه المدينة، وضمير فقهائها عبر الأجيال، وطليعة ثمراتها في آخر الزمان، وصوتها المدوي في العالم، يدعو الناس كل الناس الى الحق المسلوب، لانتزاعه من غاصبيه بحد السيف..

أما متى يكون ذلك..؟ فمثل هذا الحدث العالمي عندما يكون لايخفى.

«رجل من قم يدعو الناس الى الحق» عبارة بايجازها واطلاقها تلخص وصف هذا الرجل الموعود منذ اثني عشر قرناً، داعية الاسلام ومجدده، ونداء قم للمستضعفين، وصرختها في وجه المستكبرين.

«يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ قُلُوبُهُمْ كَزُبَرِ الحَدِيدِ، لا تُزِلُّهُمُ الرِّيَاحُ العَوَاصِفُ»

فمسيرة هذا الرجل وأصحابه.. شاقة وطويلة..

فيها الرياح العواصف.. تعصف عليهم من كل نوع، ومن كل جهة وان كان أشدها العواصف الغربية. تريد أن تقتلعهم من الجذور، ومن شأنها أن تقلع الناس والأشجار والسيارات، وأن تحطم البيوت والبنايات، وأن تجعل الجبال جرداء والهواء مكفهراً والعمران خراباً.. ولكنهم في وسطها ثابتون لايتزلزلون ولايزلون، أرسى من الأطواد والجبال، فقدتنال العواصف من الأطواد والجبال، ولكنها منهم لا تنال.

ان قلوب هؤلاء الأنصار من نوع حديدي لايرتجف للعواصف. واذا ثبت القلب اشتدّ البدن وثبتت الخطى ولم تزل.

«وَلَا يَمِلُّونَ مِنَ الْحَرْبِ وَلَا يَجْبُنُونَ»

وفي مسيرتهم الحرب الطويلة المرهقة، بكل أهوالها وفتكها وخسائرها، ومعها الحرب النفسية بأوسع أساليبها ووسائلها.. ولكنهم لايملون من غمراتها وان طالت سنوات وسنوات ولايجبنون حتى لوقابلهم العدو بأضعاف عددهم وعدتهم.. وحتى لوقابلوا بصدورهم الدبابات.. وحتى لونثرت القنابل والصواريخ أجساد عوائلهم أشلاء في الهواء وبين الأنقاض وفي الطرقات!

وفي مسيرتهم الغربة.. التي يستوحش فيها الغريب، والوحدة التي يضعف فيها الوحيد، وفيها الخروج على قاعدة توازن القوى أو تقاربها أو معقولية نسبيتها بين طرفي الصراع.. ولكنهم يرمون بحسابات الناس هذه عرض الجدار «وَعَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُونَ» لأن العمل فقط من أجله، ولأن النصر فقط من عنده.. ولأنهم ليسوا من نوع ذراري المسلمين المنهزمين

بل من نوع مسلمي صدر الاسلام «الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» ١٧٣ - آل عمران

«وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»

انها عاقبة النصر لقائد يدعو الى الحق، وأنصار امتلأت قلوبهم بالايمان واليقين والتوكل على الله تعالى فهي كالحديد الصلب. بها يقفون في وجه الرياح العواصف، وبها يقاتلون في ساحات الوغى، بشجاعة فريدة ونفس طويل وعزم لايلين..

انها عاقبة قوم سلمان الذين لم تصف الأحاديث الشريفة غيرهم بأوصافهم.. يمهدون للمهدي عليه السلام و يسلمونه رايتهم، و يواصلون جهادهم بين يديه حتى يتحقق وعد الله تعالى و يورث الأرض لمن يشاء من عباده.. والعاقبة للمتقين.

البديل للعرب

حول الأحاديث رقم (١٠و١١و١٢)

تَلا رَسُولُ اللَّهِ (ص) هٰذِهِ الآيَةَ «وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لايَكُونُوا أَمْثالَكُمْ» فَقالُوا يارَسُولَ اللَّهِ مَنْ هٰؤُلاءِ الَّذِينَ إنْ تَوَلَّيْنا اسْتُبْدِلُوا بِنا؟ فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ عَلىٰ مَنْكِبِ سَلْمانَ ثُمَّ قالَ: «هٰذا وَقَوْمُهُ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْكانَ الإيمانُ مَنُوطاً بِالثُّرَيّا لَتَناوَلَهُ رِجالٌ مِنْ فارِسَ».

«ماكُنْتُ لأَطْرُدَهُمْ فَأَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ. أَمٰا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَيَضْرِبُنَّكُمْ عَلىٰ الدِّينِ عَوْداً كَما ضَرَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ بِدْءاً..»

داء التعصّب القبلي والقومي

قدم الاسلام الحل الفلسفي والعملي لمشكلة القوميات. قال تعالى «يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ.. إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» الحجرات -١٣.

وحرم التعصب القومي والقبلي والأسري تحريماً شديداً. قال رسول ٱللّه (ص) «مَنْ تَعَصَّبَ أَوْتُعُصِّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ».

وقال (ص): «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ مِنْ عَصَبِيَّةٍ بَعَثَهُ ٱللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَعْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ» الكافي ج ٢ ص٣٠٨.

«قُلْتُ يَارَسُولَ ٱللَّهِ أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ: لا، وَلٰكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَىٰ الظُلْمِ» مسند أحمد ج ٤ ص١٠٧.

«الْعَصَبِيَّةُ الَّتِي يَأْثَمُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا: أَنْ يَرَىٰ الرَّجُلُ شِرَارَ قَوْمِهِ خَيْراً مِنْ خِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ وَلَيْسَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ، وَلٰكِنَّ الْعَصَبِيَّةَ أَنْ يُعِينَ قَوْمَهُ عَلَىٰ الظُلْمِ» الكافي ج ٢ ص٣٠٨.

وقد تضافرت عوامل عديدة في تاريخ المسلمين على حلّ مشكلة القومية والقبلية وارساء مفهوم العالمية والمساواة بين الناس وحصر ميزان التفاضل بالتقوى وحدها.

من هذه العوامل طبيعة الاسلام العقائدية العالمية.

ومنها: حرص النبي (ص) والأئمة على تطبيق نظرية الاسلام في تبني العالمية ورفض العصبية بشكل دقيق وحاسم.

ومنها: الطبيعة الجغرافية والسكانية للمنطقة حيث تختلط فيها القوميات المتعددة جغرافياً واجتماعياً وتاريخياً..

وبذلك تمكن الاسلام أن يقدّم الى شعوب العالم منهجاً جديداً في القيم والتعايش. ولكن هذا المنهج يبقى متوقفاً على التطبيق.. ولذلك لم يخل تاريخ المسلمين من ظهور مرض العصبية بل ومن استفحاله في عدد من الأحيان. فقدظهر أول الأمر مرض التعصّب القبلي بين مجموعتي القبائل الحجازية واليمانية، ثم ظهر مرض التعصب القومي داخل المجتمع الاسلامي بين العرب والفرس والترك والأكراد وغيرهم من قوميات الشعوب الاسلامية.

ثم انتشر تأثير هذا المرض بين المسلمين ولم يسلم منه الاّ أهل الوعي والتقوى من القوميات المختلفة...

حتى اذا جاء غزو الغربيين لبلادنا في مطلع هذا القرن ونفذوا من خلال نقاط ضعف الأمة.. وجدوا في مرض العصبية القومية والقبلية مقدحاً للفتنة والتفريق بين المسلمين فأضرموا نارها بين الشعوب الاسلامية أيّما اضرام، وكانت احدى أبرز أدواتهم للسيطرة علينا جميعاً.

منطق العصبية

للعصبية تأثيرات متعددة على الفكر، نذكر منها: الأساس اللااسلامي الذي يعتمده المتعصبون في المقايسة والمفاضلة بين أهل قومية وأخرى، أو قبيلة وأخرى، أو بلد وآخر.. من قبيل أن يتفاخر العرب والفرس بملوك تبع وحمير والأكاسرة، مع أن الجميع في نظر الاسلام

مشركون ظالمون. ومن قبيل التفاخر بالغنى على الفقر و بالكثرة على القلة وبجودة مناخ منطقة على منطقة أخرى... مع أن هذه الأمور خارجة عن مقياس التقوى الاسلامي وعن الفضائل الشبيهة بالتقوى قبل الاسلام.

ونذكر منها: اتجاه التعميم اللامنطقي في المقايسة بين الأقوام.. وهو تعميم مكعب يشمل عادة ثلاثة أنواع من الخطأ: الخطأ في تعميم الحكم على كل أبناء القومية مع أنهم وجود كبير متنوع وليسوا سواء في الصفات. والخطأ في تعميم الحكم على كل صفات القوم مع أن وجود صفة أو صفات سلبية لا تعني بالضرورة أن تكون بقية الصفات سلبية، وكذلك أمر الصفات الايجابية. والثالث خطأ تعميم الحكم على كل تاريخ القوم وحاضرهم مع أن أهل أي قومية أو قبيلة أو بلد يمرّون في تاريخهم بظروف وعوامل متعددة تؤثر فيهم تغييرات كثيرة قدتكون جذرية.. ولانريد الاطالة بضرب الأمثلة على منطق العصبية الخاطىء عند المتعصبين من مختلف القوميات.

أهم نقاط القوة والضعف في العرب

إن أعظم ايجابية في تاريخ العرب أن الله تعالى اختارهم منطلقاً لأعظم رسالاته وأنهم حملوها ونهضوا بها أفضل ممّا حملت الأمم السابقة رسالات أنبيائها ونهضت بها.

فمهما يقل في الأسباب التي من أجلها اختار الله تعالى مكة والحجاز ومحيطهما العربي قاعدة ومنطلقاً للاسلام، فانّه يدلّ على وجود مجموع كليّ من المقوّمات المطلوبة في العرب يجعلهم آنذاك أنسب وسط لتنزل

الرسالة وانطلاقها.

ومهما يقل عمّا لاقاه النبي (ص) من العرب من تكذيب وأذى وقتال.. وعمّا تحمّله في حياته وماحدث منهم بعده.. فان المجموع الكليّ لتصديقهم به وحملهم للاسلام لايقاس بموقف الأقوام الآخرين مع أنبيائهم وبعد أنبيائهم، من قبيل الكنعانيين مع نوح، والبابليين والأقباط مع ابراهيم، وبني اسرائيل مع موسى وعيسى وبقية الأقوام مع الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبيّنا الصلاة والسلام.

ويتفرّع عن هذه الايجابية ايجابيات متعددة بطبيعة الحال.

كما أن أعظم سلبية في تاريخ العرب وحاضرهم هي ابتعادهم عن الاسلام، ولكي لانقع في التعميم الخاطىء ينبغي أن نميّز بين مجموعتين، مجموعة أصحاب النفوذ السيئين من الأمراء والفقهاء والأثرياء ورؤساء العشائر والوجهاء، وبين مجموعة الجماهير المستضعفة التابعة لهم ثقة بهم أو خوفاً منهم أو سعياً وراء النفع الدنيوي، أو المناهضة لهم، كما نرى في مجتمعاتنا العربية اليوم، فالحاضر يشبه التاريخ والعصور تشبه بعضها مع تغيرات قليلة أو كثيرة لا تؤثر جوهرياً على مسار التاريخ بهذين الخطين أو المجموعتين: المجموعة المترفة الذين هم أساس كل انحراف ومصائب وويلات وقعت وتقع على العرب، والمجموعة المستضعفة التي هي معدن الأمل ومعدن الخير وإن كانت تتحمّل مسؤولية الإطاعة والتبعية والرضا بالاستضعاف. وتتحمّل مسؤولية النهوض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثورة.

لسنا بصدد التاريخ لبداية انحراف الفئة المترفة من العرب ولكن

مؤشرات هذا الانحراف بدت واضحة في التأثر بالرفاهية واغراء السلطة بعد الفتوحات الاسلامية وأخذت تتسع في العهد الأموي حتى أصبحت هذه المجموعة، وكانت كثيرة في العرب، تشكّل طبقة من الحكّام والمترفين تعتمد في مختلف القطاعات على اليد العاملة والفنية من العبيد والموالي (أي غير العرب) ثم اعتمدت على جيوش غالبية جنودها من الموالي.. حتى صارت حالتها مع الموالي تشبه حالة حكّام دول الخليج ووجهائها وأثريائها مع المسلمين الأجانب(!) الذين تقوم بهم حياتهم، ولكنها مكبرة عنها عشرات المرات..

ان غلبة هذا الاتجاه المترف تفسر لنا قلة نسبة العلماء من العرب في مختلف العلوم والفنون الاسلامية وارتفاع النسبة من غيرهم، وتفسر لنا السبب في أنه لم يكتمل القرن الثاني حتى أصبحت السلطة العسكرية ثم السياسية بيد غير العرب من الجنود والموظفين وصار منصب الخليفة مقاماً شكلياً له مخصصات شهرية ممن يغلب من القادة العسكريين و يتسمى بأسماء الوزارة والامارة والسلطنة!

اذا قمنا باحصائية على امتداد ألف وأربع مئة سنة من تاريخنا الاسلامي لمعرفة عدد السنوات التي حكم فيها العرب آخذين بعين الاعتبار المساحة الكاملة للوطن الاسلامي.. فربّما لانجدها تبلغ ربع هذه المدة أو خمسها!

واذا أحصينا الفعّاليات العسكرية للقادة العرب والجنود العرب عبر هذه المدة.. واذا أحصينا علماء المسلمين ابتداء بأئمة المذاهب ومروراً بمؤسسي العلوم والفنون المختلفة وأئمتها والنابغين فيها.. نجد أن مساهمة العرب

لا تتناسب مع دورهم الطليعي في الاسلام، ولاحتى مع نسبة عددهم الى الشعوب الاسلامية الأخرى.. وماسبب ذلك إلاّ هذه المجموعة المترفة من أصحاب النفوذ على العرب الذين تراجعوا عن موقعهم الطليعي الذي كانوا فيه في صدر الاسلام و واصلوا تراجعهم جيلاً فجيلاً حتى عاد أكثر قومهم العرب في عهد المماليك وعهد الدولة العثمانية الى حياة القبيلة والأرياف العادية.

لاأقصد بذلك تبرير فعل أصحاب القوميات الأخرى وانتزاعهم مقدرات قيادة المسلمين من العرب، واتجاهاتهم الشعوبية المعادية للعرب.. ولكن لأقرر أن هذا الانحسار في قيادة العرب للمسلمين كان بسبب انحراف أصحاب النفوذ فيهم وتراجعهم عن الاسلام تراجعاً تفاقم مع الزمن وأفقدهم منطق الاسلام المهيمن، وجعل منطقهم على السواء مع منطق القوميات والعصبيات الأخرى، أو دونها!

يأخذك العجب عندما تنظر الى حالة القبائل الحجازية واليمانية والعراقية والشامية والمصرية والمغربية.. وتسأل نفسك: مابال هؤلاء الذين حملوا الاسلام وفتحوا العالم وأزالوا الامبراطوريات الكبرى وأنقذوا الشعوب من ظلمها، وعلموها منهاجاً جديداً للحياة.. قدعادوا الى مثل هذا التخلف ؟

ولكنك تجد الجواب في الفارق الهائل بين المستوى الذي كان عليه الرجل العادي والوجيه العادي من العرب في صدر الاسلام مثل ربعي بن عامر الذي يصف التاريخ منطقه الاسلامي القوي مع قائد جيوش كسرى اذ يقول له «الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء

من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا الى سعتها، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام، فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه.. فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه وتركنا له أرضه يليها دوننا ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي الى موعود الله» الطبري ج ٤ ص١٠٧.

وبين منطق مترفي العرب اليوم من الأمراء والحكام عندما يؤذن لأحدهم فيتشرف بزيارة البيت الأبيض وقصور العواصم الغربية أو قصر الكرملن، أو عندما يشرفهم في عواصمهم وقصورهم معالي سفير دولة كبرى بزيارة توجيهية!

إن هذا الفارق الهائل بين المستويين وبين المنطقين يفسر لنا مدى جريمة هؤلاء الطغاة بحق العرب في أجيال التاريخ وفي عصرنا الحاضر.

إن الخطبة رقم ١٩٢ من نهج البلاغة تمثّل احدى الانذارات المبكرة من الإمام علي عليه السلام للشعب العربي اذا هو أطاع هؤلاء المترفين المستكبرين وتحول من طليعة عقائدية أممية الى شعب مستضعف ومجموعات متخلفة تتبع أصحاب النفوذ الذين ينفخون فينا العصبية والقبلية والاقليمية والقومية لالشيء إلاّ لأنهم يستفيدون منها في استمرار تسلطهم.

من فقرات هذه الخطبة:

«فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ في قُلُوبِكُمْ مِنْ نيرانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقادِ الْجاهِلِيَّةِ فإِنَّما تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ في الْمُسْلِمِ مِن خَطَراتِ الشَّيْطانِ وَنَخَواتِهِ وَنَزَغاتِهِ وَنَفَثاتِهِ..

«... أَلا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِن طاعَةِ سادَتِكُم وَكُبَرائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِم وَتَرَفَّعُوا فَوقَ نَسَبِهِم .... فَإِنَّهُمْ قَواعِدُ أَساسِ الْعَصَبِيَّةِ وَدَعائِمُ أَرْكانِ الْفِتْنَةِ ....

الَّذِينَ شُرِبتُمْ بِصَفْوِكُم كَدَرَهُم، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُم، وَأَدخَلتُمْ فِي حَقِّكُم بَاطِلَهُم..

«... وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدتُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلاَّ عَن عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الجُهَلاءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ، غَيْرَكُم، فَإِنَّكُم تَتَعَصَّبُونَ لأَمْرٍ مَا يُعرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلاَ عِلَّةٌ ... فَإِنْ كَانَ لاَبُدَّ مِنَ العَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُم لِمَكَارِمِ الخِصَالِ وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا المُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِن بُيُوتَاتِ العَرَبِ وَيَعَاسِيبِ القَبَائِلِ.. بِالأَخلاقِ الرَّغِيبَةِ، وَالأَحْلامِ العَظِيمَةِ، وَالأَخْطَارِ الجَلِيلَةِ، وَالآثَارِ المَحمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلالِ الحَمْدِ مِنَ الحِفْظِ لِلْجِوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَالأَخْذِ بِالفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ..

«... فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالِ الأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ.

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ كَانَتْ الأَكَاسِرَةُ وَالقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ عَن رِيفِ الآفَاقِ وَبَحْرِ العِرَاقِ وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ وَمَهَافِي الرِّيحِ وَنَكَدِ المَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً وَأَجدَبَهُمْ قَرَاراً، لاَيَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا وَلاَ إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا.. فَالأَحوَالُ مُضطَرِبَةٌ، وَالأَيدِي مُختَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ.. فِي بَلاءٍ أَزْلٍ وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِن بَنَاتٍ مَوْؤُدَةٍ وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ.

أُنْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُم: كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ

جَداوِلَ نَعِيمِها، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ في عَوائِدِ بَرَكَتِها، فَأَصْبَحُوا في نِعْمَتِها غَرِقِينَ، وَفي خُضْرَةِ عَيْشِها فَكِهِينَ. قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ في ظِلِّ سُلْطانٍ قاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحالُ إِلىٰ كَنَفِ عِزٍّ غالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِم في ذُرىٰ مُلْكٍ ثابِتٍ. فَهُم حُكّامٌ عَلىٰ العالَمِينَ، وَمُلُوكٌ في أَطْرافِ الأَرَضِينَ. يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلىٰ مَن كانَ يَمْلِكُها عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الأَحكامَ فِيمَن كانَ يُمْضِيها فِيهِم. لا تُغْمَزُ لَهُم قَناةٌ، وَلا تُقرَعُ لَهُم صَفاةٌ..

«... وَاعْلَمُوا أَنَّكُم صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْراباً ... تَقُولُونَ النّارَ وَلا الْعارَ! كَأَنَّكُم تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلامَ عَلىٰ وَجْهِهِ انْتِهاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثاقِهِ الَّذي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُم حَرَماً في أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ. وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلىٰ غَيْرِهِ حارَبَكُم أَهْلُ الْكُفْرِ ثُمَّ لا جَبْرَئِيلُ وَلا مِيكائِيلُ وَلا مُهاجِرُونَ وَلا أَنْصارُ يَنْصُرُونَكُم إِلاَّ الْمُقارَعَةُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُم، وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الأَمْثالُ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوارِعِهِ».

كيف نعود الى موقعنا

إن طريق العودة الى موقعنا الطليعي في قيادة العالم والشهادة على شعوبه طريق واحدة ليس أمامنا ـ وأمام غيرنا من المسلمين ـ سواها، وهي : العودة الى الاسلام.

والعودة الى الاسلام، كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان وفي التكاليف.. ولها طريق واحد أيضاً هو مناهضة المجموعة المترفة المتسلطة علينا، الذين هم دعائم أركان الفتنة الذين شربنا بصفونا كدرهم، وخلطنا بصحتنا مرضهم، وأدخلنا في حقّنا باطلهم !

لقد كانت مشكلتنا مع هؤلاء قبل عصر الاستعمار الغربي مشكلة

(بسيطة) تتلخّص بانحرافهم عن الاسلام الذي كان معترفاً به كقاعدة للحكم والحياة اعترافاً عاماً شاملاً عند المستضعفين والمترفين.. ولكنها أصبحت بعد الغزو الغربي مشكلة (مركبة) دخلت عليها ثلاثة أبعاد جديدة اذا نظرت الى كل واحد منها تراه أسوأ من صاحبيه:

البعد الأول: بعد كمي، فقد زادت كمية مخالفات الاسلام التي يرتكبها هؤلاء عن عصر ماقبل السيطرة الغربية أضعافاً مضاعفة.. سواء في سلوكهم الشخصي، أو في سرقتهم لأموال الناس وظلمهم إياهم، أو في اشاعة الفساد بين الناس.. فقد كان الوضع الاجتماعي العام يفرض على أصحاب النفوذ في بلادنا مستوى من الرقابة أكثر ممّا هو اليوم، و يشكل قدراً من التأثير على مواقعهم ومناصبهم أكثر ممّا يشكل اليوم. ولعل الفساق السابقين في عصر الدولة العثمانية من الأمراء والفقهاء والوجهاء ورؤساء القبائل يعتبرون متدينين بالقياس الى اخوانهم اليوم!

والبعد الثاني: بعد نوعي، فالأصل الذي كان مسلّماً به قبل عصر الاستعمار الغربي وهو أن الاسلام قاعدة الحكم والحياة، والذي كان يرجع اليه الجميع في قياس الأمور وفي محاسبة أصحاب النفوذ.. أصبح غير مقبول لدى أصحاب النفوذ بعد الغزو الغربي.. امّا كفراً بالاسلام، وبهتاناً عليه بأنه لايصلح لعصرنا، أو اعتذاراً بعدم امكان تطبيقه بسبب الظروف الاجتماعية في هذا المجتمع أو ذاك، أو اعتذاراً بالظروف الدولية من هذه الدولة الكافرة أو تلك! أو غير ذلك من الاعذار الواهية!

ولكن السبب الأساسي في ذلك أن أعداءنا يريدون أن يقضوا على أصولنا الحضاريه والثقافية و يبعدوننا عنها و يقطعون صلتنا بها، و ينشرون

بدلها ثقافتهم في شكل الحكم والمجتمع والقيم والعلاقات والتبعية لهم، بل وقتل الذات من أجلهم! وكل مانسمعه من مناقشة في بديهة أن يكون الاسلام قاعدة الحكم والحياة في بلاد المسلمين هو من تأثير الغزاة الغربيين ثم الشرقيين امّا تأثيراً ثقافياً مسخ ذهنية وشخصية بعض أبنائنا، أو تأثيراً سياسياً زرع الخوف من نفوذهم وشبكاتهم في بلادنا، ومن قوتهم خارج بلادنا!.

والبعد الثالث: نوعي أيضاً وهو أن أصحاب النفوذ في بلادنا العربية كانوا يعتمدون في نفوذهم على السند المحلي ولذلك كان تأييد الناس وعدمه يؤثر عليهم بشكل وآخر.. أما بعد السيطرة الغربية فقد(استغنى)هؤلاء الظلمة عن أي سند محلي لأنهم صاروا يستمدون نفوذهم من الخارج من أعداء الأمة المسيطرين عليها..

وأصبح الرأي الشعبي العام لايعني شيئاً أساسياً بالنسبة اليهم مادام الأسياد يساندونهم، ومادام بامكانهم خنق أنفاس الرأي العام ومنع تحوله الى تيار سياسي وعمل ثوري مضاد لهم، ومادام يمكنهم تزويره واظهار نقيضه بوسائل الارهاب والاعلام التي يحتكرونها!

إن هذا التركيب في المشكلة من اندفاع هذه المجموعة في مخالفة الاسلام بلاحدود، ومن تبنيها لاشاعة الثقافة الغربية ومحاربتها للثقافة الاسلامية، واعتمادها في كل ذلك على الاسناد الغربي.. وغيرها من الأمور.. تجعل نهضتنا وعودتنا الى الاسلام مجدداً أكثر صعوبة، وتجعل مقاومتنا لهؤلاء أكثر تكاليف. ولكنها على أي حال الحلّ الوحيد لمشكلة حياتنا، والطريق الوحيدة لإرضاء الله تعالى ورسوله (ص) التي يرخص

فيها كل غال، وتحلو فيها الأتعاب والآلام والسجون والتشريد و بذل الدماء.

*

إن الحديث عن العمل الاسلامي المطلوب في بلادنا العربية حديث طويل.. وفي نفس الوقت ليس حديثاً عن أمر جديد، فالعمل للاسلام لم ينقطع في مجتمعاتنا منذ صدر الاسلام والحمد لله.. وحتى في أحلك ظروف الأمة عندما تمكن أعداؤها أن يسيطروا عليها في مطلع القرن و يقوضوا كيانها السياسي المتمثل بالخلافة.. فقد كانت هذه الهزّة سبباً لأن تراجع الأمة ذاتها مراجعة عميقة شاملة، وأن ينطلق العمل للاسلام فيها مجدداً بأساليب تطمح أن تكون في مستوى التحدّي الكبير لوجودها وعقيدتها وحضارتها..

إن هذه النقطة بالذات (أصالة أساليب العمل الاسلامي وكونها بمستوى تحدّي العدو ومستوى هدف الاسلام) هي في اعتقادي أهم النقاط التي تحتاج الى جلاء والى حديث بين العاملين للاسلام. وقد طرحت علينا تجربة الثورة الاسلامية في ايران مسائل أساسية في هذا المجال ينبغي أن نناقشها بصدر منشرح حتى نصل الى وجه الحق فيها فنتبناه ونسلكه.

*

من هذه المسائل: مسألة (قيادة العلماء) ليس في مقابل قيادة السياسيين الغربيين فقط، بل وفي مقابل قيادة المثقفين والسياسيين

المسلمين غير العلماء أيضاً، وفي مقابل قيادة الأحزاب والتنظيمات الاسلامية أيضاً.

لماذا لم يعط العاملون للاسلام في بلادنا العربية هذه المسألة حقّها من الاهتمام والبحث ؟

وهل صحيح مايقال من أن الفرق بين موقع عالم الدين في الأمة في ايران وموقعه في مجتمعاتنا العربية فرق نوعي وليس كميّاً ؟

وأياً كان هذا الفارق فهل من الصحيح أن يبقى ؟

وماهي الأساليب التي يجب أن نتبعها لاستعادة موقع عالم الدين في الأمة ؟

وماهو المقياس الاسلامي الذي نعلمه للناس في التفافهم حول العلماء واطاعتهم لقيادتهم ؟.

وماهو الموقف من علماء السوء المضلّين المنظرين لحكم الطاغوت والساكتين عنه ؟.

وكيف يمكن لعلماء الدين أن يقوموا بدور القيادة والتبليغ والهداية والتوجيه في فئات الأمة، ويحافظوا على مقام الأبوة للجميع ولايكونوا طرفاً داخل الأمة ؟.

وماهي الضمانات أن لايتحوّل علماء الدين الى طبقة فيصبحوا عاملاً سلبياً في حركة الأمة بدل أن يكونوا عاملاً ايجابياً في قيادتها واطلاق كل طاقاتها وتحريك جميع فئاتها ؟

هذه الأسئلة وغيرها كثير من فروع مسألة قيادة العلماء يجب أن تشغل مفكري وقياديي العمل الاسلامي في بلادنا العربية وأن يصلوا فيها الى إجابات مبلورة و يقدموها الى الأمة.

ومن المسائل التي طرحتها الثورة الاسلامية في ايران مسألة (عدم كفاية العمل التنظيمي الحزبي منه والحركي، السياسي منه والمسلّح) وحجتها في ذلك أن ركائز التحدّي الغربي الكافر في بلادنا من القوة بحيث لاينهض بازالتها تنظيم أو حزب أو فئة مهما كانت كبيرة.. وأن تحطيمها يحتاج الى موج أكبر وزلزال أشد، الى كتل جليدية هائلة وقطع جبلية ضخمة.. وليس ذلك إلاَّ موج الأمة بكامل فئاتها وطاقاتها.. والعمل الفئوي الذي لايشمل الأمة عمل نافع ولكنه جزء من عملها وليس كل عملها.. وقيادته جزء من قيادتها ولكنّها ليست كل قيادتها..

كنّا نطرح في التنظير للتنظيم الاسلامي أن التنظيم وسيلة لتحريك الأمة وليس غاية.. وأنّه طريقة لاستيعاب وشمول طاقات الأمة وليس بديلاً عنها..

وأنّه بالنتيجة نفس قيادة العلماء للأمة ولاثنينية بين قيادة التنظيم وقيادة العلماء.

ولكن مامدى انطباق هذا التنظير على واقعنا التنظيمي وعلى واقع أمتنا؟

مامدى الموازنة التي توفقت لها الحركات الاسلامية في بلادنا بين وسيلية عملنا التنظيمي و بين غائية عملنا الجماهيري..؟ وكم استهلك العمل التنظيمي من سنوات عمرنا وجهدنا والى الآن، وكم بذلنا من وقت وجهد مع جمهور الأمة في مساجدهم وأسواقهم ومقاهيهم وقراهم وحقولهم ومناسباتهم وأزماتهم السياسية والاقتصادية وعطشهم الفطري

الصافي الى الاسلام والتحرك به..؟

وماهو السبب الكامل في أن الأمة لم تتحرك معنا كما يجب في حالات صراعنا ومحنتنا؟ ولم تتحرك كما ينبغي في حالات مدنا وقوتنا؟ هل صحيح أن كمية الخير في الأمة لازالت قليلة، وهي معدن كل خير؟ أم أننا لم نبذل الجهد المطلوب مع الأمة واستهلكنا طاقتنا في التنظيم فتحول عن كونه وسيلة..؟ وقدمنا الى الأمة قيادة التنظيم أو قيادة المثقفين، والأمة بفطرتها تريد قيادة العلماء؟

هل يمكن أن نحافظ على وسيلية التنظيم وابقائه مجرد (أداة) لايصال الاسلام وتحريك الأمة به؟ وماهي الحدود المحرمة التي ان تجاوزها الأعضاء أو القيادة وقع الاختلاط بين الوسيلة والغاية؟

مامدى اصابتنا بأعراض وأمراض النخبوية والنوعية وزهدنا في جمهور المستضعفين من سكان الأكواخ والأحياء الفقيرة والأمّيين..؟ وهل يمكن لتنظيم في ظروف مجتمعاتنا أن يستوعب فئات الأمة وطاقاتها بدون أن ينتهي الى نظرية الحزب الواحد فيقع في مشكلة فرض السيطرة، أو الى نظرية الحزب الحاكم فيقع في مشكلة الطرفية في مقابل بقية الأمة؟

ومامعنى نفي الاثنينية بين قيادة التنظيم وقيادة العلماء، والتنظيم يقتضي أن يكون مركز القرار لقيادته المحددة في مجموعة أشخاص أو شخص واحد، وقيادة العلماء تقتضي أن يكون مركز القرار لأكفأعلماء الدين أو لعدد محدود من العلماء؟.

*

ومن المسائل التي طرحتها الثورة في ايران (أسلوب تربية الكوادر التي تقود الأمة) فقد طرحت الثورة أن إعداد كوادر الدرجة الأولى يتمّ بأن يتوافد أبناء الأمة الراغبون في طلب العلم على المعاهد الدينية، ثم يمارسون عمل التبليغ في الأمة بامامة الناس في المساجد والخطابة والتدريس.. الخ. والذين ينبغون من هذا المحضن و يثبتون كفاءتهم وتقواهم يقودون الأمة.. وأما كوادر الدرجة الثانية فهم الذين يتربون على أيدي العلماء والمبلغين و يتثقفون بثقافتهم و يعملون معهم، من المتعلمين والمختصين وأصحاب المواهب والقابليات القيادية في قطاعات المجتمع المختلفة.

بينما نعتمد نحن في الحركات الاسلامية أسلوب محضن التنظيم يدخل فيه العضو فنعدّه لقيادة الأمة بتثقيفه بثقافة الحركة وتوجيهه في عمله التنظيمي وعمله مع الأمة اذا كان له عمل مع الأمة.

ترى أي الأسلوبين أصحّ وأبعد عن الوقوع في الافتراض النظري المجرّد؟.

وهل يمكننا أن نجمع بين حسنات الأسلوبين؟.

وهل يتحمل أسلوبنا في اعداد الكوادر قدراً من المسؤولية في اخفاق كوادرنا في الالتحام مع الأمة وتحريكها؟.

*

ومن المسائل التي طرحتها الثورة في ايران مسألة (الطرح العبادي، والطرح الأخلاقي للاسلام).

ينبغي أن نسأل أنفسنا لماذا تستجيب الأمة للاتجاهات الصوفية والروحية أكثر ممّا تستجيب للحركة الاسلامية؟ هل يكفي في الاجابة أن نقول: ان الحركة الاسلامية أكثر كلفة على المسلم من الدعوات الصوفية؟ أم ينبغي أن نكتشف أيضاً أن الأمة تبحث عن البعد العبادي الروحي في الاسلام فتحس به عند غير الحركات أكثر ممّا تحس به لدى الحركات؟.

و ينبغي أن نسأل أنفسنا: هل يكفي أن نقدّم الى الأمة البناء القاعدي للاسلام من دون البناء الفوقي؟

أن نقدّم عقيدة الاسلام وشريعته (معقلنة معلمنة) بدون صرحها العلوي الذي توجّها به الاسلام من الأخلاق والعاطفة؟

أن نقدم لها الجذور والجذوع والفروع بدون الخضرة والنضرة والعطر والنسيم، في الأغصان والأزهار والثمرات..؟

هل يكفي أن نقدّم لها الطرح الاسلامي السياسي (ممنطقاً مقنناً مقنعاً للعقل) بدون نبض القلب وخفق الضلوع وحرارة الدموع واشواق الروح اللامحدودة..؟ بدون أن نعلمها البكاء بين يدي الله تعالى في المحاريب وفي البيوت لظلامة عباد الله المستضعفين من النساء والرجال والولدان.. ونعلمها الغضب والحنق على ظالميهم وغاصبي حقوقهم؟.

ان البعد العبادي والأخلاقي في الاسلام ليسا من الأبعاد العادية التي تشكل جانباً من الاسلام نلتفت اليه بقدر ونعيش فيه بعض الوقت ونقدّمه الى الأمة كذلك بل يشكلان طابعاً واطاراً وصيغة لطرح الاسلام.. يشكلان جذوة متقدة ملتهبة ومخزوناً خاصاً في شخصية

العاملين والعمل ينتج عنه أنواع من اللهيب والنور والالتياع والحنين والبكاء والأشواق.. فيشكّل ذلك تياراً من العاطفة الربانية الانسانية يملأ أجواء العقل والنفس و يسري في الأمة شبيهاً بماسرى فيها من رسول الله (ص)، ويحركها كما فعل في صدر الاسلام.

فهل كان اهتمامنا بتفجير هذا التيار في الامة بالمستوى المطلوب؟ أم أنا صببنا أكثر جهودنا على التوعية الفكرية والسياسية بأسلوب رياضي، وعلى التوعية التربوية بأسلوب فيه الكثير من الميكانيكية والقليل من الروح، ولم نوف قضية التعبد وقضية الأخلاق في الاسلام حقّها.

لماذا استطاعت الحركة الاسلامية في ايران أن تفجّر تيار الروحانية العابدة وتيار الأخلاقية المرهفة في الجماهير.. ولم نستطع نحن تحقيق ذلك في بلادنا العربية؟.

*

ومن المسائل التي طرحتها الثورة في ايران مسألة (العلاقة بالأنظمة التي لاتحكم بالاسلام).

فقد طرحنا في الحركة الاسلامية في بلادنا مسألة جاهلية الثقافة غير الاسلامية وجاهلية الأنظمة التي لا تقوم على الحكم الاسلامي.. وحتى جاهلية مجتمعات المسلمين التي يحكمها غير الاسلام.

كما طرحنا مسألة استعلاء الايمان ونمط تعامل المسلم مع الطاغوت، هذا الاستعلاء الذي يقوم على معادلة: أن المسلم العادي أعلى من أئمة الطاغوت، أي أعلى من ريغان واندربوف وأضرابهما.. فكيف

بالطواغيت الصغار الذين يستمدّون قوتهم من اسناد القيادي؟ وكيف بالطواغيت الصغار الذين يستمدّون قوتهم من اسناد الطاغوت لامن الاسلام واختيار الأمة؟

ولكن بقي علينا أن نتقدّم خطوة من مرحلة المفاهيم الاعتقادية هذه الى مرحلة الفقه واستكشاف الأحكام الشرعية التي تحدّد علاقة المسلم وعلاقة الحركة الاسلامية وعلاقة الدولة الاسلامية بهذه الأنظمة على ضوء الواقع الاجتماعي المعاصر.

فماهو النظام الذي نصفه بالجاهلية والطاغوت.. هل أن أشخاصه الحاكم والوزراء فقط؟ أم يشمل الذين هم جزء من سلطة الحاكم ومظهر لسلطانه من كبار ومتوسطي الموظفين؟ وماهو حكم الوظيفة والعمل في أجهزة الدولة التي لاتحكم بالاسلام؟ الأجهزة التي تشرع القوانين الوضعية، والأجهزة التي تنفذ الظلم على المسلمين، والأجهزة التي تؤدّي أعمالاً هي في الأصل خدمات للمسلمين مثل شقّ الطرقات وانشاء المرافق العامة وصيانتها، وأعمالاً صارت بسبب الظلم خدمات للمسلمين مثل تخليص المعاملات وأخذ اجازات العمل والسفر.. الخ.

بقي علينا التقدّم خطوة نحو فقه التعامل مع النظام، تعامل المسلم العادي، وتعامل المسلم القيادي، وتعامل الحركة الاسلامية والدولة.. فحالة الفراغ الفقهي أمام الحركة الاسلامية وأمام الأمة تنتج عنها أضرار كثيرة.. ويختلط فيها الحلال بالحرام، والجاهلية بالاسلام.

وبقي علينا أن نقدّم هذا الموقف الفقهي الى الأمة في طرح سياسيٍ وعملي يجسّد مصداقيتنا. لقد قدّم الشهيد مصطفى شكري وجماعته وخالد

الإسلامبولي وجماعته موقفاً فقهياً من النظام والمجتمع ومصداقية.. ومهما ناقشناهم فلانستطيع إلاَّ أن نحترمهم لأنَّهم ملؤوا مساحة الفراغ هذه وقدّموا أطروحة متكاملة وصدقوا مع أنفسهم.. وكتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم رحمهم الله.

وقدّمت الثورة الاسلامية في ايران موقفاً فقهياً آخر من النظام والمجتمع وممارسته بمصداقية ودفعت الأمة في ايران الى ممارسته..

وبقينا نحن في الحركة الاسلامية في الوطن العربي نخشى أن نملأ منطقة الفراغ الفقهي والسياسي في العلاقة مع الأنظمة حتى لانخسر أعضاءنا وحركتنا، مع أن هذا النوع من التفكير خطأ استراتيجي في العمل للاسلام وخضوع لحساب ومعادلة غير اسلامية..

وكانت النتيجة أن أصبحت هذه المنطقة الفراغ بحراً يغرق فيها مقياسنا الاسلامي، ثم تغرق فيه الحركة..!.

*

ومن المسائل التي طرحتها الثورة في ايران مسألة (الحالة الاستشهادية) في المسلم وفي الحركة وفي الأمة.

هذه الحالة الربانية التي تقدس المسلم والعمل للاسلام وتباركه، والتي تعني لنا الكثير الكثير:

تعني أن نكون على استعداد حقيقي للموت ومغادرة الدنيا.

تعني أن نجعل عدونا في حيرة حقيقية أمام منطق «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ. إِنَّمَا تَقْضِي هٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا».

تعني أن يبرز في عملنا طابع «يَايَحْيىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ».

تعني أن تكون جاذبية أشواقنا الى لقاء الله ونعيمه أقوى من جاذبية الحياة الدنيا بما فيها عمل أحدنا للاسلام.

تعني أن نفرح فرحاً حقيقياً لموت من يموت منّا وأذى من يؤذى في سبيل الله، ونشيع هذا الفرح في الأمة.

تعني أن يكون في يدنا دائماً المبادرة والاقدام والفعل والسيطرة على المعادلة مع العدو، وأن لا تستقر الكرة في مرمانا، ولاتخرج من مرماه إلاَّ لتعود بعد حين.

لقد قدمت الحركة الاسلامية في بلادنا أفواجاً وأفواجاً من الشهداء بلغوا الألوف، وهم من خيرة أبناء الاسلام وفيهم معجزات اسلامية في الصمود أمام التعذيب الوحشي والإغراء.. ولكن المسألة هنا. لماذا لانصل الى الحالة الاستشهادية إلاَّ في يد الجلاد؟

لماذا مارست الحركة الاسلامية في ايران حالة الاستشهاد بطريقة الفعل والمبادرة فقدمت أكثر من ٩٠٪ من شهدائها في حالة الفعل في الشوارع والساحات والأزقة.. وقدمنا أكثر من ٩٠٪ من شهدائنا بطريقة تلقي الفعل والترقب حتى يقبض علينا الظالم كما يقبض الذئب على فريسته المظلومة و يقتلها؟

*

ومسائل أخرى عديدة طرحتها الثورة الاسلامية في ايران، ليس هنا مجال تعدادها وتفصيلها.. ينبغي للحركة الاسلامية في بلادنا العربية أن تبحثها في اطار المراجعة الشاملة والأطروحة الكاملة التي نحتاج اليها، اذا أردنا حقاً أن نعيد أمتنا الى موقعها الطليعي الشاهد على الأمم.

«وَالَّذِينَ آمَنُوا يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ»

أهم نقاط القوة والضعف في الفرس

مهما يقل عن حضارة الامبراطورية الفارسية قبل الاسلام فانَّها من الامبراطوريات الطاغوتية التي أدانها الاسلام وجاء لانقاذ الشعوب من ظلمها.

ومهما يقل عن الديانة المجوسية التي كان عليها الفرس واعتبرهم الاسلام بسببها نوعاً من أهل الكتاب.. فانَّها ديانة جاهلية مشركة جاء الاسلام لازالة ظلامها بنوره.

وقد كان من أبرز مقومات تلك الامبراطورية والجاهلية التعصب القومي والمنطق القومي الذي لم يكن عند الفرس أقل منه عند غيرهم أن لم يكن أكثر بحكم كونهم أصحاب امبراطورية استعمارية.

ولانستطيع القول أنه بانهيار الامبراطورية الفارسية السريع بالفتح الاسلامي ودخول الفرس في الاسلام أفواجاً.. قدحدث فيهم تحول جذري فعوفوا من مرض التعصب وتبنوا منطق الاسلام العالمي، فان مثل هذا التحول يحتاج عادة الى وقت أطول، خاصة أن المجتمع الاسلامي الذي دخلوا فيه لم يكن معافى من مرض التعصب.

لقد شكل الفرس في مدة قصيرة قطاعاً هاماً من مجتمع الدولة الاسلامية ولكنهم كانوا كغيرهم من الشعوب في الابتلاء بمرض التعصب الذي لم يسلم منه كما ذكرنا إلاَّ الأوساط الواعية المتقية من الأمة.

وعلى امتداد تاريخنا الاسلامي ظهرت من الفرس تحركات ونشاطات لانستطيع أن نبرءها من مرض التعصب القومي. فحركة أبي مسلم الخراساني، وحركة البرامكة، وحركة الفضل بن سهل والفتح بن خاقان، وغيرها.. ليست بعيدة في اعتقادي عن مرض التعصب القومي.

ويحسن في هذا المجال أن نلاحظ المواقف الحاسمة للأئمة من أهل البيت عليهم السلام من هذه الحركات وقادتها والذي وصل الى حدّ مساعدتهم للخلفاء العباسيين مع رأيهم السلبي فيهم من أجل احباطها والقضاء عليها.

نعم تستوقفنا في القرون الأخيرة ظاهرة أن الفكر القومي والحركات القومية في ايران لم تعد تلاقي إلاّ نجاحاً محدوداً وموقتاً في حين أن الفكر الاسلامي والحركات الاسلامية تلاقي تجاوباً كاسحاً..

ففي الوقت الذي كان العالم الاسلامي يئن من مرض الانقسامات القومية والاقليمية نجد الايرانيين يثورون في حركة الصفويين الهاشميين ويسلمونهم حكم ايران.

وفي الوقت الذي نجح الغربيون في بعث الروح القومية لتفتيت الدولة العثمانية وكانت الأفكار القومية في سوريا ومصر والعراق وتركيا وغيرها.. مقدسة عند جماهير شعوب الأمة كان الايرانيون يخوضون صراعاً مع النفوذ البريطاني ومع الملوك القاجاريين القوميين الغربيين واستطاعوا بعد أحداث دامية أن يفرضوا في سنة ١٩٠٦م مادة تنصّ على رقابة خمسة من الفقهاء على الدستور وتعطيهم حقّ نقض القوانين المخالفة للشريعة الاسلامية.

وفي الوقت الذي كانت مخططات التغريب ذات الأثواب القومية والإقليمية تسير في العالم الاسلامي على قدم وساق على يد أتاتورك وأشباهه.. كان الايرانيون يقاومون رضاخان القومي الغربي مقاومة ضارية، وكانوا ينظرون باعجاب وتقديس الى منظمة (فدائيان اسلام) التي يرأسها طالب علم هاشمي (الشهيد السيد نواب صفوي) لأنها أردت برصاصها فيلسوف الحركة القومية الكسروية!.

ومن أواخر هذه الظاهرة أن النشاطات القومية لرضاخان وابنه محمدرضا من قبيل محاولات إحياء أمجاد كورش والأكاسرة وربط الشعب الايراني بها كانت مواد ادانة لهما في نظر الشعب الايراني وأحد العوامل التي دفعتهم الى الثورة الاسلامية بقيادة مرجع هاشمي!.

عوامل الظاهرة الاسلامية في ايران

ليست ظاهرة تراجع العصبية القومية التي تحدثنا عنها إلاَّ جزءاً من ظاهرة أكبر هي الظاهرة الاسلامية في ايران التي شهدنا انفجارها في الثورة. فماهي العوامل التي أنتجت هذه الظاهرة؟

ان فطرة الاسلام وسرّه الذي يفعل الأعاجيب في النفس البشرية وفي الشعوب هي الأصل مافي ذلك شك. ولكن ماهي العوامل التي جعلت قلوب الايرانيين تحمل هذا السر بحيوية وفعالية؟

قد يخطر ببال الباحث في تاريخ ايران أن يرجع ذلك الى الحركة الصفوية التي كانت في بداياتها أشبه بالاتجاه الصوفي وأثرت في جماهير الايرانيين وتعاظم أمرها حتى حكمت ايران. فقدأولى ملوكها اهتمامهم

بالحوزات العلمية وبالعلماء والخطباء في أنحاء ايران وأعطوا المراجع مكانة خاصة حتى أن الشاه طهماسب أصدر مرسوماً أمر فيه أجهزة الدولة باطاعة أمر المرجع المعاصر له المحقق الكركي العاملي رحمه الله وذكر فيه أن الفقيه الجامع للشرائط هو الحاكم الحقيقي وأنه يتشرف بامتثال أوامره وتوجيهاته.

ولكن الصحيح أن الحركة الصفوية وان أثرت في تعميق الظاهرة الاسلامية في ايران فقد كانت هي نتيجة لهذه الظاهرة أكثر من كونها سبباً.. فلولم يكن تيار التدين مركزاً في جماهير الايرانيين لما قبلوا بالصفويين حكاماً وهم هاشميون من أصل عربي، ولما قبلوا بمرجعية المحقق الكركي والشيخ البهائي وهما عربيان من لبنان.

في اعتقادي أن عوامل الحالة الاسلامية هي أبعد زمناً وأعمق من الحركة الصفوية، وهي خمسة عوامل: سلمان الفارسي. والقضاء على الكسروية. وقم. وهجرة الهاشميين الى ايران. وقابلية الايرانيين.. وأن هذه العوامل أشبهت أن تكون خطة تلاقت نتائجها وتفاعلت في شخصية الايرانيين في التاريخ البعيد والقريب تفاعلاً هادئاً وعميقاً ولم نشعر بها إلاّ عندما حصل في تراكمها الكمي تطور نوعي وفاجأنا الايرانيون بثورتهم الاسلامية.

فسلمان الاصفهاني الذي تشبه قصته الخيال، المهاجر في طلب النصرانية الى الشام ثم الى نينوى وعمورية.. ثم هاجر في انتظار النبي الموعود الى الحجاز فباعه الأعراب الى يهود خيبر على أنه عبد لهم، ثم باعه يهود خيبر الى أقربائهم من يهود المدينة، وكان يتسقط أخبار ظهور

النبي (ص) في مكة، وفي أول فرصة أمكنته ذهب خفية عن مالكيه لرؤية النبي (ص) في قباء أول هجرته الى المدينة، ولمّا رأى فيه العلامات والآيات أسلم على يده وساعده النبي (ص) والمسلمون حتى أعتق نفسه من اليهود، وحتى بلغ سلمان الفارسي رضوان الله عليه مكانة جعلته من حواريي النبي (ص) حتى فقال فيه «**سلمان منّا أهل البيت**».

وشارك في معارك الاسلام مع النبي (ص) وفي معارك الفتوحات. ومنها فتح بلاده والقضاء على الكسروية، التي كانت حاجزاً يمنع الفرس من سماع صوت الاسلام ورؤية نوره.

ولقد أقر الله عين هذا الفارسي المشرّد فلم يرحل من الدنيا حتى صار باقتراح علي عليه السلام وأمر الخليفة عمر بن الخطاب والياً على المدائن وحكم عاصمة الأكاسرة بالاسلام!

لقد كان سلمان الفارسي شخصية ذات وقع خاص في قلوب المسلمين، وذات جاذبية خاصة للفرس شدتهم لأن يسمعوا اليه و يشعروا أنه رسول النبي (ص) اليهم، بعد أن منعهم كسرى أن يسمعوا من النبي (ص) مباشرة. ولم يقتصر هذا التأثير على فترة حياة سلمان بل امتدّ في أمّتنا الاسلامية وفي أجيال الفرس خاصة..

وقد أشرنا في الحديث عن قم الى هجرة الهاشميين اليها، ونستطيع بنظرة فاحصة في تاريخ ايران الاسلامي وفي تاريخ الهاشميين أن نلمس التأثير العميق الواسع للسادة الهاشميين في تركيز الاسلام وتعميقه في الايرانيين.

فمن ناحية زمنية بدأت هجرة الهاشميين منذ صدر الاسلام وتواصلت

بكثافة على مدى القرون الثلاثة الأولى.. وكانت بين مدّ وجزر في القرون القريبة. ومن ناحية نوعية وعددية كان المهاجرون الهاشميون في الغالب من نوعية الرواة والفقهاء والثائرين الذين يطلبون حقلاً لتبليغ معارفهم الاسلامية أو وسطاً للنهوض معهم في ثورة أو ملجأ يحميهم من السلطة الحاكمة.

ولعل عدد هذه النوعية من الهاشميين بلغ في مجموع ايران منذ صدر الاسلام الى اليوم عشرات الآلاف ممّا يجعل ايران المركز الأول للثورة والفقه لدى بني هاشم بالرغم من انتشارهم في أجزاء الوطن الاسلامي الأخرى.

و يتضح ذلك بمراجعة ثورات الطالبيين في أمثال كتاب (مقاتل الطالبيين) وكتاب (مناقب آل أبي طالب) وكتاب (روضات الجنات) في تراجم العلماء وغيرها.. وبمراجعة هجرات بني هاشم الى القارة الهندية وشرق آسيا التي أنطلق أكثرها من ايران. و يبلغ عدد أبنائهم اليوم في ايران بضعة ملايين نسمة! و يكفي أن نعرف أن منهم الامام الخميني دام ظلّه والسادة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والعديد من الوزراء وكبار المسؤولين وعدد كبير جداً من العلماء في أنحاء ايران.

ومن ناحية جغرافية غطّت هجرة الهاشميين كل مناطق ايران: من بلاد ماوراء النهر التي هي تحت الاحتلال الروسي فعلاً، الى محافظة خراسان فامتداد ساحل قزوين الى حدود تركيا شمالاً، ومن حدود باكستان وأفغانستان الى سيستان و بلوشستان وهرمز والأهواز وايلام جنوباً.. الى كل مدينة ومنطقة هامة في ايران..!.

و يعتني الايرانيون باحترام العلماء والصالحين والهاشميين منهم بصورة خاصة، و يسمون الهاشمي (السيد أو الشريف) كما يسميه العرب أو (امام زاده) أي ابن الامام لأنَّه من ذرية أحد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

وعن قابلية الايرانيين التي توفّرت لها العوامل الأربعة المتقدمة نقتصر على الصفات الثلاث التي يدلّ عليها الحديث النبوي الشريف المتواتر «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوكَانَ الإِيمَانُ مَنُوطاً بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِن فَارِسٍ» وهي: الايمان. والهمة العالية. والنفس الطويل.

صلّى الله عليك يارسول الله ما أبلغ منطقك وأجمعه. إن الايمان الذي هو التصديق بالاسلام والتفاعل معه منسجم مع الفطرة البشرية وسهل التناول على الناس، فلماذا افترضت أن يكون معلقاً في الثريا وأن رجالاً من الفرس يتناولونه لامحالة؟.

ولكن حديث النبي (ص) ليس عن حركة شخص نحو الايمان ليقال ان الايمان في متناول يده، بل عن حركة شعب يكون بديلاً للعرب إن هم تولوا عن الاسلام «فَقَالُوا: يَارَسُولَ اللَّهِ مَن هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ إِن تَوَلَّينَا اسْتُبْدِلُوا بِنَا؟ فَضَرَبَ عَلَىٰ مَنْكِبِ سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: هٰذَا وَقَوْمُهُ.. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْكَانَ الإِيمَانُ مَنُوطاً بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِن فَارِسٍ» ومثل هذه الحركة قدتكون طويلة ودونها الصعاب، فهي تحتاج الى مثل هذه الصفات التي يتحرك بها الايرانيون نحو الهدف، و يصلون.. مهما تكن الطريق والصعاب!.

وقد اعتبرناها ثلاث صفات: الايمان الذي هو الهدف. والهمة العالية التي تدفعهم اليه. والدأب والنفس الطويل الذي به يصلون.

وقدورد في بعض صيغ الحديث الشريف لفظ العلم والحكمة بدل الايمان، ولم نعتبرهما صفتين مستقلتين لأن الايمان بمعناه الكامل يتضمّن العلم والحكمة، ولأن تناوله من الثريا يتوقّف على العلم والحكمة..

ولكن مايريد النبي (ص) أن يقوله في هذا المثل البليغ ليس تعداد صفات وأنها ثلاث أو خمس أو عشر .. إنه يقول: إن في هؤلاء القوم (حالة أو نزعة حبّ الحق والسعي اليه بدون شروط و بدون حدود) وهي تتضمّن وتستلزم عدداً من الصفات التي توجد في قوم سلمان بأعمق ممّا توجد في غيرهم، ولهذا يصل رجال منهم الى مستويات ايمانية لايصل اليها غيرهم و يقودون قومهم ويحملون الاسلام للعالم.

ولكن .. هل يتحدث النبي (ص) عن امكانية هذا البديل أو عن حتميته؟ أمّا الآية الكريمة «وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَايَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ» فهي تتحدث عن بديل العرب كامكانية وفرضية مشروطة بأن يتولّى العرب عن النهوض بمستلزمات الاسلام.

وأمّا النبي (ص) فهو يتحدّث في تفسير الآية بشكل يوحي بحتمية وقوع هذا الاستبدال الإلٰهي في المستقبل. ويمكن القول إن الفرضيات الإلٰهية في القرآن الكريم أو القضايا المشروطة ليست سواء من حيث احتمال وقوعها وعدمه، وأن أنواعاً من الفرضيات السياسية والاجتماعية في القرآن تدلّ على حتمية وقوعها، كما يدلّ عليه استقصاء هذا النوع.

كما يمكن القول بأن تفسير النبي (ص) للآية يدلّ على وقوع الاستبدال أيضاً.. ولكن الأفضل أن نأخذ في هذا الموضوع بالقدر المؤكد

المسلّم به وهو مجرد الامكانية في الآية ومجرد الإيحاء بوقوع استبدال العرب بالفرس، في التفسير النبوي وهما لا يشكّلان دليلاً.

فلابدّ لاثبات حتمية وقوع الاستبدال من دليل من غير الآية والحديث الشريف، والحق أن هذا الدليل موجود أولاً في بداهة تولي العرب عن الاسلام في عصرنا الحاضر ونهوض قوم سلمان به. وثانياً في الأحاديث الشريفة المتعددة التي تدلّ على أن الفرس ينهضون بالاسلام في آخر الزمان و يقاتلون العرب عليه عوداً كما قاتلهم العرب عليه بدءاً، وأنهم يمهدون للمهدي عليه السلام و يكونون أنصاره.. إن مجموعة هذه الأحاديث المتواترة في المعنى على الأقل تدلّ على حتمية وقوع هذا الاستبدال وتفسّر لنا نوعية القضية الشرطية في الآية الكريمة، ونوعية الحالة التي يقسم عليها النبي (ص) بقسمه الحاسم المقدّس «والذي نفسي بيده».

بل توجد أحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية تصرّح بأن عملية استبدال العرب قدتمّت «بأبناء الموالي المعتَّقين» الذين أقبلوا على الايمان وعلوم الاسلام في حين بدأ تراجع العرب.[1]

(١) تفضل الصديق العلامة الخالصي ببعض المناقشات حول عوامل الظاهرة الاسلامية في ايران تضمنت ملاحظات قيمة، وأسجل تقديري لعامل جديد ذكره سماحته لم أجده عند غيره وإن كنت لاأوافقه على أنه العامل الوحيد وهو: أن التكوين الجغرافي لايران يختلف عن غيره، فبينما تشكل المدن في بلادنا العربية مثلاً واحات في وسط الصحراء وتقوم الصحراء بدور تبديد المخزون والتجربة الحضارية والاجتماعية.. تشكّل المدن في ايران حزاماً دائرياً للصحراء ممّا يجعل الصحراء الايرانية تتأثر بحزام المدن ولا تستطيع تبديد المخزون الحضاري، ولذلك يحتفظ الايرانيون بالتجربة بدرجة عالية جداً.

كيف يتناول الفرس الايمان من الثريا

نستعرض فيما يلي بعض الملامح لثلاثة أنواع من الحركة جرت وتجري في المسلمين الايرانيين: حركة في النفس، وحركة في المجتمع، وحركة نحو هدف الاسلام.. لكي نرى فيها كيف يتناول الفرس الايمان من الثريا.

في ميدان النفس:

زرت طهران في فصل الشتاء، وكنت سمعت عن الأجواء الروحانية الخاشعة في مجلس دعاء كميل ليلة الجمعة، وهو دعاء ومناجاة علّمه الامام علي عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رحمه الله و يعقد المسلمون في ايران مجالس لقراءته ليلة الجمعة.. وتأسفت عندما حلت ليلة الجمعة وكان البرد شديداً والثلج غزيراً لأن ذلك سيمنع من انعقاد المجلس، ولكن قيل لي أن المجلس لايتعطّل والناس يقصدونه في كل الظروف!.

اتجهنا الى مدرسة الشهيد مطهّري في وسط طهران فرأينا أن حركة السير تزداد كلّما اقتربنا من المكان..

ترجّلنا بعيداً عن المدرسة لأنهم أخلوا الساحة والشوارع المحيطة بها من السيارات كانت قراءة الدعاء قدبدأت والناس ملؤوا المدرسة بمسجدها

الكبير وساحاتها الواسعة وامتدوا الى الخارج وجلسوا في الساحة والشوارع يتقون تساقط الثلج بمايتيسّر من مظلّة أو غطاء للرأس أو معطف، و يقرؤون الدعاء!.

هل يصدق الناس في العواصم الباردة أن الألوف أو عشرات الألوف من الطهرانيين يخرجون من بيوتهم في مثل هذا الجو ويجلسون في الشوارع ساعتين تحت الثلج لقراءة الدعاء؟!.

نعم تحت الثلج، وفوق الثلج أيضاً، فقدرأيتهم يجلسون على ماتيسّر لهم: بساط عادي أو مفرش من السيارة، أو معطف يجلس عليه اثنان و يغطيان رأسيهما بالمعطف الآخر، أو قطعة نايلون أو كارتون.. و بعضهم يجلس القرفصاء..! والكل باتجاه القبلة يتابعون فقرات الدعاء مع القارىء، وتشعر أنَّهم يحفظونها و يفهمون معناها، أو يتابعون الموضوعات التي يطرحها القارىء بالفارسية تعقيباً على مفاهيم الدعاء.. أو يأخذ الواحد منهم البكاء فينطلق في التضرّع الى ربّه عزّوجلَّ يطلب منه المغفرة و يطلب حاجاته.. ثم يعود الى متابعة الدعاء..

لولا الحياء لتجوّلت بين الناس أنظر في وجوههم ودموعهم وأسمع ضراعاتهم، وأتعلّم منهم كيف يدعو المسلم ربّه..

وقفت خلف شاب في حوالي الثلاثين من عمره، كان جالساً و يرتدي معطفاً يغطّي رأسه، وتحاشيت أن يشعر بوجودي حتى لاأزعجه في دعائه.. ولكنه كان في حالة لايشعر معها بالثلج المتساقط على رأسه و بعض وجهه ولايشعر بأحد.. كان منفصلاً عن متابعة الدعاء مع القارىء و يتكلّم مع الله تعالى و يبكى حتى ينقطع كلامه.. ثم يعود الى

الكلام.. وأي كلام.. كان يتكلّم مع الله تعالى بكل وجوده، و يتوجّه اليه بكل مشاعره، وان الكلمة الواحدة لتخرج من صدره وجوداً حيّاً يحمل من أجزاء روحه و ينبض بها؟.

سمعته يقول: خدايا، أي: إلٰهي و يطلقها نداءاً عميقاً حزيناً طويلاً.. و ينفجر بعدها بالبكاء... ثم يمسك بكاءه و يواصل دعاءه.. فهمت منه أنه يقول: ياإلٰهي أنت رحيم محب.. وأنا بعيد عنك... ذنوبي.. ليلة الجمعة.. العفو.. جئت اليك.. أريد منك التوفيق.. النجاة من النار.. الشهادة..

أرى أمامي ظاهرة وليس شاباً طهرانياً.. أرى عالماً يموج بالأفكار والمشاعر يخاطب ربّه.. أين عنه علماء النفس والاجتماع والتصوّف.. بل أين عنه المسلمون المتدينون.. ليتعلّموا كيف يقولون: ياإلٰهي..

آه لوكان ندائي لله تعالى يحمل حرارة وحرقة وأشواق هذا الشاب. لقدقالها مرة وهو يرمق بنظره الى السماء و بكى.. فأحسست كأني في مشهد القيامة، وأن المنطقة المغطاة بالثلج جزء من ساحتها، وأن هذا المسلم جاثٍ بين يدي الغفور الرحيم يرفع اليه قضيّته وستنزل عليه الرحمة وتشملني معه..

وفي داخل مسجد المدرسة كان المشهد أعظم وأكثر تأثيراً.. فعندما يصل القارىء الى مقاطع يرددها الحاضرون معه مثل: يارب يارب يارب، أو يارب ارحم ضعف بدني، عن النار.. يتجاوب الدوي والدموع الى عنان السماء.. وعندما يطلب القارىء عنهم طلباً من الله تعالى فيرفعون أيديهم وأصواتهم بقولهم (إلهي آمين) تشعر بعبوديّة

المسلمين الضارعة الراغبة..

خرجنا في الساعة الحادية عشر ليلاً ونظرت الى الساحات والشوارع ممتلئة بالحركة والنشاط كأنها في وسط النهار، وسيارات النقل الحكومي تنقل الناس مجاناً الى مناطق طهران المختلفة.. ولكنها حركة أكثر سروراً وأكثر تهذيباً من حركة الناس في النهار، انَّك تحسّ الرضا في قلوب أفواج الناس.. فقدجاء الواحد منهم الى مجلس الدعاء ووضع نفسه بين يدي الله عزَّوجلَّ وطرح قضيّته وقدّم طلباته.. لقداتّصل هذا الجزء المحدود المقصّر ببحر الوجود المطلق والحبّ المطلق والفيض المطلق عزوجلَّ.. ومن كانت له قضية كهذه فلماذا لايأتي الى مكان طرحها ولوتحت هطول الثلج أو حرارة الشمس؟.

ماهذا التحوّل في مسلمي ايران؟ انَّه الايمان يفعل العجائب في الشخصية..

ومن أين يأتي الايرانيون بالايمان؟.

انَّهم يتناولونه في ليلة الجمعة من الثريا، وصدق رسول الله (ص).

فماذا يتناول أعداؤهم تلاميذ الغرب في ليالي الجمعة؟.

*

أحد القضاء برزا اسمه في محاكمة أعوان الشاه.. زار مدينة الأهواز وعند مدخل المحكمة الثورية شكت اليه امرأة أن حرّاس المحكمة منعوها أن تقابل زوجها المتَّهم بالمشاركة في مؤامرة شاهوربختيار وتوسّلت اليه أن يسمح لها بمقابلته. فأمر القاضي مسؤول حرس المحكمة أن يسمح لها بذلك، ولكن الحارس لم يقبل فغضب عليه القاضي وضربه.. فقال له

الحارس سوف لاأقول لك شيئاً، ولكن لا تجعل ثقتي بك تتزعزع.

ودخل القاضي في موكبه الى ساحة المحكمة، ولكن الحارس كان سبقه وأخبر قاضي الأهواز بوصول القاضي المعروف وبما حدث معه عند الباب.. فخرج القاضي واستقبل زائره وسأله عمّا حدث مع الحارس فأخبره. قال له قاضي الأهواز: انَّ الحق مع الحارس لأن ارتباطه الشرعي بقاضي الأهواز، والقاضي الزائر قدعيّن قاضياً خاصاً لمحاكمة أعوان الشاه وهذا التعيين لايشمل المتهم الذي أرادت زوجته مقابلته.

عندئذ التفت القاضي الزائر الى خطئه فقال على الفور: اذن أنا أستغفر الله ومن حق الحارس أن يقتصّ مني فيضربني.

وكان مشهداً رائعاً عندما استدعوا الحارس ووقف أمامه القاضي المشهور بسطوته، وكلّمه بأن له الحق أن يقتصّ منه وأدار له خدَّه، فتقدّم الحارس.. وقبّله وعفا عنه!

لقد تناول هؤلاء الايمان من الثريا.. فكانت قصة من قصص صدر الاسلام.

في حركة المجتمع:

أكمل الناس احدى تظاهراتهم العديدة المديدة.. وكانوا منصرفين الى منازلهم فحصل حادث اصطدام بين سيارتين لم يصب بسببه أحد ولكن احداهما تضرّرت، وحدثت منازعة طويلة بين صاحبيهما، فقصدا ضابط البوليس القريب وعرضا عليه الأمر وطلبا اليه أن يرى الحادث

ففاجأهما الضابط بقوله:

أنتم ضد هذا النظام ولا تثقون بنا، فنحن غير مسؤولين عنكم.. اذهبوا الى الخميني لكي يحكم بينكما! وكان الامام يومها في باريس.

عندما سمعا كلامه.. رجع كل منهما الى نفسه، فما كان من أحدهما إلاَّ أن أخرج دفتر شيكات وكتب لصاحب السيارة المتضررة شيكاً بمبلغ يكفي لتصليح سيارته وقدّمه الى صاحبه قائلاً:

ـ أرجو أن تسامحني فالحق عليّ وهذا الشيك من الامام الخميني.

فتناول الرجل الشيك وقبّله ووضعه على رأسه وقدّمه اليه قائلاً:

ـ شكراً، وهذا هدية لك من الامام الخميني، ولا أريد منك شيئاً.

وصافح كل منهما الآخر، وانصرفا تاركين ضابط البوليس مذهولاً.. لقد هزهما ابن النظام، وذكرهما أنهما عائدين من عبادة اسلامية.. فارتقت نفساهما فتناولا الايمان من الثريا وعالجا به المشكلة!.

*

قال أحد زملائه:

كان بين مجموعتنا في الجبهة أشبه بملاك متوهّج بالنور.. يخدم الجميع بحب ويريد أن يحتضنهم في قلبه.. يصلّي فيبكي.. ويقرأ القرآن وتفسيره بالفارسية فتضطرم نار الايمان بين جنبيه.. ويقرأ الدعاء فتحلق روحه بأجنحتها البيضاء، وتكاد من أشواقها الى ربّها أن تفارق جسده..

كانت هذه حالته ليل نهار، كأن روحاً ملائكية ألقيت عليه.. وكأنّه جاء الينا من الجنة فهو لا يستطيع أن يكتم حنينه الى ملئها

الأعلى.. يدعو بالشهادة بفرح من نوع عجيب، و يقول: ادعوا لي ياإخواني. لاشك أنّكم تحبون لي أن أذهب الى الجنة. أحبّ أن أكون معكم. ولكني أحبّ أن أذهب أمامكم الى لقاء الله..

فاذا تساقطت القنابل وهطلت زخات الرصاص طفح بالاستبشار والأمل.. واذا شارك في قتال أو عملية اندفع أمامنا كأسد أفلت من قيوده، أو كمتيّم مشتاق يخطو الى حبيبة عمره.. أو كطائرة اندفعت من مدرجها لتعانق الفضاء..

قلت له وقد أردت أن أزور أهلي في اجازة: يامحمد هل معك صورة تهديها لي للذكرى؟ قال: لا ياأخي. قلت: لابأس، اكتب في الرسالة لأهلك أن يعطوني صورتك. فأطرق محمد لحظة ثم قال: ياأخي ليس عندي في البيت إلاّ صوري من أيام الجاهلية. قلت له: لتكن أي صورة.. وأعطاني أهله صورة له من عهد الشاه لشاب على آخر طراز من الخنافس الغربيين الذين يقضون وقتهم بين السينما والملهى ومحلات الفليبرز والحانات.

كيف حدث هذا التحوّل في ابن شمال طهران المترف ومن أين جاءه هذا الايمان؟ لقد تناول الخميني الايمان من الثريا ونثره على شباب ايران.

والذين امتلأت قلوبهم من نثاره صاروا ملائكة في أثواب شبان وفتيات؟

في الحركة نحو هدف الاسلام:

ذهبنا بعد فتح منطقة البستان لنتفرج على المناطق المحررة.. وبعد مدينة سوسنكرد بقليل قالوا: هذه (مرتفعات الله أكبر) وهي ربوات وكثبان رملية ترابية تمتدّ على يمين الطريق في أرض مبسوطة كالصحراء.

كانت هذه المرتفعات لبعض الوقت الحد الفاصل بين القوات الاسلامية وقوات نظام صدام، وقدشهدت كل واحدة منها ملاحم بطولية حتى حررتها الله أكبر.

ولكن المشهد كان فيما بين المرتفعات والطريق.. في مسافة بضعة كيلومترات من الأرض المبسوطة المستوية التي لازالت حقلاً واسعاً مملوءاً بالاسلاك الشائكة والألغام. في طرف هذا الحقل من جهة الطريق.. كان المشهد:

نحو ثلاثين جثة لابناء الاسلام متناثرة.. بعض أجزائها بين الألغام، وبعضها بين الاسلاك ! فقداحتاجوا الى عبور هذا الحقل أثناء المعركة وطلب قائدهم أن يتقدّم ثلاثون مقاتلاً يضحّون بأنفسهم ويفتحون لاخوانهم الطريق فتقدّم جميع من كان في مقابل الحقل وقدّموا أنفسهم! وكان عددهم حوالي تسع مئة فاختار القائد منهم هذه المجموعة للعبور على الألغام!

أي ناس هؤلاء.. وأي ايمان دفعهم الى اقامة هذا العرس الاسلامي.. ؟

بعض الناس لم يستطع أن يواصل النظر اليهم فأدار وجهه .. ولكني أمسكت تأثري فرأيت الساحة مغطاة بأجزاء الأجساد الطاهرة حفلة عرس إلٰهية، والملائكة لازالت قائمة تظللها بأجنحتها، وأفواجهم لازالت تهبط بالرياحين والورود وتتمسح في هدوء بالأجساد والتراب، وتعود مزغردة الى السماء؟

والجزء الآخر من المشهد: نقله الضباط الأسرى العراقيون، كانوا نحو ثلاثين ضابطاً سمعت منهم وتحدثت اليهم، وسألتهم:

- هل كنتم تعرفون بموعد الهجوم الايراني؟

- قالوا: لم نكن نعرف بالضبط ولكن كنّا نتوقع ذلك وكنّا في حالة استنفار.

- قال أحدهم: قبل الهجوم بيوم شعرنا بذلك لأنّا وجدناهم في الصباح قدّموا الساتر الترابي الى حدود حقل الألغام.

- سألته في أي منطقة كان ذلك؟

- قال: عند المرتفعات التي يسمونها مرتفعات الله أكبر من جهة طريق البستان -سوسنگرد فعرفت أنه يتحدث عن حقل الألغام اياه الذي رأيته بالأمس. سألته:

- قدّموا الساتر الترابي في طول عدة كيلومترات ولم تشعروا بهم؟.

- قال لم نشعر بذلك حتى رأيناه في الصباح.

- سألتهم كم طول الساتر الترابي وكم عمقه؟

- قالوا: طوله أكثر من ثلاثة كيلومترات. وارتفاع التراب يتراوح بين متر وثلاثة أمتار.

ـ قال أحدهم: أنا أيضاً كنت في المنطقة وقال لي أحد الجنود: سيدي يوجد صوت بلدوزر. فقلت له: انه من جهتنا.

سألته: كم قدّموا الساتر الترابي.

قال: كانت المسافة ١٨٠٠ متراً فقدّموه ألف متر الى قرب حقل الألغام الذي يبلغ عرضه ٨٠٠م.

قلت: كم عدد جنود كم الخفر الذين كانوا مقابل الساتر الترابي؟

فحسبوهم على حسب الأفواج فبلغ عددهم ستين جندياً، ولكن أحدهم اعترض وقال: كنّا في استنفار والمفروض أن يكون الأكثرية مستيقظين.

قلت لهم: أنتم مثقفون فأرجو أن تفسروا لي كيف أن عدة مكائن بلدوزر عملت ليلاً على مقربة من مئات الجنود ولم يشعروا بها؟ هل لذلك تفسير مادي؟

قال أحدهم: في حين أن أي بلدوزر لنا كان يريد العمل تأتيه قنبلة ضوئية ثم يضرب.

قالوا: لا يوجد لذلك تفسير مادي.. فأظهرت التعجب من امداد الله لجنوده.

قال أحدهم: لماذا تتعجب..؟ أنا وخمسون جندياً معي أسرنا ايرانيان اثنان..

قلت: وكان معكم أسلحتكم؟

قال: نعم أسلحتنا وذخائرنا، وأحدهما بقي في الشاحنة ونزل الآخر وأنذرنا فرفعنا أيدينا وسلّمنا.

قلت: ولم تدافعوا عن أنفسكم ولم تطلقوا طلقة واحدة؟

قال: أبداً.

قلت: لماذا؟

قال: (معنو يات ماكو)

قلت: لماذا لا توجد لديكم معنو يات؟

قال: لماذا نكذب على أنفسنا. الجماعة على حق، وعندهم عقيدة يقاتلون عنها، أمّا نحن فعلى ماذا نقاتل؟

وسألتهم عن سبب كثرة البلدوزرات الجديدة التي أخذها الايرانيون غنائم؟

فقالوا: طلبت قيادة القاطع مئات البلدوزرات من أجل اقامة سدود ترابية عالية تحيط بقطاعاتنا وخصصوا لمنطقة البستان مئة وعشرين بلدوزراً، ولكنها لم تستطع العمل بالشكل المطلوب.

وعادت بي الذاكرة الى قصص الفتح الاسلامي لبلاد فارس، والى تحصين الفرس لمدنهم وقواتهم بالخنادق وحسك الحديد، واختراق المسلمين العرب لهذه التحصينات في المدينة تلو الأخرى والموقعة تلو الأخرى.. وأنهم كانوا يعبرون الخنادق والمناطق المزروعة بحسك الحديد بخيولهم أو مشاة و يستشهد العديد منهم.!

وذكرت منها قصة في فتح السوس وتستر وهي منطقة شوش وشوشتر التي تشملها الحرب الآن، وأن الفرس كانوا يقتلون الجنود الفارّين، وأنهم أمسكوا أحد الجنود في هذه المنطقة فأتوا به الى حاكم مدينة شوش فبادرهم الجندي وكان رامياً للنبل:

ـ لا تقولوا انّي جبان، ولا تقولوا لست ماهراً في رمي السهام، ضعوا لي حجراً على بعد كذا .. فوضعوا له حجراً فسدد اليه سهمه فأصابه وفلقه، وقال:

ـ والله ان سهمي يفلق الحجر، ولكنه لايؤثر في هؤلاء العرب شيئاً ؟

قالوا: لماذا ؟

قال: لأنهم على حق .

وعادت بي الذاكرة الى أن النبي (ص) وعد المسلمين بأنهم سيهزمون كسرى و يأسرون الفرس أفواجاً بالسلاسل وأن الفرس سيدخلون الاسلام .. قال (ص) «رأيت ناساً من أمتي يساقون الى الجنة في السلاسل كرهاً، قيل: يارسول الله من هم ؟ قال: قوم من العجم يسبيهم المجاهدون فيدخلونهم الاسلام» سنن أبي داود ج ٣ ص ٥٦ ... وقارنت ذلك بما أراه اليوم:

سبحان الله .. انَّ مايقوله جنود صدام نفس ما كان يقوله جنود رستم وهرمز، وحالتهم كحالتهم. ومانقرؤه عن بطولات الجيش الاسلامي العربي الفاتح نراه في القوات الاسلامية الايرانية !

انها حقاً القادسية كما يقول صدام ولكن الاسلام فيها هذه المرة من هذا الجانب والجاهلية من الجانب الآخر. وهاهم العجم يضربوننا على هذا الدين عوداً كما ضربناهم عليه بدءاً .. فكيف جرى التاريخ ؟ وكيف تبادلنا المواقع ؟

لعن الله حكّام العرب الخونة وأئمتهم أئمة الكفر العالمي، ولعن معهم العلماء الفسقة .. انهم يتناولون الجاهلية والكفر من أبي جهل وأئمة الكفر العالمي و يسوقون بها جماهيرنا العربية .. بينما يتناول الفرس الايمان من

الثريا و يأخذون به موقع آبائنا في صدر الاسلام!

*

قال الإعلام الأمريكي: ان الخميني استطاع أن يلعب مع الايرانيين لعبة الموت، وأن يقنعهم بالشهادة والجنة!

وقال أحد العراقيين الظرفاء:

أي شعب يتحمل من قيادته ماتحمله الشعب الايراني من الخميني؟ من أول الثورة الى اليوم تظاهرات وتضحيات، ثم حدثت الحرب فجعلهم يشدّون الأحزمة على البطون، و يقدّمون ألوف الشهداء.. وهاهو يقول لهم: بعد العراق أمامنا القدس وفلسطين.. ومن العجيب أنهم يتحملون و يصبرون!

فقيل له: لقدتحمل الشعب العراقي من صدام أضعاف ذلك!

قال: أتكلم عن التحمل الطوعي الاختياري.

وقال الإعلام الاوروبي: انَّ الذي جعل الوضع الاقتصادي في ايران متماسكاً فلم يحتاجوا الى الاقتراض من أحد وجعلهم يسددون أثمان مشترياتهم من السلاح وغيره، ورفع سمعتهم التجارية، ووفّر لهم احتياطياً بضعة عشر مليار دولار.. يعود الى سببين:

الأول: أنهم حافظوا على تصدير نفطهم. والثاني: أنهم تمكنوا من خفض الاستهلاك على صعيد الحكومة والشعب.

وقال بعض ناقصي الايمان: ان الامام الخميني جعل الايرانيين يعيشون في موجة تصوّف فيضحون برفاهيتهم وأموالهم وأنفسهم في سبيل الثورة.. ولكن الى أين ستصل موجة التصوّف هذه..؟

وعندما أراد أحدهم أن يناقشه أسكته بعصبية وقال: ياأخي لايمكن للناس أن يعيشوا على الغيبيات.. إن موجة التصوّف والغيبيات التي في ايران غير معقولة، ولابدَّ أن يعود الناس الى الواقع المادي الملموس.

ولكن المسألة في الايرانيين أعمق من مثل هذه النظرات الخاطئة والمغالية والمجزوءة. المسألة في الموقع الذي أصبح فيه المسلمون الايرانيون. الموقع السياسي العالمي الذي يدركون أنهم فيه، ومنه يتحركون.

المسألة في الأمر الذي يفكر به الرجل العادي في القرية والمدينة، والموظف في الدوائر الحكومية والمسؤولون على رأس الأجهزة، والجندي وحارس الثورة وقياداتهم..

سل الرجل العادي والمرأة والشاب.. فستجد أنهم أصبحوا حملة قضية المسلمين والمستضعفين في العالم، وقضية محاربة أمريكا واسرائيل وبقية القوى الكافرة.. وأنهم يعيشون هذه القضية عيشاً حقيقياً ويعتقدون أنهم سائرون في العمل لها بدون توقف، في خنادق الجبهات الداخلية كما يعبرون عن عمل غير المقاتلين، وفي جبهات القتال.. وأنهم بعد تحرير العراق سوف يتوجهون حتماً الى القدس.. وأن رأس الأمر في هذه القضية أن يطيعوا الامام الخميني ليس فقط فيما يأمر، بل فيما يشير ويومىء ويرغب ويحب.. فهو المجتهد الجامع للشرائط، وهو المرجع المقلَّد، والحاكم الواجب الإطاعة، وهو نائب الامام المهدي عليه السلام.

المسألة أنهم أخذوا موقعنا في صدر الاسلام، وأن طموحاتهم أصبحت عالمية واستعدادهم للعمل والتضحية من أجلها عميق طويل

بلاحدود.. وأن مظاهر العطاء التي تراها منهم هي جزء من مخزون كبير وزخم كبير.. لقدأصبح الرجل القروي في ايران يفكّر على مستوى العالم تفكيراً عملياً لاشكلياً.. فحب المسلمين والمستضعفين وعداء أمريكا والكفر العالمي يتوقد لهيباً في داخله، ومانراه من أنواع التضحية وخفض الاستهلاك ومن الحب الحقيقي والشعور بالأخوة مع الثائرين في وجه أمريكا وروسيا والذي يسميه بعضهم بالتصوف والتعلق بالغيبيات.. ماهو إلاَّ جزء من مخزونه الكبير من هذا الحبّ والبغض، وهل الدين إلاَّ الحب والبغض؟

وهل انطلق المسلمون الأوائل لتحرير العالم بالاسلام إلاَّ بهذا الحب والبغض الكبير المقدس؟ وهل قال عنهم الإعلام الكافر آنذاك، ورماهم بالتصوّف والجنون والقومية التوسعية إلاَّ كما يقول عن مسلمي ايران الجديدة؟

الذاكرون والضياطرة

الصورة القديمة الجديدة

نرسم أولاً صورة الحادثة التي يرويها ابن أبي الحديد وغيره. يقول: «جاء الأشعث اليه وهو على المنبر فجعل يتخطّى رقاب الناس حتى قرب منه ثمّ قال له: ياأمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك ـ يعني العجم ـ! فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان: مالنا وللأشعث؟ ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لايزال يذكر! فقال عليه السلام:

«مَنْ عَذِيرِي مِنْ هٰؤُلاءِ الضَّياطِرَةِ؟ يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ عَلىٰ فِراشِهِ تَمَرُّغَ الْحِمارِ، وَيَهْجُرُ قَوْماً لِلذِّكْرِ! أَفَتَأمُرُني أَنْ أَطْرِدَهُمْ؟! ما كُنْتُ لأَطْرِدَهُمْ فَأكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَيَضْرِبُنَّكُمْ عَلىٰ الدِّينِ عَوْداً، كَما ضَرَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ بَدْءاً».

الزمان: في خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام، أي بعد فتح بلاد فارس بنحو خمس وعشرين سنة دخل أثناءها أكثر الايرانيين في الاسلام، وأقبل العديد منهم على تفهمه واستيعاب علومه.

والمكان: مسجد الكوفة، الذي يروى أنه منزل نبي الله نوح عليه السلام ومسجده، وأمير المؤمنين يخطب على منبره وقد احتشد المسلمون ليغترفوا من فيض علوم رسول الله (ص)، و بكّر الايرانيون بالحضور الى المسجد فكانوا مجموعة بارزة في مقدمة المصلين والمستمعين.

في أثناء الخطبة جاء الأشعث بن قيس متأخراً، وهو رئيس عشيرة

كندة الكبيرة وأحد زعماء العرب البارزين، ولم يجلس في آخر المصلين كما تقضي الآداب الاسلامية بل قصد مقدمة المجلس.. يشق الصفوف و يتخطى الرقاب.. حتى اذا رأى احتشاد الايرانيين وحرصهم على القرب من المحراب والمنبر لم يتماسك غيظه فقال بصوت مرتفع مخاطباً أميرالمؤمنين وقاطعاً عليه خطبته:

ــ ياأميرالمؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك!

فضرب أميرالمؤمنين برجله على المنبر يقول بذلك للأشعث: ماذا قلت! ماذا فعلت! ثم أطرق يفكّر في معالجة الموقف بعلاج الاسلام.

أما صعصعة بن صوحان وهو من خيرة تلاميذ أميرالمؤمنين عليه السلام فقد أدرك خطورة ماحدث. لقد طرح الأشعث خلافة المسلمين على أنها قيمة دنيو ية يملكها العرب الذين هم الأشعث وأشباهه، وأنها أصبحت مهددة بهؤلاء المسلمين الجدد الذين أحاطوابالمنبر والامام، وصاروا أقرب اليه من الأشعث.

كما أدرك ابن صوحان المعادلة الاسلامية التي يؤمن بها أميرالمؤمنين عليه السلام: فلاالاسلام ومنصب الخلافة قيمة دنيو ية، كما يطرح الأشعث.

ولاميزان الأولو ية بالاسلام والامام هو القومية ورئاسة العشيرة والثروة، كما يريد الأشعث. ولاهؤلاء الايرانيون المقبلون على الاسلام هم بالصورة التي يراها الاشعثيون وتزدريها أعينهم.

وكأنَّ أميرالمؤمنين استعرض في سكوته صورتين ممتدتين في تاريخ الأنبياء عليهم السلام:

صورة المؤمنين المستضعفين المتعطشين الى معرفة رسالة الله تعالى، فهم يلتفّون حول الأنبياء والأوصياء والعلماء..

وصورة المترفين المنافقين الذين يتكبرون عليهم ويحتقرونهم..

وكأنه عليه السلام وهو مطرق في مسجد الكوفة قد حدّق في التاريخ وآيات القرآن فتجسدت له في هذا المكان صورة المؤمنين المستضعفين حول نبي الله نوح عليه السلام وهم يواجهون منطق المكذبين من قومه.. فرأى نفسه في ذات الموقف.. ورأى الأشعث وريثاً لأولئك الاشاعثة.. فقرر أن يضع حداً لهذا المنطق الكافر الذي تبجح به صاحبه في بيت الله تعالى!

رفع أميرالمؤمنين عليه السلام رأسه معرضاً عن الأشعث، ووجه خطابه الى المسلمين وبين لهم معادلة الاسلام ومعادلة الأشعث، وختم ذلك بالقسم على بعض ماأخبره به رسول الله (ص) عن مستقبل هؤلاء الملتفين حول المنبر!

عناصر شخصية الضيطر

في شخصية الأشعث وأفكاره عناصر متعددة تجعله في طليعة القومين المنافقين، مثل محاولته أن يرشي أميرالمؤمنين ليوليه على بعض بلاد المسلمين، واشتراكه مع ابن ملجم وقطام في قتل أميرالمؤمنين، وماعرف عنه من شربه الخمر، وقتل ابنته جعدة زوجها الامام الحسن عليه السلام بالسمّ، واشتراك ابنه محمدبن الأشعث في قتل الامام الحسين عليه السلام في كربلاء.. ولكننا نتخطى ذلك الى العناصر الثلاثة التي

ذكرها أميرالمؤمنين عليه السلام ، وهي : فراغ الشخصية، والسلوك الحيواني، والتكبر على عباد الله الذاكرين.

«من عذيري من هؤلاء الضياطرة، يتمرّغ أحدهم على فراشه تمرّغ الحمار، ويهجر قوماً للذكر».

ان لفظة الضياطرة المميزة لترسم صورة الشخصية المجوفة وان بدا صاحبها هيكلاً ضخماً كالطبل، فالحقيقة الأولى في هؤلاء الأشعثين فراغ شخصياتهم من الفكر والهدف.. فلاهم مسلمون عقائديون يحملون الاسلام و يعملون لهدفه، ولاهم كفّار عقائديون، ولامنحرفون عقائديون، يحملون هدفاً بميزان سياسي و يعملون له!

إن باستطاعتك أن تصنف الرجال من حيث مضمونهم الذي يملأ شخصيتهم ووقتهم الى ماشئت فتقول: مسلم هادف. وأمريكي هادف. ويهودي هادف. وأوربي هادف. وشيوعي هادف.. ولكن يجب أن تدع مجالاً لنوع من الشخصيات التي لامضمون لها من الفارغين أو الضياطرة أو الأشعثين.. فهؤلاء في عالم الفكر والفعل السياسي.. فراغ، وهواء تصفر فيه الرياح.

فماذا يملأ شخصية الضياطرة اذن؟

يقول عليه السلام: انه التمرّغ على الفُرُش كالحمير، بكل مايعنيه التمرّغ من: بلادة، واخلاد الى النوم والشهوة، وتقلب من التخمة، وترف، وكسل عن العمل..

يقولها عليه السلام بدون تردد ولامجاملة، فتلك هي الحقيقة القاسية التافهة التي تملأ شخصيات الضياطرة، والهدف الوحيد الذي تحمله.

وموقفهم من الذكر وأهله ناتج طبيعي عن خوائهم وسلوكهم الحيواني هذا.. فذكر الله تعالى مضمون للشخصية، وأهله جادون في هدف وطريق.. والضياطرة فصيل مسطح يحب الفراغ والتمرّغ في الغبار، و يكره العمق والمضمون والجد والهدف.. ويمقت أجواء التدين والذكر والفكر والعبادة.. و يبغض أهل هذه الأجواء.

فهل عرفت السبب الذي من أجله يكره ضياطرة بلادنا العربية التدين والمتدينين؟ يكرهون مجالسنا ولايطيقونها، و يكرهون وجودنا، و.. اسمنا.

*

وهل عرفت السبب في امتلاء المنطقة بالفعل الاسرائيلي والأمريكي وفراغها من الفعل العربي..؟ اللهم إلاَّ من غبار المتمرغين يغطي سحابه القصور والدور والملاهي والبارات و وسائل الاعلام!

وهل رأيت كيف عمّ تيار الضياطرة في بلادنا وسيطر عليها، وهاهم لايتركون تمرغهم على فرشهم إلاَّ ليصبوا على أهل الذكر ازدراءهم واحتقارهم واضطهادهم!

وهل رأيت كيف يلتف أهل الذكر في ايران وفي ساحة أمتنا الاسلامية كلها حول منبر الخميني يتعلمون منه ذكر الله تعالى وجهاد الضياطرة وأئمتهم أئمة الكفر العالمي؟

انَّ الذين ينفخون أبواق النفير لمواجهة خطر المدّ الاسلامي القادم من ايران، و يرفعون عقائرهم بالخوف على العرب والقومية العربية من خطر الفرس.. انّما هم الضياطرة والأشاعثة.

أمّا الجماهير المتعطشة الى ذكر الله تعالى واستيعاب تعاليم الاسلام.. فهم أخوة في الله لأب وأم.. عرباً كانوا أم فرساً أم تُركاً وهنوداً وأفارقة..

«إِنَّ سُرعَةَ ائْتِلافِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إذَا الْتقَوْا وَإنْ لَمْ يُظْهِرُوا التَّوَدُّدَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، كَسُرْعَةِ امْتِزاجِ مَاءِ السَّماءِ بِماءِ ٱلأَنْهارِ.

وَإنَّ بُعْدَ ائْتِلافِ قُلُوبِ الْفُجّارِ إذَا الْتقَوْا وَإنْ أَظْهَرُوا التَّوَدُّدَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَبُعْدِ ائْتِلافِ قُلُوبِ الْبَهائِمِ وَإنْ طَالَ اعْتِلافُها عَلىٰ مِذْوَدٍ واحِدٍ».

وصدق الله ورسوله، وكذب الضياطرة.

*

كنوز الطالقان

«وَيْحاً لِلطّالِقَانِ فَإنَّ بِها لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُنُوزاً لَيْسَتْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، وَلٰكِنْ بِها رِجالٌ عَرَفُوا ٱللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ.. وَهُمْ أَنْصارُ الْمَهْدِيِّ في آخِرِ الزَّمانِ».

ما أشوق حديثك يا أرض الطالقان.. يا واحة تنبت كنوزاً دونها كنوز الذهب والفضة.. وشبّاناً بعمر الورود ينحني أمام معرفتهم العلماء.. وأمام مقامهم كبار المجاهدين والشهداء.. مقام بلغ أن بشر الله تعالى بهم على لسان رسوله (ص)، وادخرهم أنصاراً ووزراء لوليه المهدي (ع) في عمله الكبير الكبير..

هل رأيتم يا أهل الطالقان أحداً منهم؟ هل سمعتم شيئاً عنهم؟

آه لو عرفت منهم أحداً لخدمته طول عمري.. ولكن الله أخفى أولياءه في عباده الى أن يبلغ أمره..

حدِّثونا يا أهل الطالقان، يا أهلهم، عن السرّ الذي تنبت به عندكم معرفة الله عزَّ وجلَّ؟

هل هو موقع منطقتكم على سفوح جبال آلبرز وفي أعاليها؟ وأنها مجموعة قرى لا مدينة فيها؟

أم هو اهتمامكم بالقرآن تعلمونه لأبناء ايران، حتى اقترن في أذهانهم تعليم القرآن بأهل الطالقان؟

أم هو نمط حياتكم البسيطة الصافية، والعلاقات التي تكونت بينكم؟

أم عبادتكم في الليل، التي عرفت عن الكثيرين منكم؟

علّمونا كيف انتصرتم على أثقال الطين، وأصبحتم منبتاً لكنوز النور؟..

قال رجل من الطالقان:

أيّها السائل، انظر الى هذا الخير العامرة به قلوب أجيال من الناس كيف ينقدح زناده في القلب فيعمر به و يفيض بالبركات..

إنَّ نور الفطرة ونور التوحيد هما المنبع لهذا الخير الذي تراه في الناس... ينابيع، وسواقي، وجداول، وأنهاراً، وحدائق مورقة مثمرة، في كل جيل.. ومنها يصدر هذا النور الذي تراه مشرقاً في ظلمات الأرض.. ينبعث من الناس في القرى والمدن والجبال والسهول.. على قدر مخزونهم.. ومضاً من النور، أو خيوطاً، أو حُزَماً أو تياراً، أو يكون فوّاراً. يتوهّج، أو مشكاة تتوقّد..

إنَّ الفطرة ياصاحبي غرسة نور إلٰهية في باطن الانسان.. يكاد زيتها

يضيء ولولم تمسسه نار.. فاذا مستها نار التوحيد أضاءت، واتّقدت، وفاضت بالخير. على قدر طاقتها المخزونة، وعلى قدر الوقود.

وقد كان ولايزال لهذين النورين في كل جيل قصة، وعند كل انسان.. كيف يحافظ على نور فطرته و ينميه ويحميه، فيصبح به انساناً سو يّاً. وكيف يتفاعل مع نور الإيمان و يأخذ منه نصيبه..

وفي عباد الله الخيّرين نماذج لم يقف أحدهم في كدحه الى ربّه عند أن يغلب نوره على ظلمته وخيره على شرّه.. بل واصل المعايشة والمعاناة بكامل فطرته و بكل مخزونه.. حتى توقّد باطنه بمعرفة الله تعالى، وأشرق وجوده بنوره.

ياصاحبي: يتمايز الناس في أمور كثيرة، ولكن التمايز الحقيقي إنّما هو في شعلة قلب أحدهم، ماهي ؟ وكم هي؟

وفي كلّ قلب شعلة، ولولم يشتعل قلب الانسان لمات!

وفي قلب الانسان بقاع أشبه بتراب المعادن عطشىٰ للنار، تلحّ عليه الواحدة أن يضرم شعلتها.. فإن هو فعل هاجت به شهوتها تطلب الوقود، واضطرم القلب ناراً ودخاناً واستعر كالتنور. ثمّ لم يهدأ أبداً.

وفي قلب الانسان تربة بيضاء هي معدن الفطرة تناديه أن يقدح شعلتها بزناد التوحيد. فان هو فعل تطامنت جنبات قلبه، وأضاءت بنور أنصع بياضاً من الثلج، وأهدأ انسياباً من النسيم، وأشد توهّجاً من رأد الضحى، وأعمق اضطراماً من نار الغضى..

ياصاحبي.. اطفىء من قلبك شعلة شهوات الدنيا.. واقدح فيه شعلة المعرفة، وتعهدها، وضمّ على كنزها قلبك. فأنت كنز الله في أرضه.

*

وبعد، فان ظاهرة كنوز الطالقان وأمثالها توجب علينا أن نعيد النظر في القيمة التي نعطيها للعلم في بناء شخصيتنا الاسلامية.

ترى، ألم يسرف الكتاب الاسلاميون المعاصرون في اعطاء القيمة لكمية المعلومات التي يعرفها المسلم عن الاسلام؟

ألم يسرف العاملون في الحركة الاسلامية في بذل الجهود والأوقات من أجل ضخّ المعلومات الاسلامية في أذهان الناس، باعتبار أن الثقافة الاسلامية هي المنطلق، والوعي الاسلامي هو الأساس؟

هل من الأصالة الاسلامية أن نتجه بمفهوم العلم الاسلامي والوعي الاسلامي والمعرفة الاسلامية والثقافة الاسلامية نحو كمية المعلومات والمهارة العقلية، أي نحو الحجم الكتلوي والحالة المهنية، أكثر من اتجاهنا في العمق نحو القلب واضطرام شعلته بمعرفة الله تعالى؟

هل أخذنا هذا المنحى الكمي المهني في مفهوم العلم والوعي والمعرفة من القرآن والسنة، أم من غيرهما؟

وهل حققنا هدف الاسلام عندما خرجنا جيلاً من الدعاة يحملون في أذهانهم كميات وافرة من المعلومات الاسلامية، ويملكون مهارات فائقة في الكتابة والمحاضرة والتنظير للاسلام.. ثم لايملكون في قلوبهم جذوة المعرفة ولهيبها؟!

قال رجل من الطالقان:

الأمر يبدأ يابني قبل المدرسة والكتاب والأستاذ.. من هذا القلب الذي بين جنبيك، وشعلته التي بين يديك.. منه يبدأ العلم والجهل، والنور والظلمة، والقرب والبعد..

والسرّ يابني ليس في الجامعات والكتب، وانّما في هذه الجذوة التي تقدحها في قلبك من نوري الفطرة والوحيد. فاعرف قيمتها وبركتها فانها: علم العلوم، ونور العلوم، ومفتاح العلوم.

انّما العلم يابني سقي لما زرعته في قلبك، فانظر ماذا زرعت، وماذا تسقي؟

ووقود للشعلة التي أضرمتها في قلبك، فانظر على أي شعلة تضع الوقود؟

والعلم يأخذ لونه وطعمه وحجمه من ظرفه، والقلب ظرفه، فانظر أي ظرف تملأ بالعلم؟

وانّما يكون العلم «علماً» ونوراً اذا حلّ في قلب اتقدت جذوته وأضاءت شعلته.. أما اذا حلّ في القلب المظلم فيكون ظلمة! ألا ترى يابني أن الأمي الذي أضاء هذه الجذوة في قلبه أفضل من العالم الذي أطفأها كما يقول الامام الصادق عليه السلام:

«تَرىٰ الرَّجُلَ لايَكادُ يُخْطِىءُ بِلامٍ وَلاواوٍ خَطِيباً مِصْقَعاً وَإنَّ قَلْبَهُ لأَظْلَمُ مِنَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ! وَتَرىٰ الرَّجُلَ لايَكادُ يُبِينُ عَمّا في نَفْسِهِ وَإنَّ قَلْبَهُ لَيَزْهُرُ كَالْمِصْباحِ».

أما اذا أضاء مصباح قلبه.. وأوقد شعلته بالعلم..

اذا غرس فيه شجرة المعرفة، وسقاها بالعلم..

اذا نقاه من أهداف الدنيا، وملأه بالعلم.. فهو من الذين يقول الحق تعالى عنهم «يَرْفَعُ ٱللّـهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ»

وهؤلاء العلماء هم نور الله في أرضه، وأدلاّء عباده، وأمناء رسله وأنبيائه.

وأول الطريق يابني أن تخرج قلبك من ظلمات الحيرة والخداع وتجعله

صادقاً. فالحيرىٰ من الناس متأرجحة قلوبهم أبداً، يتلفتون في كل صوب.. و يصغون الى كل نداء.. ثم لايعرف أحدهم ماذا يريد، ولأيّ نداء يستجيب، وزناد أي شعلة في قلبه يقدح «كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي ٱلأَرْضِ حَيْرَانَ.. لَهُ أَصْحَابُ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ: ائْتِنَا. قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ».

وحيرة القلب كلها ظلمة.. ابتداء من الحيرة الكبرى بين الكفر والاسلام.. وحتى الحيرة الصغيرة في الاختيار بين عملين أحدهما لله، والآخر للدنيا.

والمخادعون، أشعلوا في قلوبهم نار الشهوات فأصبحت الدنيا همهم وهدفهم، ولها سعيهم.. و يزعمون أن هدفهم الله تعالى والآخرة، وأن نار شهواتهم هي نور المعرفة «يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ».

والخداع كله ظلمة.. ابتداء من الخداع الأكبر عند الذين يقولون آمنا بالله واليوم الآخر وماهم بمؤمنين.. وحتى الخداع الصغير في فعل أو قول.

والصادقون، اختاروا طريقهم فنجوا من الحيرة، وصدقوا مع أنفسهم فسلموا من النفاق. استجابوا لنداء واحد فلايلتفتون الى غيره، وسلكوا طريقاً واحداً فلايعدلون عنه.

*

ياأهل الطالقان، يامنجبي أولياء الله.. هاأنا ألقي معلوماتي ومهارتي، وألقي قلمي وأوراقي.. لكي أتعلم في مدرستكم.. فالمعرفة عندكم، تشع

من بيوتكم وحقولكم، وسوف تشرق على كلّ الأرض من قلوب أبنائكم.. إني أشم منكم عطرهم، وأرى في جباهكم نورهم.. فكيف يدخل الانسان في العارفين؟

قال شيخ من الطالقان:

أول المعرفة يابني: الصدق، وان للصدق طمأنينة في القلب يعرفها صاحبها، ونوراً في القول والعمل يراه الناس من حوله.. وفي حياة كل انسان بعد ذلك مواقف تشبه مواقف الآخرة يمتحن فيها فيظهر معدنه و ينكشف سرّه.

سل قلبك واطلب اليه أن يصدقك الجواب: هل تريد الله واليوم الآخر؟ فان قال نعم، فأعد عليه السؤال:

إن ذلك يعني أنك ترفض الدنيا الحرام: المال الحرام قل أم كثر، والمقام الحرام كبر أم صغر، واللذة الحرام بأنواعها واغرائها..

فإن قال نعم، فاعد عليه السؤال:

إنَّ ذلك يعني أنك ترفض الدنيا الحلال التي من شأنها أن تلهي عن ذكر الله واليوم الآخر.. فهل أنت كذلك؟

فإن قال نعم، فاسأله:

من الناس من يريد الله تعالى ورضاه ولكن بشرط، أو بشروط. ومنهم من يريد رضاه عزَّ وجلَّ بلاشروط.. كما قال رسول الله (ص): «إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلاأُبَالِي» وكما قال جعفرابن أبي طالب رضي الله عنه: «اللهم انك تعلم أني لوأعلم أن رضاك في أن ألقي بنفسي من شاهق لفعلت. اللهم انك تعلم أني لوأعلم أن رضاك في أن أضع قائم سيفي في صدري

وأتكىء عليه حتى أموت.. لفعلت».

فان قال قلبك: أريد رضا الله تعالى بلاشروط فاقبل منه، ثم امتحنه في العمل..

انظر الى حالته عندما يقال له عن فعل: هذا حرام لايرضى به الله تعالى، هل يمتلىء نفرة واشفاقاً؟ أو يقال: هذا واجب يأمر به تعالى، هل يمتلىء تحفزاً واشفاقاً؟

وانظر في أيام حياتك، وشهورها، وسنواتها.. لم سعيك، وماذا تريد من حياتك، هل أن رضا الله تعالى شغلك الأول وهمّك الأكبر؟ أم يتقدّم عليه شغل الدنيا وهمّها؟

سل قلبك ماذا أريد من عملي هذا، وذاك، وذلك؟ الآخرة أم الدنيا؟

وسل قلبك كلّما قطعت مرحلة من عمرك: ماهو الأمر أو الأمور التي تشغلني فعلاً، وفي هذه الأيام، وهذه الشهور؟ هل مازال هدفي أن يرضى ربّي عنّي.. أم زال؟

فاذا رضيت عن اجابات قلبك.. ثم نجحت في امتحان المواقف والمنعطفات التي تمرّ بها الحياة.. فأنت صادق ثابت على الصدق، برىء من ظلمات الحيرة والنفاق.. وماأعظمها درجة!

ان المعرفة يابني سلوك، وانّما تتجمع خيوط شعلتها من أداء هذا الواجب وترك ذاك الحرام، وفعل المستحب وترك المكروه، فاطلبها عن هذا الطريق، فان من طلبها عن غير طريق الشريعة تاه في الظلمات.

والمعرفة يابني نتيجة، فلاتجعلها هدفاً، فان من جعلها هدفاً لم يصل اليها أبداً..

وبعد، فان كنوز الطالقان اذ يقدمون لنا النموذج الاسلامي للعارفين بالله حق معرفته، يكشفون لنا جوانب الخطأ في مفهومنا المألوف عن المعرفة والعارفين.

إنَّ شخصيتهم تختلف عن شخصيات العارفين المألوفة في مجتمعاتنا الاسلامية، والمجتمعات الأخرى في العالم.

فهم أبناء فلاحين من منطقة ريفية زراعية .. وعارفون.

وهم مقاتلون أشداء .. وعارفون

وهم سياسيون على مستوى عالمي .. وعارفون.

وعرفانهم يختلف عن العرفان المألوف عندنا، حتى في بعض أوساط طلبة العلوم الدينية...

رأيت بعض الطلبة مشغوفاً ببعض العارفين يتحدثون عن شخصيته وسلوكه وكراماته: شيخ جاوز السبعين من عمره، بهي الطلعة، عليه نور الايمان، يعيش عيشة متواضعة في بيت عادي، دائم الذكر لله تعالى، يقضي أيامه في الصلاة والأدعية وقراءة القرآن والأوراد .. لاشغل له بأمور الدنيا، لاينازع أحداً ولايختلف مع أحد، يحب كل الناس، وقدأصبح موضع ثقتهم واشتهر بين الطلبة وعند الناس .. يزورونه لطلب الدعاء والبركة فيرون من دعائه الخير .. وأكثر ماينتفع به الناس أنه يستخير لهم بالسبحة أو القرآن الكريم على عمل ينوي صاحبه القيام به فيخبره هل توجد مصلحة في فعله أم لا، وربما كشف الله له فعرف الأمر الذي نويته فيخبرك عنه ويوجهك بشأنه ..

سألت عن موقفه من الثورة الاسلامية فقالوا مؤيد للثورة وللامام

الخميني و يقول انه من العارفين، ولكنه لايتدخل في الأمور الاجتماعية والسياسية.

سألتهم كيف أمضى هذا العمر الطويل؟ فقالوا على هذا النمط من السلوك.. فأوشكت أن أحبّه أو أزوره وأطلب منه الموعظة.. ولكن أهل الطالقان كان لهم فيه رأى آخر..

قال أحدهم:

يابني، إن الله عزَّ وجلَّ أنزل للناس شريعة أمرهم فيها ونهى، وأحب وكره، ولن ينال أحد رضاه تعالى أو تنقدح في قلبه شعلة معرفته إلاَّ عن طريق الالتزام بها والعمل لتطبيقها في الناس.

فهل أمرت الشريعة بالعزلة عن الناس، أم بخلاف ذلك؟

وهل أمرت الشريعة بترك قضايا المسلمين العامة الاجتماعية والسياسية، أم أمرت بالاهتمام بها والعمل لها؟

يابني كيف يكون عارفاً بالله تعالى من عاش أكثر من خمسين عاماً يرى معاصي الله تعالى من كل نوع ثم لم يغضب لله بفعل ولاقول!

و يرى العاملين لتحكيم شريعة الله تعالى يقاومون أعداءه الظالمين والكافرين و يتلقون منهم أنواع القتل والنفي والظلم.. ثم لم يرض لرضا الله تعالى ولم يؤيدهم بفعل ولاقول..!

كيف أفتت له معرفته أن لايخرج يوماً فيقف في سوق من أسواق المسلمين أو في مجمع من مجامعهم، او على منبر من منابرهم... فيصرخ غاضباً لغضب الله تعالى وراضياً لرضاه!

يابني، إن من لم يجعل هدفه رضا الله تعالى باقامة دينه في الناس،

لايكون عارفاً، ولن يقربه من المعرفة أنه جعلها هدفاً فهو يطلبها بالعزلة عن الناس، و بالاكثار من الصلاة والأدعية والأوراد..

يابني لوكان في قلب صاحبك نور المعرفة لأشرق عندما تفجر نورها في ايران ولذاب في تيارها وامامها كما فعل الشهيد العارف دستغيب رحمه الله.. وإذ لم يكن كذلك ولم يعرف عنه في حياته أمر بمعروف ونهى عن منكر فهو قاصر الادراك او مخادع، ونور المعرفة لايحلّ في قلب لاعقل معه، أو لاصدق فيه.

يابني خير لك اذا أردت أن تستخير الله تعالى أو تطلب بركة أحد من عباده العارفين أن تقصد مقاتلاً على ثيابه غبار الجبهة وعلى جبهته نورها.. أو عالماً عاملاً للاسلام يتحمل الأذى و يتكبد العنت في سبيل مرضاة الله تعالى.. أو مؤمناً له قلب ينبض لهما يفرح لفرحهما ويحزن لحزنهما.. فتلك القلوب هي الهادفة لرضا الله.. والغاضبة لغضبه، والمشتعلة بنور معرفته..

يابني، لوأن أنصار المهدي عليه السلام من كنوز الطالقان وكنوز قم والري وخراسان كانوا مولودين اليوم لما كانوا إلاّ بين هذه القلوب وفي خضم هذه المسيرة العارفة بالله تعالى، الممهدة لوليه المهدي عليه السلام.. ومايدريك أنهم ليسوا بينهم روحي فداهم.

الايرانيون ومعركة قرقيسيا

قرقيسيا، كما يذكر الحموي في معجم البلدان «بلد على نهر الخابور وقرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ، وعندها مصب نهر الخابور في الفرات، فهي في مثلث بين الخابور والفرات» فهي في شمال سوريا قرب الحدود السورية التركية العراقية، وهي اليوم أطلال تقع بقربها مدينة دير الزور السورية.

ومعركة قرقيسيا موعودة منذ القدم فقد ورد ذكرها في سفر الرؤيا إصحاح ٩ عدد ١٤ــ١٥ قال «صدر الأمر للملائكة الكبار عند نهر الفرات العظيم لكي يقتلوا ثلثي الناس».

وورد ذكرها عندنا في أحاديث كثيرة في مصادر السنة والشيعة لايبعد أن تبلغ في أصل المعركة حد التواتر، وقدتضمنت عدة تفاصيل، مثل سبب المعركة والأطراف التي تشترك فيها ونتائجها. وقدذكرنا في أول الفصل نماذج منها وعدداً من المصادر التي روتها، وهي أكثر من ذلك حتى لا تكاد تخلو منها أحاديث السفياني في مصدر من المصادر.

أما سببها فهو الكنز الذي يكتشف أو يظهر عند نهر الفرات أو في مجراه «يَنْحَسِرُ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ فَيُقْتَلُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ سَبْعَةٌ فَإِذَا أَدْرَكْتُمُوهُ فَلا تَقْرَبُوهُ»، «الْفِتْنَةُ الرَّابِعَةُ ثَمَانِيَةُ عَشَرَ عَاماً ثُمَّ تَنْجَلِي حِينَ تَنْجَلِي وَقَدْ انْحَسَرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ تُكِبُّ عَلَيْهِ الأُمَّةُ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ سَبْعَةٌ» رواهما ابن حماد (ص ٩٢ مخطوطة).

وقد عبرت بعض الأحاديث بالكنز مطلقاً بدون تخصيص، وفسره ابن كثير بكنز الكعبة حيث لم يلتفت الى الأحاديث الأخرى التي تعين المكان في قرقيسيا. وهذا الاطلاق في الكنز المختلف عليه يفتح باب الإحتمال أيضاً لأن يكون معدناً غير الذهب والفضة كالنفط وغيره، وقد سمعت أن البحث عن البترول جار في تلك المنطقة.

وتوقيت المعركة الوارد في الحديث (عند انجلاء الفتنة الرابعة التي تدوم ثمانية عشر عاماً) يشير الى فتنة بلاد الشام التي يحتمل أن يكون ابتداؤها بالحرب الأهلية في لبنان.

وأما الأطراف المشاركة فيها فهي السفياني، والترك والروم، بينما يكون اليمانيون والايرانيون على علاقة غير مباشرة بها.

فبعد أن يستولي السفياني على بلاد الشام و يقضي على معارضيه يتوجه بجيشه الى العراق وفي طريقه تكون هذه المعركة، فهي ذات صلة بالأوضاع المضطربة في العراق من جهة وان كانت تأخذ صفة خاصة وتصبح السيطرة على الكنز هدفها.

و يظهر من الأحاديث الشريفة أن السفياني والترك والروم هم الأطراف الأساسية في معركة الكنز بينما الأطراف الأساسية في العراق هم: السفياني والخراساني واليماني. ويمكن تفسير كون الترك طرفاً في الصراع بأن منطقة الكنز تقع على الحدود التركية، أمّا الروم أي النصارى الغربيون فيدخلون طرفاً في المعركة بحجة حماية بعض الأطراف في المنطقة كما نشاهد في تدخلاتهم في بلاد المسلمين، أو بحجج أخرى..

وماذكره ابن كثير من أن أطراف النزاع هم ثلاثة من أولاد الخلفاء

يقتتلون على الكنز ثمّ لايكون لأحد منهم، ووردت فيه بعض الأحاديث وأن اسم اثنين من هؤلاء الثلاثة عبدالله وأن أحدهما السفياني.. فمن القريب أن يكون هؤلاء الثلاثة هم الواجهة السياسية للروم والترك وقدورد أن عبدالله الذي يهزمه السفياني يرجع الى الجزيرة، والمرجح أنه يكون الى جانب جيش الروم.

كما أن مواجهة الروم والترك للسفياني في هذه المعركة لا تتنافى مع الأحاديث الأخرى التي تدلّ على ارتباط السفياني بالروم، فإن تعدد الدول الغربية والصراع فيما بينها للسيطرة على بلادنا يسمح أن يكون السفياني مع طرف منها ضدّ طرف آخر، مضافاً الى الروس الذين هم من الروم النصارى أصلاً.

وتذكر الأحاديث أوصافاً ضخمة لمعركة قرقيسيا مثل أنها «لَمْ يَكُنْ مِثْلُهَا مُنْذُ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ» بشارة الاسلام ص١٠٣، «وأنها مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ يَشِيبُ فِيهَا الْغُلَامُ وَ يَرْزُقُهُمْ ٱللَّهُ الصَّبْرَ وَ يَرْفَعُ عَنْهُمْ النَّصْرَ، وَأَنَّهَا يُقْتَلُ فِيهَا سِتُّونَ أَلْفاً وَمِئَةُ أَلْفٍ وَأَنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ وَسِبَاعَ الأَرْضِ تَشْبَعُ مِنْ لُحُومِ الْجَبَّارِينَ».. الخ.

وتذكر عن نتائجها أن السفياني يكسب المعركة ويهزم الروم والترك «فَيَرْجِعُ الْمَغْرِبِي إلىٰ الْجَزِيرَةِ بَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ مِنَ الطَّرَفَيْنِ مِئَةُ أَلْفٍ» البحار ٥٢ــ٢٢٠ و يقتضي أن يكون انسحاب الاتراك الى تركيا، أما الكنز المختلف عليه فلايكون نصيب أحد من الأطراف المتصارعة لأن التطورات السياسية والعسكرية المتلاحقة تمنع الطرف المنتصر ـالسفياني ـ من استثمار الكنز وتجعل همّه السيطرة على العراق قبل أن

تدخل اليه القوات اليمانية والايرانية «فَيَسْبِقُ (أي السفياني) اليَمانِي إِلىٰ الْعِراقِ» البحار الصفحة السابقة والغيبة للطوسي ص ٢٧٩.

«كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلىٰ ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِراٰياٰتِهِ فِي ضَوٰاحِي كُوفَانٍ، فَعَطَفَ عَلَيْهٰا عَطْفَ الضَّرُوسِ، وَفَرَشَ ٱلأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي ٱلأَرْضِ وَطْأَتُهُ. بَعِيدُ الْجَوْلَةِ، عَظِيمُ الصَّوْلَةِ.. وَٱللّٰهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرافِ ٱلأَرْضِ حَتَّى لاٰيَبْقىٰ مِنْكُمْ إِلاّٰ الْقَلِيلُ» نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٤.

«إِذٰا بَلَغَ السُّفْيٰانِيُّ الْكُوفَةَ وَقَتَلَ أَعْوانَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَقَتَلَ رَجُلاً مِنْ مُسَمَّيهِمْ، خَرَجَ الْمَهْدِيُّ عَلىٰ لِوٰائِهِ صٰالِحُ بْنُ شُعَيْبٍ» البحار ٥٢ـــ٢٠٨.

و يدخل السفياني العراق و يسيطر عليه و يقتل فيه خلقاً كثيراً، قبل أن يصل الجيش اليماني والايراني. وتذكر بعض الروايات أن جيشه يعيث فساداً في الكوفة ثمانية عشر يوماً، و يشير بعضها الى أنه يبقى في العراق تسعة أشهر.. ومن العراق يرسل السفياني جيشه الموعود الى الحجاز فيسيطر على المدينة المنورة ثم يتوجه الى مكة المكرمة للقضاء على حركة المهدي عليه السلام فيخسف الله بهم قبل وصولهم الى مكة...

ولا تطول مدة سيطرة السفياني على العراق حتى يدخل الجيشان اليماني والايراني «فَبَيْنَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ خَيْلُ الْيَمٰانِيِّ وَالخُراٰسٰانِيِّ يَسْتَبِقَانِ كَأَنَّهُمٰا فَرَسا رِهٰانٍ شُعْثٌ غُبْرٌ جُرْدٌ... وَهُمْ ٱلأَبْدٰالُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ ٱللّٰهُ فِي كِتٰابِهِ الْعَزِيزِ «إِنَّ ٱللّٰهَ يُحِبُّ التَّوٰابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» البحارج ٥٢ ص ٢٧٤ وج ٥٣ ص ٨٣.

وتتضمن هذه الرواية فقرة تصلح أن تكون اشارة الى حرب عالمية تقع عند هذه النقطة من سير الأحداث «فَيُقْتَلُ يَوْمَئِذٍ مٰابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

ثَلاثَةُ آلاف ألفٍ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْوِيلُ هٰذِهِ الآيَةِ «وَمازَالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ».

أما سبب تأخر الايرانيين واليمانيين في دخول العراق فهو التطورات السياسية الهامة التي تتلاحق في الحجاز حيث تبدأ حركة ظهور المهدي عليه السلام «إذا خَرَجَتْ خَيلُ السُّفْيانِي إلىٰ الْكُوفَةِ بَعَثَ في طَلَبِ أَهْلِ خُراسانَ، وَيَخْرُجُ أَهْلُ خُراسانَ في طَلَبِ الْمَهْدِيِّ» بشارة الاسلام ص ٨٤ والحاوي ج ٢ ص ١٤٢.

و يتوفق الخراسانيون للاتصال بالمهدي عليه السلام والتنسيق معه فيرسل في جيشهم نفراً من أصحابه و يدخلون العراق..

«بَيْنا هُمْ كَذٰلِكَ إذْ تُقْبِلُ راياتُ هُدىً مِنْ خُراسانَ تَطْوِي الْمَنازِلَ طَيّاً حَثِيثاً وَمَعَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحابِ الْقائِمِ» بحار ج ٥٢ ص ٢٣٧.

*

يبقى سؤالان حول معركة قرقيسيا. الأول: لماذا لم يشارك الايرانيون في المعركة مع أن قواتهم تكون على مقربة منها؟

وجواب هذا السؤال أن المعركة ليست معركتهم لامن حيث هدفها في السيطرة على الكنز ولامن حيث أطرافها الذين ليس فيهم راية هدى، ولذلك يتخذون قرار الابتعاد عن المعركة وانتظار نتيجتها.

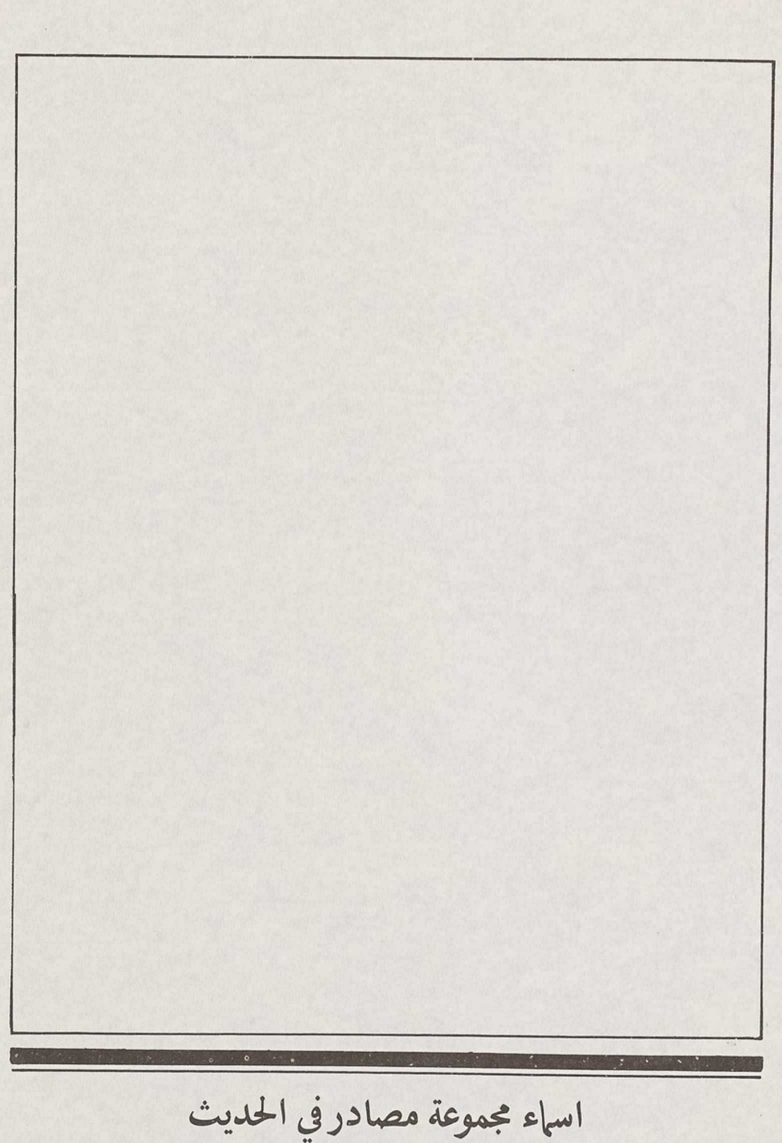
والسؤال الثاني: ان عدم مشاركتهم في المعركة لايبرر انسحابهم من العراق الى ايران الأمر الذي يفسح المجال لقوات السفياني لتسيطر على العراق وتعيث فيه فساداً؟

والجواب أن انسحابهم من العراق كما تذكر بعض الأحاديث يكون

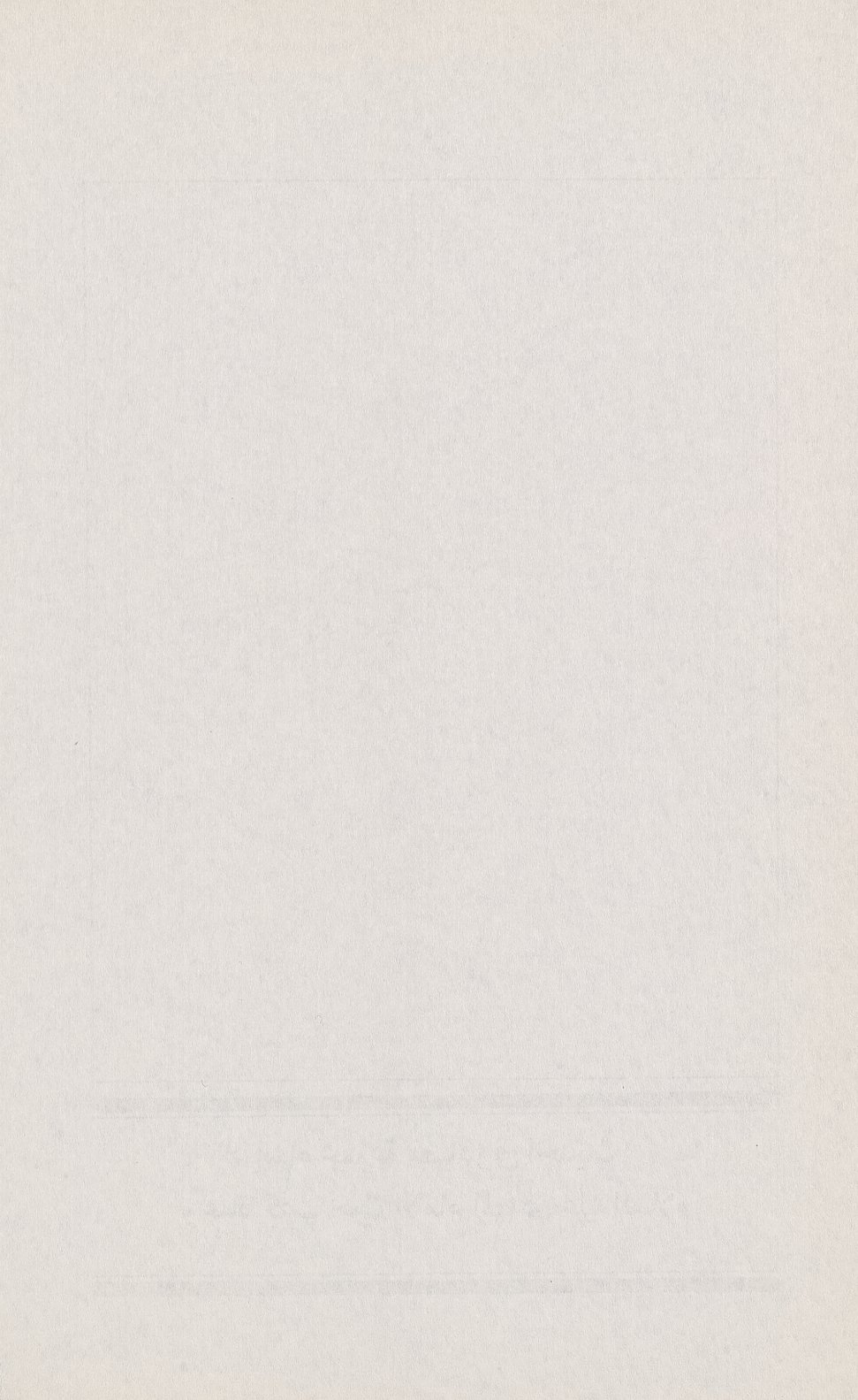
اجراءاً اضطرارياً بسبب خلل يطرأ في الوضع الداخلي في ايران وهو الخلل الوحيد الذي تذكره الأحاديث في دولة الممهّدين للمهدي عليه السلام «ثُمَّ يَنْفَتِقُ عَلَيْهِمْ فَتْقٌ مِنْ خَلْفِهِمْ فَتُقْبِلُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا أَرْضَ خُرَاسَانَ» كنز العمال ج ٧ ص ٧٠.

ولم أجد مايدلّ على نوع هذا الخلل ولكن عودة القوات التي تكون في العراق يكون ضرورياً لاصلاحه واستئناف معارك الظهور.

* *



اسماء مجموعة مصادر في الحديث
وعدة كتب حول الامام المهدى عليه السلام



مصادر و كتب عندالسنة:

١- **صحيح البخاري** ، لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة المتوفى سنة ٢٥٦.

٢- **صحيح مسلم** ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفي سنه ٢٦١.

٣- **مسند احمد** ، لأبي عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي المتوفى سنه ٢٤١.

٤- **سنن ابن ماجه** ، لأبي عبدالله محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه القزو يني المتوفى سنه ٢٧٣.

٥- **سنن ابي داود** ، لأبي داود سليمان بن الأشعر السجستاني المتوفى سنة ٢٥٧.

٦- **جامع الترمذي** ، لأبي عيسىٰ محمد بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٨.

٧- **المستدرك على الصحيحين** ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥.

٨ و ٩- **نعت المهدى، ومناقب المهدى** ، للحفاظ ابي نعيم احمد بن عبدالله الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٥.

١٠- **الفتن و الملاحم** ، للحفاظ نعيم بن حماد المروزي المتوفىٰ سنة ٢٢٧، توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٦٢ أدب، ونسخة في مكتبة دائرةالمعارف العثمانية في حيدرآباد الهند رقم ٣١٨٧-٨٣، و نسخة في مكتبة المتحف البريطاني و هى التي نقلنا عنها في الكتاب.

١١ـ **عقد الدرر في اخبار المهدي المنتظر**، ليوسف بن يحيىٰ المقدسي السلمى، فرغ من تأليفه سنة ٦٥٨، و قد طبع الكتاب اخيراً في مطبعة عالم الفكر بالقاهرة.

١٢ و ١٣ و ١٤ـ **الحاوى للفتاوى، و علامات المهدي، والعرف الوردي في اخبار المهدي**، للشيخ جلال الدين عبدالرحمان بن ابي بكر بن محمد السيوطي المتوفى سنة ٩١١.

١٥ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**، لكمال الدين ابي سالم عمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢.

١٦ـ **تذكرة الخواص**، لأبي المظفر يوسف بن شمس الدين الملقب بسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤.

١٧ـ **البيان في اخبار صاحب الزمان**، لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨.

١٨ـ **ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوى القربىٰ**، لمحبّ الدين ابي العباس احمد بن عبدالله بن محمد الطبري، شيخ الحرم المكي المتوفى سنه ٦٩٤.

١٩ـ **الصواعق المحرقة**، لشهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي الشافعي المتوفى سنة ٩٧٤.

٢٠ و ٢١ـ **منتخب كنزالعمال، والبرهان في علامات مهدي آخرالزمان**، لعلاء الدين على بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندى نزيل مكة المكرمة المتوفى سنة ٩٧٥.

٢٢ـ **اسعاف الراغبين في سيرة المصطفىٰ واهل بيته الطاهرين**، للشيخ محمد علي الصبان المتوفى سنه ١٢٠٦.

٢٣ـ **الفتوحات المكية**، لمحيي الدين ابي عبدالله محمد بن علي المعروف بابن عربى الحاتمى الطائي المتوفى ٦٣٨.

٢٤ـ **عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر**، محاضرة موسعة للشيخ محسن

العباد الاستاذ بجامعة المدينة المنورة نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية عدد ذى العقدة ١٣٨٨-١٩٦٨

و قد اشرنا إلى انه لايكاد يخلو مصدر من مصادر الحديث من أحاديث المهدى عليه السلام في ابواب الملاحم و الفتن و اشراط الساعة، بما في ذلك كتب اصحاب المصنفات المتقدمة في الزمن على الصحاح الستة كمصنف عبدالرزاق و مصنف ابن أبي شيبة. وأما الكتب المتعرضة للمهدي او المختصة به عليه السلام لعلماء السنة في القرون المتأخرة فتبلغ العشرات، مثل كتاب الاذاعة لما كان و يكون بين يدي الساعه للبخارى الهندي، واشراط الساعة للبرزنجي و غيرها...

مصادر و كتب عند الشيعة

١ـ **الكافي** ، لأبى جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني المتوفى سنة ٣٢٩.
٢ـ **الغيبة** ، المعروف بغيبة النعماني لأبي عبدالله محمد بن ابراهيم النعماني المعاصر للكليني.
٣ **كمال الدين** ، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابو يه القمى الملقب بالصدوق المتوفى سنة ٣٨١.
٤ و ٥ـ **الفصول العشرة في الغيبة، والارشاد فى معرفة حجج الله على العباد** ، لأبى عبدالله محمد بن النعمان العكبرى الملقب بالمفيد المتوفى في سنة ٤١٣.
٦ـ **الغيبة** ، المعروف بغيبه الطوسى للشيخ ابي جعفر الملقب بشيخ الطائفة المتوفى سنة ٤٦٠.
٧ـ **البرهان على صحة طول عمر الامام صاحب الزمان** ، لأبى الفتح محمد بن عثمان الكراحلى المتوفى سنة ٤٤٩.
٨ـ **الملاحم والفتن** ، لرضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد

بن طاوس المتوفى سنة ٦٦٤.

٩ـ غاية المرام ، للسيد هاشم بن السيد سليمان الكتكتاني البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ أو١١٠٩.

١٠ـ بحارالانوار، المجلد ٥٢ و ٥٣ للمحدث محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١١.

١١ـ كشف الأستار عن وجه الغائب عن الابصار، للميرزا حسين المحدث النوري المتوفى سنة ١٣٢٠.

١٢ـ بشارة الاسلام ، للسيد مصطفى الكاظمي الحيدري المتوفى سنة ١٣٣٦.

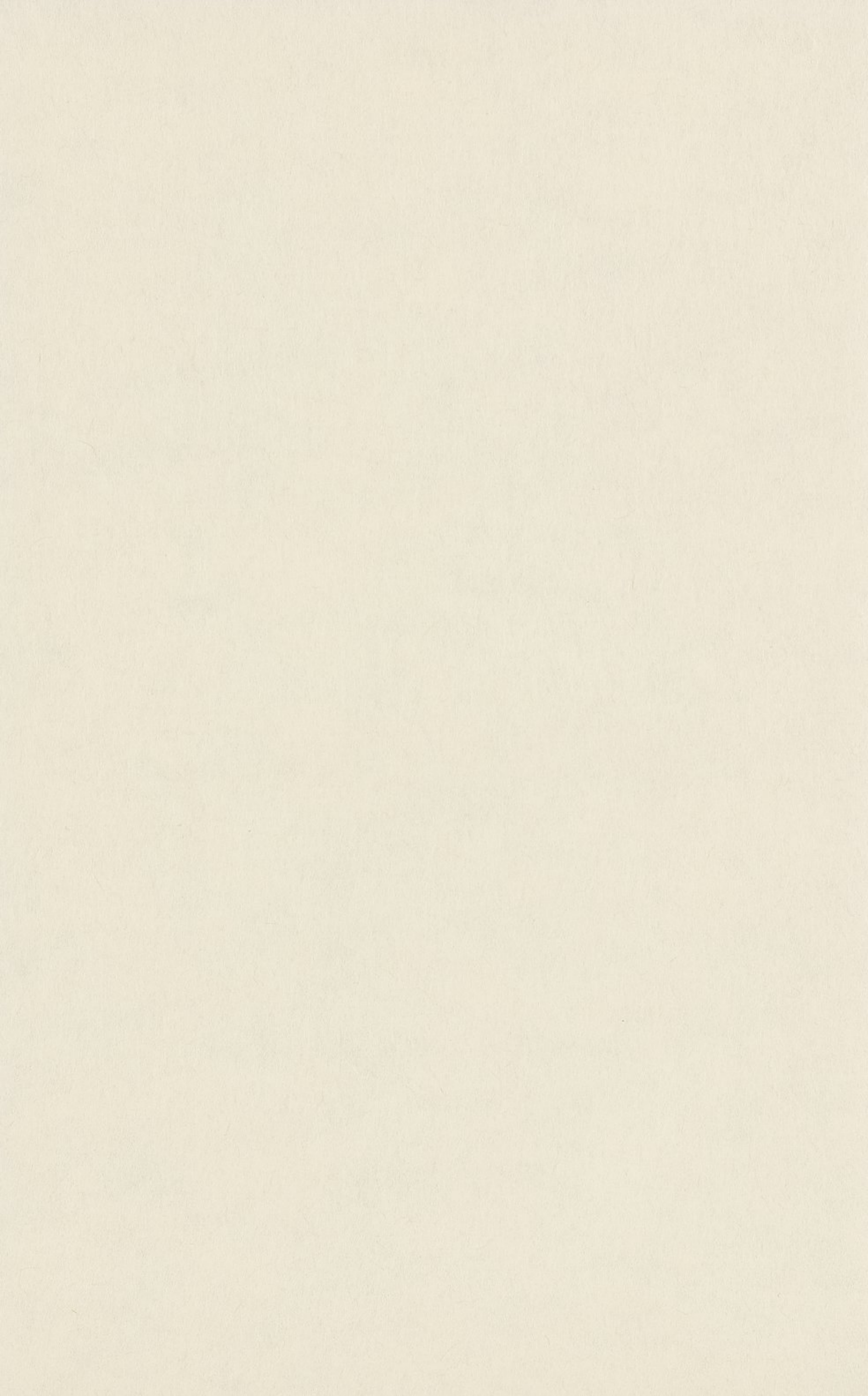
١٣ـ منتخب الأثر في اخبار الامام الثاني عشر، للشيخ لطف الله الصافي ـ معاصر.

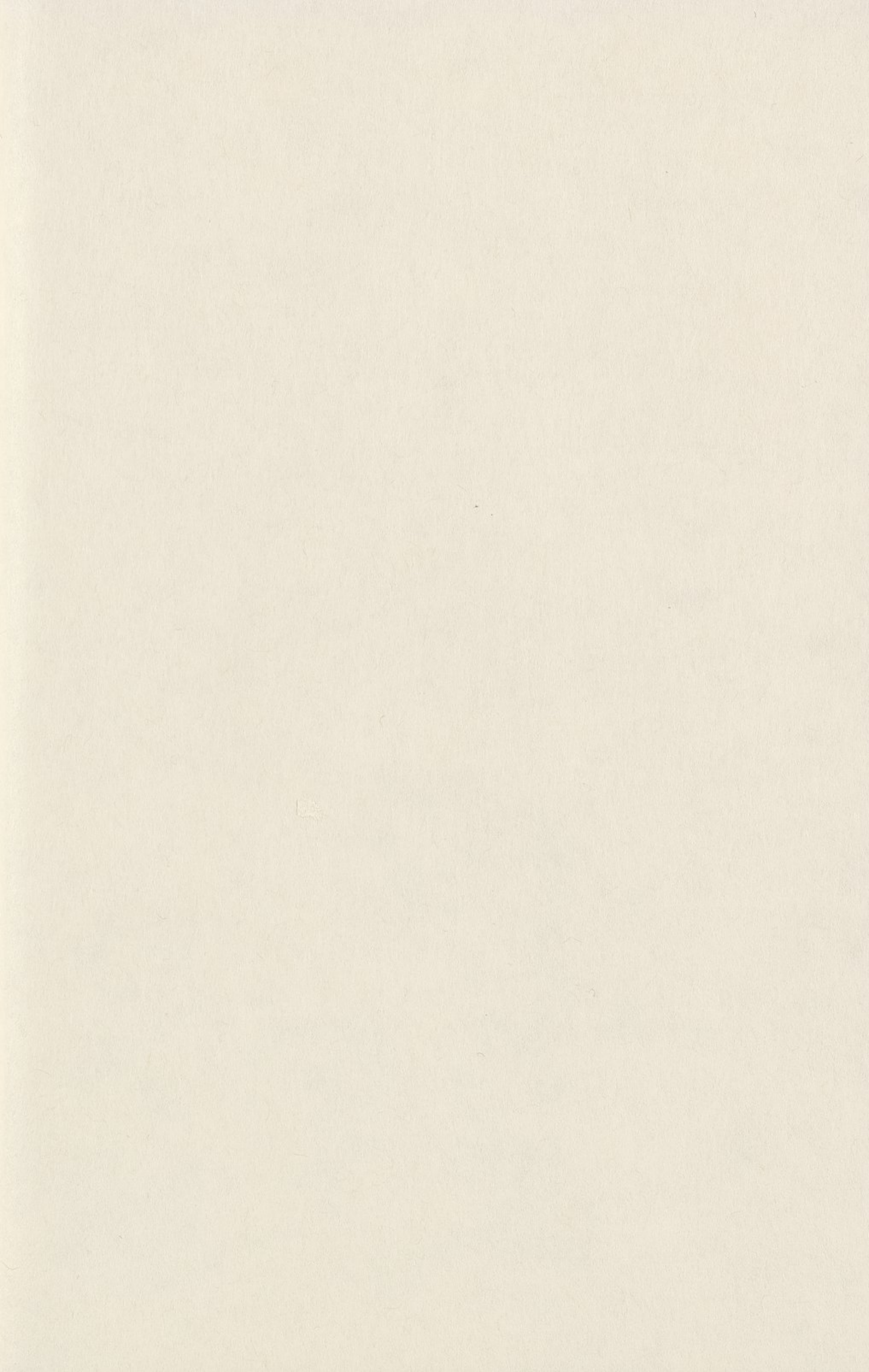
١٤ المهدي الموعود المنتظر عند علماء السنة والامامية ، للشيخ نجم الدين العسكري ـ معاصر.

•

هذا، و نلاحظ أن الكتب والأبواب الخاصة في الامام المهدي عليه السلام كانت تقتصر في القرون الاسلاميه الأولى على نقل الأحاديث بأسانيدها فقط، ثم أضيف اليها في القرون التي تلتها عنصر المناظرة الكلامية، ثم أضيف عنصر العرفان و التصوف.

وفي الثلاثين سنة الأخيرة صدرت فى الموضوع عشرات الكتب والمقالات في ايران والعراق و لبنان و الهند و غيرها، وحاول عدد قليل منها أن يتخطى اسلوب السرد والمناظرة و يعتمد اسلوب التحليل و إثراء حركة الأمة الاسلاميه في نهضتها المباركة... و سوف يواجه الكتّاب المسلمون إلحاحاً من الأمة في اعتماد هذا الاسلوب كلما تصاعدت حركتها في مقاومة أعدائها، و ازاد تطلعها الى قائدها المهدي الموعود غلى لسان نبيها(ص)، و أصبح التمهيد له و التطلع الى ظهوره الميمون قاسمها العقائدي والسياسي المشترك .





مركز النشر ـ مكتب الاعلام الاسلامي
الحوزة العلمية ـ قم
٢٨٠ ريال